الأخـــــلاق

بين

الادعاء والالتزام

الأخـــــــلاق

بين

الادعـاء والالتزام

تأليف الأستاذ

حسني محمد العطار

رفح – فلسطين

١٤٤٢هـ –٢٠٢٠م

(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

حديث شريف، (أحمد/٨٩٣٩)

الإهداء

إلى زوجتيّ ولداي محمد وعبد الرحمن

"يفون" و"سها"

كل التقدير والاحترام

تقديم

د.نصر فحجان

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وجعله نورًا لنا نمشي به في الناس، حتى نكون على نور من ربنا، فهو نور على نور، يهدي لنوره من يشاء، ومن لم يجعل الله نورًا فما له من نور .وبعد :فقد آثرني سعادة الأخ الأستاذ/ حسني محمد العطار ببحث له حول (الأخلاق بين الادعاء والالتزام)، لأخطّ له هذه المقدمة بين يدي بحثه، فله مني كل الشكر والتقدير .وترجع أهمية هذا البحث إلى أهمية المواضيع التي يتناولها، فهي تَهُمّ كل فئات المجتمع، وتصوّب كثيرًا من الأخطاء في فهم الناس للأخلاق، وتُوجّه سلوكهم العملي في تعاملاتهم وحياتهم .وقد وجدت هذا البحث جيّدًا في مجمله، ومفيدًا في كل فصوله، ويمكن أنْ أرصد طائفة من مناقبه في الجوانب التالية :أولًا: يعتبر هذا البحث مرجعًا للأخلاق على اختلافها، فقد استطاع الكاتب أنْ يؤصّل فيه لكل

من: الأخلاق، التربية الخلقية، السلوك الأخلاقي، المسئولية الأخلاقية، الضمير، الالتزام، الإحساس، الفضيلة، أخلاق المتعلم، نماذج من الأخلاق .ثانيًا: قسّم الكاتب بحثه إلى مجموعة من المقالات غير المطولة، ليسهل الرجوع إليها وهضمها، والاستفادة منها في أقل وقت ممكن، دفعًا للسآمة والملل عند القارئ .ثالثًا: يمكن لهذا البحث أنْ يكون مرجعًا لتزكية النفوس يرجع إليه الوعاظ والخطباء عند تناولهم للقضايا الأخلاقية وتطبيقاتها في المجتمع .رابعًا: هذا البحث ليس بحثًا علميًا فحسب، بل إننا نجد أنّ الكاتب قد ربط فيه الأخلاق بالواقع الذي يحياه الناس، مما يجعل الإفادة منه أكبر وأنفع .خامسًا: تميز هذا البحث بالشمول والإحاطة للأخلاق المختلفة، فهو يتناول نوعين من الأخلاق: الأخلاق الحسنة، والأخلاق الذميمة، فيحث على الحسنة مع التمثيل عليها، ويحذر من الذميمة مع التمثيل عليها .لقد عرفت مؤلف هذا الكتاب (الأستاذ حسني محمد العطار) باحثًا عن الحق، مخلصًا في طلبه، لا يألو جهدًا، ولا يدّخر وسعًا في البحث عنه في مظانه، قارئًا متمهلًا، ودارسًا متأملًا، فهاتان الخصلتان: الأناة والتمهل، والتأمل والتفكر، من أبرز مزاياه، وأظهر خصائصه، فهو لا يتعجل الأحكام ولا النتائج، ولا يأخذها تقليدًا،

بل بعد دراسة متأنية، وتدبر طويل .وعرفته متواضعًا، لا يكتفي بقبول النصح إذا نُصِح، بل يطلب النصح، ويلح في طلبه، من كل من يثق بعلمه ورأيه، حتى يطمئن إلى ما وصل إليه من نتائج، وهو واسع الصدر لمناقشة الرأي الآخر، ولا يبالي إذا استبان له وجه الحق أن يبدل رأيًا برأي، إذا اعتقد أنه الصواب .

وفي الختام، فإنني أشكر لأخي الباحث الأستاذ/ حسني محمد العطار ثقته في شخصي لأخط له هذه المقدمة، وأرجو له التوفيق والقبول، وأنْ يتواصل جهده في المزيد من البحث في القضايا الإسلامية المختلفة، لا سيما ما اشتدت إليه حاجتنا في قضايا المجتمع، وأدعوه إلى طباعة كل بحوثه وإخراجها إلى النور ليثري بها المكتبة العربية والإسلامية، ويعم نفعها للجميع .وصل اللهم وسلم على نبينا محمد.

الدكتور/ نصر فحجان

أستاذ الدراسات الإسلامية في كلية فلسطين للتمريض

عميد كلية دار الدعوة والعلوم الإنسانية سابقًا

المقدمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين والذي أتم الله به مكارم الأخلاق، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

حفظنا ونحن في صبانا قول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعرفنا من ديننا أن الأخلاق والقيم الخلقية جزء أصيل من منظومة ديننا وعقيدتنا الإسلامية، وأن الأخلاق مقوم من مقومات عاداتنا وعرفنا الذي يمثل الهوية المتميزة لنا عرب ومسلمين.

كذلك عرفنا من تاريخ الشعوب والأمم ومن حركة تجاربها أن الأخلاق داعم من أهم دعائم البقاء لهذه الأمم والشعوب، وأن انهيار الكثير منها وضياعها وهزيمتها كان في الغالب بسبب انهيار منظومة الأخلاق عند تلك الشعوب والأمم.

وتاريخ اليونان والرومان ليس عنا ببعيد.

ففي الجانب الآخر نجد كثيراً من أمم الشرق وشعوبها ودولها وحكوماتها استقرت وطال أمدها وامتد حكمها أكثر من غيرها لأسباب منها تمثل الأخلاق في حياة شعوبها بنسبة واضحة وظاهرة.

فلا قيمة لبنيان وحضارة وعلم وتقدم وقوة بلا أخلاق، لأن الأخلاق تعتبر السياج الواقي والذي يحمي منجزات الشعوب ويطيل في أعمارها.

ونحن أمة العرب اشتهر عنا أننا أمة ذات قيم أخلاقية؛ الكرم والشجاعة وإغاثة الملهوف ونصر المظلوم والمروءة والوفاء والأمانة، فلما جاء الإسلام عزز فينا هذه الأخلاق والقيم، وربطها بالعقيدة والإيمان بالله واليوم الآخر، والثواب والعقاب والجنة والنار، وجعل من مقياس الأفضلية مستوى التمسك بالأخلاق سلوكاً بين الناس وليس ادعاءً، واعتبر أن أحاسن الناس أحاسنهم أخلاقاً، وأن أعظم ما يوزن يوم القيامة هو حُسن الخلق.

من هنا جاءت أهمية الحديث عن الأخلاق والدعوة للالتزام بها، سلوكاً للأفراد ومظهراً عاماً للمجتمع، فكلما كان الفرد ملتزماً

أخلاقياً كلما كان أكثر نفعاً لنفسه ولغيره، وكلما كان أكثر خيرية وأكثر عطاء وأخلص عملاً.

وهكذا المجتمع في مجموعه كلما كان ملتزماً أخلاقياً كلما كان أكثر أمناً وسعادة وتعاوناً ورقياً حضارياً وتقدماً.

والأخلاق والقيم الأخلاقية ذات صلة وثيقة بتقدم الشعوب وتطورها، وهي من ضمن الأسباب التي هيأها الله في الأرض للنجاح، فقد أوجد الله في الأرض سنناً كونية إن تنبهنا لها وعملنا في اطارها كان النجاح والأمن والتقدم بغض النظر عن دين أو عقيدة، من هذه السنن منظومة الأخلاق والقيم الخلقية.

لهذا لم يكن هناك تقدم وتطور وامتلاك القوة والأمن لمجتمع، بعيداً عن روح الأخلاق والالتزام بها، الصدق والاخلاص والأمانة والعطاء والوفاء والجد والاجتهاد.

في الجانب الآخر لم يكن هناك انهيار وفشل وهزيمة وتراجع وفقد للأمن وفقر وجوع وجهل إلا ولازمه أنانية ومكر وكبر وخداع ونفاق وغش.

ومن باب الحرص على أمتي العربية والإسلامية وعلى شعبي الفلسطيني رغبت أن أكتب في هذا الموضوع المهم، فكان ما رغبت فيه بتوفيق وعون من الله تعالى.

وقد جعلته من مقدمة وتمهيد وقسمين:

التمهيد وجعلته من تسعة عناوين.

والقسم الأول: جعلته للأخلاق الحسنة، وهو من ثلاثين خلق حسن.

والقسم الثاني: جعلته للأخلاق الذميمة، وهو من عشرين خلق ذميم.

وقد استعنت خلال رحلة الكتابة بمجموعة من الكتب في مقدمتها:

١. موسوعة الحضارة الإسلامية.

٢. الموسوعة الإسلامية العامة.

٣. موسوعة الأخلاق.

٤. الكافي معجم عربي حديث.

٥. معجم الوجوه والنظائر – الدامغاني.

٦. التعريفات للجرجاني.

٧. خلق المسلم – الغزالي.

٨. القيم الأخلاقية – للمؤلف.

آمل من الله أن يتقبل مني هذا العمل وغيره من الأعمال، وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات آبائي، وأن يجعله عملاً مقبولاً نافعاً.

التمهيد

تناولت فيه الموضوعات التالية:

- **الأخلاق**
- **التربية الخلقية**
- **السلوك الأخلاقي**
- **المسؤولية الأخلاقية**
- **الضمير**
- **الالتزام**
- **الاحساس**
- **الفضيلة**
- **أخلاق المتعلم**

الأخـــــلاق

الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي منحه الله قدرات وإمكانات متميزة عن بقية الكائنات، من إدراك وتفكير وحرية، لهذا جاء لفظ الأخلاق ليتعلق بسلوك هذا الكائن دون غيره، هذا شيء وشيء آخر أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يحكم على الأشياء بأن هذا خير وهذا شرّ، وهذا حسن وهذا قبيح، وهذا نافع وهذا ضار، لهذا لا غرابة يوم أن أطلق عليه بعض الباحثين وصف كائن أخلاقي.

والخلق في اللغة بمعنى الدين والمروءة والطبع والسجية والعادة، فلان على خلق أي على دين، وكلمة خلق تدل على الصفات الطبيعية في خلقة الإنسان الفطرية، والصفات المكتسبة والتي لها جانب نفسي باطني، وجانب سلوكي ظاهري. وقد تعددت تعريفات الباحثين للأخلاق، وسبب ذلك اختلاف المدارس التي ينطلق منها هؤلاء الباحثين، ومن أشهر التعريفات تعريف الإمام الغزالي لها: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة، فإذا كانت الهيئة التي تصدر

عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كانت الصادرة عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقاً سيئاً".

ولفظ الأخلاق والتي هي جمع خُلق يراد بها القوة الغريزية التي تبعث على السلوك، كما يطلق على السلوك الظاهر، والتي يصير الإنسان من خلالها خليقاً أن يفعل شيء دون شيء، لهذا جاء حديث النبي صلى الله عليه وسلّم: (خير ما أُعطي الناس حُسن الخُلق). (المستدرك على الصحيحين/٥/٥٧٠)، ومنه قوله صلى الله عليه وسلّم: (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء). (أحمد/٢٧٥١٧).

ولقد اهتم الإنسان من نشأته الأولى بالأخلاق، ولم تخل حضارة قديمة أو حديثة من حديث عن الأخلاق، لارتباطها بالإنسان صانع الحضارات، فالمصريون القدماء تكلموا عن الأخلاق من خلال حديثهم عن الوصايا، والصينيون تكلموا عن الأخلاق من خلال حديثهم عن الفضائل، واليونان اشتهروا بمدارسهم الفلسفية التي كان لها اهتمام كبير بعلم الأخلاق والذي

تأثرت به الفلسفة الإسلامية فيما بعد، أيضاً الديانات السماوية يهودية ومسيحية اهتمت بالأخلاق كثيراً، حتى جاء الإسلام الذي أكمل الله به البناء، يقول النبي صلى الله عليه وسلّم: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**). (أحمد/٨٩٣٩)، لدرجة أن الإسلام يعتبر أن من معاني كلمة الأخلاق الدين.

وقد اهتم الإسلام بالأخلاق اهتماماً كبيراً لدرجة أنه ربط بين الإيمان وبين الأخلاق برباط العقيدة: {**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**}، وجعل من العبادة بأنواعها جميعاً ذات مردود أخلاقي، وإلا لا قيمة لها: {**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**}، ومنه قوله تعالى: {**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**}، ومنه قوله تعالى: {**فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**}، كذلك جعل الله الأخلاق أساساً للمعاملات المالية، قال النبي صلى الله عليه وسلّم: (**من غشنا فليس منا**). (مسلم/١٠٢)، حتى الحدود جعلها الله من خلال تشريعات الإسلام زواجر عن جرائم أخلاقية.

إن الإسلام يعتبر الأخلاق منظم للحياة ولعلاقات الناس فيما بينهم، وهي تشمل كل الموجودات: الإنسان والحيوان والبيئة

والكون بأسره، لهذا اهتم العلماء المسلمون بهذا العلم الذي اسموه بعلم الأخلاق الإسلامي، المتميز بخصائصه عن غيره من الحضارات الأخرى، فساهم هؤلاء العلماء على اختلاف مشاربهم وكتبوا فيه، كتب فيه علماء الحديث (عمل اليوم والليلة)، و(جامع بيان العلم وفضله)، كذلك كتب فيه الفقهاء والفلاسفة عن السعادة والقيم والفضيلة، وكتب فيه المتصوفة عن التزكية والمجاهدة، وكتب فيه الأدباء وإخوان الصفا والأصفهاني والماوردي، (أدب الدنيا والدين). إنه يحق لنا أن نقول إن علماءنا قد أبدعوا في هذا العلم أكثر مما أبدع غيرهم، لانبثاق هذا العلم من عقيدتهم وثقافتهم.

وعلم الأخلاق من أشرف العلوم الإنسانية، لأن قيمة الإنسان تقدر بأخلاقه وأعماله، وكما ذكرت كان اهتمام الناس به اهتماماً كبيراً، لكنه كان نظرياً في مجمله، كما كان عند اليونان، فلما جاء الإسلام جعل منه الأساس العملي للكثير من أركانه وعلاقات أفراده.

وعلم الأخلاق علاقته بالسلوك الإنساني فقط، أي أفعال الناس، بالقياس للمثل العليا. وأحكام هذا العلم أحكام تقويمية

وليست تقريرية، وهو يهتم بتحليل السلوك الإنساني من حيث بواعثه وأهدافه، والفضائل والرذائل، وتحديد القواعد التي ينطلق منها هذا السلوك. وعلم الأخلاق ينقسم إلى قسمين: نظري وعملي، النظري يبحث في المبادئ العلمية والمعاني الجامعة التي تستنبط منه الواجبات، وعملي يتناول أنواع القيم الفاضلة التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان ويمارسها في حياته اليومية.

وغاية الأخلاق ليس العلم النظري فقط، بل التأثير على إرادة السلوك عنده، وحمله على الالتزام بقواعده وقيمه ليصل إلى المثل العليا. وعلم الأخلاق ذات صلة بالدين، بل هناك تداخل كبير بين الدين والأخلاق، وتمثل الأخلاق ركناً أساسياً من أركان الدين، والذي يقوم على تهذيب السلوك وتقويم العلاقات. ومن مصادر الأخلاق غير الدين العرف والعادة وهي ما تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل، مما رضي عنه واستحسنه الدين ووافق أهدافه وآدابه. ومنها ما جاءنا وافداً من عند غير المسلمين من فرس ويونان وصينيين، ولقد كان لحركة الترجمة دوراً كبيراً في نقل كتب الأمم الأخرى والتي تعرف المسلمون من خلاله على ثقافة تلك الأمم وأخلاقهم وقيمهم.

واسهامات علماء ومفكري الإسلام في مجال الأخلاق علماً وسلوكاً، كبيرة وواضحة، وقد تعددت اتجاهاتهم ناحية هذا العلم إلى عدة اتجاهات، منها: الاتجاه المتأثر بالفلسفة اليونانية كالفارابي وإخوان الصفا وابن مسكويه وابن سينا، والاتجاه الثاني وهم الذين انطلقوا من العقيدة الإسلامية الخالصة، كالمعتزلة والاشاعرة والشيعة والخوارج، يتقدمهم ابن حزم والراغب الأصفهاني وابن الجوزي وابن قيم الجوزية، والاتجاه الثالث وهم المتصوفة الذين ركزوا على الجانب العملي، وكان أعظم ظهور لهم عند الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين)، أما الاتجاه الرابع وهو اتجاه الأدباء ومنهم الماوردي كما سبق ذكره في كتابه (أدب الدنيا والدين).

وهكذا تواصلت جهود الأجيال اهتماماً بهذا العلم والسلوك، ولم يخل زمن من ابداعات فيه، والدعوة للالتزام بقيم هذه الأخلاق وامتثالها سلوكاً للأفراد والجماعات.

التربية الأخلاقية

كما ذكرت سابقاً أن الخُلق هو السجية والدين والطبع، وهي صفة لازمة لصاحبها في كل وقت، وأمام جميع الأفعال، فهي طبيعة ثابتة، أما المتغير والمتبدل فهو كالمنافق لا يحكم له ولا يكون خلقاً، وقد عرّفه العلماء بعادة الإرادة، فإذا اعتاد الإنسان فعل معين يكون ذلك خلقاً له، فيسمى كل فعل باسم معين خاص به. ومما لاحظه الباحثون أن الإسلام جاء بمنهج نظري وعملي متكامل في التربية الأخلاقية يشمل كل أعمال الإنسان. وعند المسلمين مصدر الأخلاق هو الله تعالى، فهو الذي يلهم الإنسان بها، ويوجهه نحوها، فليس هناك من خلق حسن إلا وقد أمر الله به في القرآن الكريم، وحض عليه النبي صلى الله عليه وسلّم في السنة التي استوعبت كل مكارم الأخلاق من خلال الأمر والنهي، دون اجبار أحد على ذلك، بل ترك الأمر لإرادة الشخص يلتزم أو يلتزم.

وعلى مدار تاريخ البشرية عرف الإنسان قيمة الأخلاق، وأنه لا يمكنه الحياة إلا بالأخلاق التي ترتقي بسلوكه، وتجعل منه

إنساناً صالحاً، ولقد عاش الإنسان فترات من الصراع والحروب، والأزمات السياسية والاقتصادية والتطرف الديني، مما نتج عنه انتشار الأمراض والفقر والبطالة والجريمة والانتحار، وفي نهاية المطاف لم يجد أمامه ما يصلح من حاله إلا العودة للأخلاق المنظمة للسلوك.

من هنا جاء اهتمام الإنسان بالتربية الأخلاقية التي تتبع الأصول الصحيحة المنبعثة من الدين، والتي تعلم الإنسان الصدق والمحبة والإخلاص وغيرها من الأخلاق الحسنة، ويكون ذلك من خلال ترسيخها وتعليمها للناشئين حتى تتأصل في نفوسهم، إلا أنه لا يمكن ينجح أي مشروع إلا إذا اعتمد على جملة من الأخلاق الدافعة لنجاحه، وفي نفس الوقت لا يمكن أن تستقر الحياة لمجتمع ما إلا إذا التزم أفراده بالأخلاق الحسنة في علاقاتهم وتعاملاتهم.

وكما سبق ذكره فإن الأخلاق في الإسلام مرتبطة بالإيمان، فكلما حسنت أخلاق المرء كلما زادت درجة إيمانه، وزاد ثوابه وأجره، ويكون أكثر قرباً من الله ورسوله: **(إن من أحبكم إلىّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً)**.

(الترمذي/٢٠١٨)، ومما هو معروف أن حسن الخلق يُعلي من شأن الإنسان في الدنيا فوق الحسب والنسب، وكان النبي صلى الله عليه وسلّم يوصي أصحابه بحسن الخلق: **(يا معاذ أحسن خلقك للناس)**، وكان صلى الله عليه وسلّم يدعو بقوله: **(اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)**. (أبو داود/١٥٤٦).

أما سوء الخلق فهو يُنفر الناس من صاحبه، فلا يصادقونه، ولا يعاملونه، وذلك لسوء ما يصدر عنه، ولسوء أخلاقه وغلظة وفحش قوله، وجفوة طبعه في تعاملاته، فسوء الأخلاق هم لا يبارح صاحبه، فهو لا يهدأ ولا يطمئن، ولا يأمن بل هو في صراع داخلي لا يقرّ ولا يخمد.

ومن أهم وسائل التربية الأخلاقية توفير البيئة الأخلاقية الصالحة لغرس هذه الأخلاق ونموها وتحقيق الهدف منها، ويكون ذلك من خلال التعليم السليم والممنهج الذي يعمل على توسيع دائرة التفكير عند الإنسان، ورحابة صدره وسماحة نفسه، فترتقي أخلاقه ويُحسن سلوكه. ومن وسائل التربية الأخلاقية الصحبة الطيبة: **(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)**. (أبو

داود/٤٨٣٣)، فكثيراً ما تُؤثر الصحبة ايجاباً أو سلباً في بعضها البعض، فكم من صاحب أصلح من حال صاحبه، وكم من صاحب أفسد صاحبه. كذلك من وسائل التربية الأخلاقية مطالعة قصص حياة الأبطال والعظماء والأنبياء والصالحين والصحابة، فلها دور كبير في التربية القلبية، وترقية الضمير، وتنمية الهمم وتدفع إلى المعالي. ومن الوسائل التربوية تعويد الإنسان على اكتساب المهارات الخلقية والسلوكية، والالتزام بها، والدفع به إلى العمل التطوعي والجماعي، في نفس الوقت تعمل على تخليص نفوسهم من السلبيات والرذائل.

وللوصل بالإنسان إلى تربية أخلاقية راقية يجب تعويده على العادات الحسنة، وتجنيبه العادات السيئة، وتعليمه محاسن الأخلاق، وملاحظة سلوكه ومراقبة علاقته بأصدقائه. والسلوك الأخلاقي مكتسب كأي علم آخر، يمكن تغيير سلوك الإنسان من السيء إلى الحسن، ومن القبيح للطيب، فمن السهل تعليمه آداب الطعام والشراب والملبس، وطريقة النوم واليقظة، كما يمكن تعليمه كيفية الاعتماد على نفسه وثقته بذاته وتوكله على ربه: **(يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك،**

وإذا سألت فلتسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله). (الترمذي/٢٥١٦).

والإسلام ينظر إلى العلم النافع على أنه العلم المتوشح الأخلاق، وليس المجرد عنه، فالعالِم الملتزم بالأخلاق هو النافع لمجتمعه ووطنه وللإنسانية، وما تعانيه البشرية الآن من حروب وصراعات وفتن هي نتاج العلم اللاأخلاقي، الذي أخذ البشرية إلى طريق الهاوية والدمار.

والتربية الخلقية ليست مهمة الدولة وحدها، بل هي بدايةً مهمة الأسرة والوالدين، فبيئة الطفل تقوم بدور كبير في تنشأت الطفل وتعويده العادات والأخلاق الحسنة، كذلك التربية الأخلاقية مهمة العلماء ورجال الدين الذين يعلمون الناس أمور عقيدتهم وتشريعات دينهم وقيمه وأخلاقه، ومن هنا نصل إلى تنمية الأخلاق وتهذيب السلوك وتحسين العلاقات، ليكون المجتمع مجتمعاً صحيحاً ومعافى من الأمراض الاجتماعية التي تعيق تقدمه ورقيه وازدهاره وأمنه.

السلوك الأخلاقي

معنى السلوك: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، والسلوك الأخلاقي هو أفعال الإنسان الإرادية المقصود بها هدف معين، والمتجهة نحو غاية مقصودة تحقق مطالب جسدية أو نفسية أو فكرية، سواء كان ذلك لصالح الفرد أو المجتمع، وليس كل أفعال الإنسان تدخل ضمن دائرة السلوك الأخلاقي، لأن منها غرائز ودوافع نفسية لا تدخل ضمن المدح أو الذم، لكن الذي يدخل ضمن دائرة الأخلاق منها ما ظهرت آثاره على السلوك الأخلاقي، إفراطاً أو تفريطاً.

وهناك صلة كبيرة بين السلوك والأخلاق، لأن الأخلاق كما عرّفناها صفات نفسية تصدر عنها الأفعال الأخلاقية، والسلوك الأخلاقي هو المظهر الخارجي لهذه الأخلاق، فالعلاقة بينهما علاقة المؤثر بأثره، والأثر يدل عادة على المؤثر، فإننا نستطيع أن نقيس قوة الخلق النفسي من خلال قياس آثاره في سلوك الإنسان، فالسلوك الحسن دليل على الخلق الحسن، فمثلاً العطاء المستمر والمتنوع دليل على خلق الكرم، وقد يوجد الخلق حسناً أو

قبيحاً لكن لا يظهر سلوكاً لأسباب عدة منها: عدم وجود الظروف المناسبة، أو لإظهارها خلاف ما يبطن.

ولأهمية السلوك الأخلاقي اهتم العلماء المسلمون به، وذلك لعلاقة السلوك الأخلاقي بتنمية المجتمع وتطوره، ورقيه الحضاري والفكري، ونهضة المجتمع من جميع جوانبه، لهذا اهتم به الإسلام اهتماماً واضحاً، ومن ضمن ذلك شمول الدين لجميع جوانب السلوك الأخلاقي، فعلاقات الإنسان المتعددة: مع ربه، ومع نفسه، ومع مجتمعه، ومع بيئته كلها مبنية على التزامات أخلاقية، فلا إفراط ولا تفريط في أي أمر من أمور حياته، فهي قائمة على النظام والاتقان والوسطية، وفي علاقته بمجتمعه، الوالدان والأسرة والأقارب والجيران والأصدقاء وزملاء العمل والطريق والسوق، كلها قائمة على الصدق والأمانة والوفاء بالعهد والعفة والصبر والعفو والحلم وغيرها.

كذلك من ضمن اهتمام الإسلام بالسلوك الأخلاقي أنه يعتبر الأخلاق إنسانية، عامة شاملة دون النظر إلى دين أو جنس أو وطن أو ثقافة أو وضع اجتماعي أو اقتصادي، فالمسلم يتعامل

بخلق حسن مع الإنسان كونه إنسان بغض النظر ‘ن أي اعتبار آخر من كرم ومروءة ونخوة وصدق ورحمة.

والإسلام ينظر إلى الأخلاق على أنها قيم ثابتة محددة مطلقة غير نسبية، لا تقبل الزيادة أو النقصان، ولا التحوير أو التبديل، ولا تتغير بتغير الأحوال والأهواء، فإن طرأ عليها شيء مما سبق فهي ليست أخلاقاً، وحينها سمها ما شئت.

كذلك ينظر الإسلام إلى الأخلاق على أنها ليست نظريات عقلية، بل هي سلوك يمارسه الإنسان على أرض الواقع، ومن خلال التطبيق العملي، دون أن يرهقهم ويحملهم فوق قدراتهم وطاقاتهم، ومن ذلك نموذج القدوة الحسنة الملتزم بفضائل الأخلاق، وسمو السلوك الأخلاقي المتمثل في رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**، (القلم: ٤)، الذي كان خلقه القرآن، فاقتدى به أصحابه ومن صار على نهجه.

وإمكانية القدوة الحسنة متحققة في كل زمان وجيل، من خلال العلماء الربانيين العاملين، والقادة المخلصين.

وكون الأخلاق في الإسلام إلية المصدر، جعل الالتزام بها طاعة وقربى لله تعالى، يُؤجر على العمل بها، ويأثم لمخالفتها، فالله هو الذي بين لنا الحلال من الحرام، والحسن من القبيح، والخير من الشر، لهذا يجب التعامل مع هذه الأخلاق بإخلاص وثقة على أنها نافعة للإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

ومن العوامل المساعدة على ارتقاء السلو الأخلاقي أنها واقعة ضمن دائرة الثواب والعقاب، فجزاء الصابرين والطائعين والأوفياء، وكل من يُظهر سلوكاً أخلاقياً حسناً جزاؤه الثواب عند الله، كما توعد الله كل المخالفين والمتصفين بسوء الأخلاق بالعقاب وسوء الخاتمة.

ومن العوامل التي ترقى بالسلوك الأخلاقي في الإسلام ارتباطها بالعقيدة والإيمان، فالعقيدة هي أصل الأخلاق، والسلوك الأخلاقي يكون بدافع العقيدة، وهي صدى للإيمان: **(لا يُؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه)**. (البخاري/١٣)، وقول النبي صلى الله عليه وسلّم: **(والحياء شعبة من الإيمان)**. (مسلم/٣٥).

وكما سبق ذكره، العبادات بكل أنواعها، والأحكام الشرعية تهدف إلى ترشيد السلوك الأخلاقي وتنمية الفضائل الخلقية: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ}**، (العنكبوت: ٤٥)، وهكذا في بقية العبادات والمعاملات والأحكام الشرعية، والعقوبات. والإسلام يحرص كل الحرص على تهذيب سلوك الإنسان من خلال التعامل الإنساني الذي يُترجم عقيدة الإنسان وعباداته للوصول به إلى السمو الأخلاقي، والذي يكون قاعدة متينة لبناء مجتمع متعاون، علاقات أفراده قائمة على المحبة والمودة والرحمة والاحترام.

المسؤولية الأخلاقية

تتعدد معاني المسؤولية حسب الأمر المتعلقة به، وفي العموم هي حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته، فالمسؤولية هي التبعة، والمسؤول من الرجال هو المنوط به عمل تقع عليه تبعته، أما المسؤولية الأخلاقية فهي التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو فعلاً، أي تحمل نتائج هذا العمل أو القول إيجاباً أو سلباً.

والمسؤولية منها ما كان مدنياً أو جنائياً أو أخلاقياً، والأخلاقية ناشئة عن التزامه بالقانون الأخلاقي، في حال كون هذا الفعل ناتج عن إرادة حرة، أما الذي يصدر منه الفعل دون حرية، أو كون الفعل طبيعياً فلا يتحمل المسؤولية الأخلاقية. والمسؤولية الأخلاقية أشمل من المسؤولية القانونية، لأن الأخيرة تتعلق بتشريعات وقوانين تكون أمام الشخص، يتعامل معها وقد يتحايل عليها ويُجيرها لصالحه، لكن الأخلاقية دائرتها أوسع لأن علاقتها موصولة بالله الخالق، ومن ثم بالإنسان نفسه، وضميره، وبغيره من الموجودات والمخلوقات.

وعلاقة الإنسان بالقانون علاقة في الظاهر، تتغير حسب نوعية القانون، والقدرة على تنفيذه وضبطه، بخلاف الأخلاقية فهي قيم ثابتة لا تتغير، الجهة الرقابية فيها داخلية وليست خارجية، ذات سلطة أقوى وأكثر تأثيراً، وهي سلطة الضمير الذي يلازم صاحبه ولا يفارقه، وهي ما يسميها المسلمون بالنفس اللوامة، التي لها علاقة بالعقيدة والآخرة، والثواب والعقاب الرباني، وبالخير والشرّ: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**. (الأنفال: ٢٧)

ومن **ملامح المسؤولية الأخلاقية** في الإسلام أن الإنسان يتحمل نتائج أعماله، حسنة أو قبيحة: **{وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ}**، (النساء: ١١١)، ثم إن هذا الحساب لا يكون إلا بعد علم مسبق بالحلال والحرام، الخير والشرّ، وأحكام الشريعة: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا}**، (الإسراء: ١٥)، وقوله تعالى: **{ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ}**. (الأنعام: ١٣١)، ومن ملامح المسؤولية الأخلاقية المهمة؛ النية والحرية، وأن يكون الشخص قاصداً للفعل، راغباً فيه مالكاً الحرية الكاملة للفعل أو الترك، لقوله تعالى: **{لاَ يُؤَاخِذُكُمُ**

اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ}، (المائدة: ٨٩)، وقوله تعالى: **{مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن من شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**. (النحل:١٠٦)، وهذه المسؤولية هي مسؤولية فردية تتعلق بالشخص نفسه، ليس لها علاقة بالموروث، أو الجماعة، فأنا لا أتحمل مسؤولية أفعال أبي أو جدي، ولا مسؤولية أفعال مجتمعي، إلا إن كان لي فيها دور في هذه الأفعال.

والمسؤولية صفة لازمة للإنسان لا تفارقه، من قبل فعل الشيء وأثناء فعله وما بعد الانتهاء منه، فما كان قبل الفعل هي مرحلة نداء الواجب للفعل، والدعوة له للعمل، والثانية مرحلة الاستجابة للنداء بالفعل أو عدمه، والثالثة مرحلة تقدير الفعل والمحاسبة عليه، رضاً أو لوماً، والكل يقف أمام المسؤولية الأخلاقية الخاصة به والمرتبطة بمجتمعه، فهي ذات بُعد شخصي وبُعد جماعي.

إن تحمل الإنسان لتبعات المسؤولية الأخلاقية يجعل منه إنساناً إيجابياً فاعلاً في المجتمع، لا يصدر عنه إلا الفعل الخيّر، النابع من نفس مؤمنة ذات ضمير لوام، يولي مخافة الله حيزاً

كبيراً من تفكيره، فلا يُقدم على عمل إلا بعد عرضه على موازين الخير والشرّ، الحلال والحرام، فإن كان خيراً وحلالاً قام به، وإلا تركه مخافة الله تعالى، ومن هنا يكون إنساناً نافعاً، لبنة صالحة في المجتمع: **(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)**. (البخاري/٢٥٥٤)، من الإمام وهو رأس الهرم في المجتمع حتى قاعدته وهو عامة الناس.

الضمـــــير

وهو ما دل على متكلم أو مخاطب أو غائب، أنا، أنتَ، هو، تكلمتُ، تكلمتَ، تكلم، وهو أيضاً ما تضمره في نفسك ويصعب الوقوف عليه. وفي اصطلاح أهل العلم هو خاصية يُصدر بها الإنسان أحكاماً مباشرة على القيم الأخلاقية لأعمال معينة، فإن تعلق فيما وقع، صاحبه ارتياح أو تأنيب، وإن تعلق بما سيقع كان أمراً أو نـهياً، افعل أو لا تفعل.

ولفظ الضمير لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، ولا يوجد لفظاً يشترك معه في أصل الاشتقاق إلا كلمة (ضامر)، في قوله تعالى: {**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**}، (الحج: ٢٧)، ومع ذلك عبّر القرآن الكريم عن الضمير بالنفس اللوامة: {**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**}، (القيامة: ٢)، هذه النفس التي تقوم بمحاسبة صاحبها عما بدر منه، وكما يقول الإمام الطبري: "هي التي تلوم صاحبها على الخير والشرّ وتندم على ما فات"، ومن هنا يتفق المعنى المقصود لكلمة الضمير بمعنى النفس اللوامة الوارد في القرآن

الكريم مع المعنى المقصود في اصطلاح أهل الفكر، فهو جهاز مراقبة ومحاسبة داخل الإنسان السوي، يُقيِّم ويُقوم أعماله السابقة واللاحقة ويُصدر عليها حكماً أخلاقياً بالخير أو الشرّ.

وقد تعددت أقوال الفلاسفة تجاه الضمير، فالفلاسفة الحدسيون اعتبروه قوة فطرية تدرك الخير والشرّ حدسياً من غير خبرة سابقة. والفلاسفة الطبيعيون أرجعوا الضمير إلى التجربة وربطوا ما بين أخلاقية الضمير بنتائج الأعمال، ومن هنا جاء تعريفهم للضمير بأنه مركب من الخبرات العاطفية القائمة على أساس فهم الإنسان للمسؤولية الأخلاقية لسلوكه في المجتمع، وتقدير الفرد الخاص لأفعاله وسلوكه. ويرتبط الضمير ارتباطاً وثيقاً بالواجب، ويُشعر المرء بوعيه بأنه انجز واجبه تماماً وبأنه صافي الضمير، أما انتهاك الواجب فيكون مصحوباً بوخزات التأنيب والضمير في استجابته الإيجابية لمتطلبات المجتمع، فهو قوة دافعة قوية للتهذيب الأخلاقي للفرد.

أما علماء الاجتماع فيعتبرون الضمير مستوى أخلاقي للسلوك عند شخص معين، يتكون نتيجة لخبرته مع الجماعة، ولهذا يتشرب الفرد في عملية التنشئة الاجتماعية أعراف الجماعة

وقيمها، فالضمير عندهم هو دور الفرد في تكوين أو قبول المعايير الاجتماعية والمسؤوليات الأخلاقية.

وقد اعتبر (دوركايم)، الضمير بأنه نسق محدد من المعتقدات والمشاعر العامة لدى أعضاء المجتمع، وأنه نتاج للقيم والمشاعر المشتركة.

أما علماء النفس فيعتبرون الضمير مكون من مكونات الشخصية، أو نسق يُمثل المبادئ الخلقية ويدعو إلى انضباط السلوك وفق معاييرها، وعدم الخروج على القواعد والأعراف والقيم الأخلاقية التي تعارف عليها المجتمع، وهو يُثيب ويكافئ الشخص بالراحة النفسية إن تصرفت وفق القواعد الأخلاقية، ويعاقبها بوخز الضمير وتأنيبه إن تجاوزت تلك القواعد الأخلاقية وتجاهلتها، مما يوصله إلى عدم الشعور بالراحة والمتعة، وتفضيل الموت على الحياة من خلال الانتحار.

وعندهم أن الضمير يمارس عمله داخل الشخصية على المستويين الشعوري واللاشعوري.

وقد نال الضمير حظاً وافراً من اهتمام الفلاسفة وخصوصاً الفلاسفة المعاصرون، واختلقوا في علاقة الضمير بالقيم الأخلاقية، فأصحاب الاتجاه التجريبي (جون ستيوارت مل، وديفيد هيوم)، يرون أن الضمير هو مجموعة من الوجدان والعواطف، وأن الضمير يقع في القلب وليس في العقل.

أما أصحاب الاتجاه العقلي (ديكارت)، فهم يعتبرون الضمير ملكة عقلية مستقلة عن بقية الملكات الإنسانية، وأن هذه الملكة لها من القداسة والسلطة ما يجعلها مصدر الأحكام على الإنسان وأفعاله، وهي صائبة دائماً، لا تخطئ وهي التي تميز بين الأفعال الخيّرة والشرّيرة.

وهناك أصحاب الاتجاه الحدسي كما سبق ذكره، الذين يقولون بوجود مبادئ أخلاقية فطرية في طبائع البشر تتصف بأنها ثابتة لا تقبل التغيير، وأنها واضحة بذاتها لا تحتمل جدلاً ولا تقبل برهاناً، والضمير عندهم يعمل ذاتياً كما تعمل العين وكما يعمل العقل.

والضمير مما يُميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، لهذا اهتم به الإسلام اهتماماً كبيراً، ويحتل مكانة ثابتة، ومن مسمياته:

البصيرة، والقلب: {**وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه**}، وقوله تعالى: {**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**}. والضمير موجود وجوداً معنوياً في وعي الإنسان وليس له وجوداً مادياً كسائر أعضاء الجسم، فوجوده كوجود العقل.

والضمير له علاقة قوية بالذنوب والتوبة، فالإنسان الذي يرتكب ذنباً أو يفعل معصية يشعر بوخز الضمير، وهو ألم نفسي ينشأ عن وعي الإنسان بأنه عمل عملاً سيئاً، أو لا أخلاقياً، وبالتالي شعوره بتأنيب الضمير يأخذه إلى العمل الإيجابي وهو التقرب إلى الله والتوبة عن الفعل السيء أو المعصية، وبالتالي الابتعاد عن فعلها مرة أخرى.

إن الضمير ضابط من أهم ضوابط حركة الفرد والمجتمع، ومنظم لسلوك الأفراد والجماعات، وهو إنساني شمولي، ليس له علاقة بجنس أو لون أو لغة أو مكان، يزداد تأثيره كلما زادت علاقة الإنسان بقيم الدين والأعراف والعادات والتقاليد، وكلما زاد مستوى الفرد والمجتمع من المحصلة الفكرية والثقافية، وهو من المكونات الأساسية للحضارة الإنسانية، وراسم لمعالم رقيها أو انحدارها، وهو المحدد لسلوك الفرد تجاه كل ما يحيط به من

موجودات، حية أو جامدة، من مخلوقات وبيئة، وكلما ارتقى الضمير ارتقى سلوك الأفراد والمجتمعات، وكما أن الضمير علاقة مشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، كذلك هو محرك لعلاقة صاحبه بغير الإنسان من حيوان ونبات وجماد.

إن الإنسان صاحب الضمير الحي، إنسان فاعل ومنتج ومخلص، أين ما تواجد، في البيت، في المسجد، في الشارع، في العمل. الأب صاحب الضمير، والأم صاحبة الضمير يُخرجان جيلاً عظيماً، المعلم صاحب الضمير يُخرّج طلاباً على درجة من الوعي والفهم، العامل صاحب الضمير، الطبيب، والمهندس، والشرطي، والتاجر، كل صاحب ضمير في مكان وجوده هو لبنة صالحة في بناء هذا المجتمع، لهذا تهتم المجتمعات والحكومات وأصحاب الفكر بترسيخ الضمير في النفوس، والعمل على تهذيبه وتقويمه، فحينما يكون الضمير يكون العطاء والخير، وكلما تراجع الضمير تراجع المجتمع وتخلف، وتدهورت علاقات أفراده وتفسخت أواصره.

ونحن كشعب فلسطيني بحاجة ماسة لإعلاء رقابة الضمير، على المستوى الفردي والجماعي، حتى ينصلح الحال بعد أن

فسدت الضمائر، وخربت الذمم، وتراجعت بشكل واضح، نحن بحاجة إلى ضمير السياسي في تعاملاته وعلاقاته، بحاجة إلى ضمير التاجر والمزارع، حتى لا يفسدوا في الأرض على حساب البسطاء من الناس، بحاجة لضمير صاحب العمل أياً كان نوع العمل، فلا يأكل حقوق العاملين أو يزيدهم إرهاقاً في العمل، نحن بحاجة إلى ضمير الأب والأم، في العلاقة بينهما، وفي تربية الأولاد، نحن بحاجة إلى ضمير الجار مع جاره، والقريب مع قريبه، والأخ مع أخيه، نحن بحاجة إلى ضمير الغني مع الفقير، والقوي مع الضعيف، نحن بحاجة إلى ضمير الحاكم مع المحكوم، نحن بحاجة إلى ضمير العلماء ورجال الدين لتوحيد صفوف المجتمع ونزع أسباب الفرقة والشقاق.

وكلما كان الضمير حياً في نفس صاحبه، كلما دفعه للعمل والعطاء بإخلاص، فأصحاب الضمائر الحية هم الأكثر نفعاً لأنفسهم ومجتمعاتهم وللإنسانية عامة، الضمير هو الذي جعل الصادق صادقاً، هو الذي يدفع بالعامل ليخلص في عمله دون رقابة من صاحب العمل، هو الذي يجعل السياسي يقدم مصلحة الوطن والشعب على مصلحة التنظيم والحزب، هو الذي يجعل

من التاجر والمزارع أميناً في عمله، فلا يغش في تجارته ولا زراعته، الضمير الحي هو الذي يجعل الناس يتعاونون فيما بينهم على المصلحة العامة وخير البلد.

الضمير الحي أو النفس اللوامة هي التي تمنع الإنسان من ارتكاب جرائم القتل أو السرقة أو انتهاك أعراض الناس، قولاً أو فعلاً، الضمير الحي هو من يمنع الإنسان من خيانة وطنه وشعبه، ويكون عضواً نافعاً لمجتمعه.

الالتـــــزام

ومعناه التزام الشيء أو العمل به، والملتزم هو الشخص الذي يُوجب على نفسه أمراً لا يفارقه، وعلاقته بالقضايا الاجتماعية والأخلاقية، وأهم ما يظهر به الملتزم الإخلاص والصدق والاستقامة والأمانة، أما الإلزام فمنه قانوي وأخلاقي، والقانوني يقوم على بنود ومواثيق واتفاقيات مكتوبة، أما الأخلاقي فينشأ عن طبيعة الإنسان التي يشعر صاحبها بقدرته على التمييز بين الخير والشرّ، ومن ثم الاختيار لأحدهما، وأول صفات الملتزم هو حرية الإرادة والاختيار.

والإلزام الأخلاقي يعني ما يلزم فعله دون قسر أو إرغام، حيث يفعل الشخص من تلقاء نفسه ما يمليه عليه القانون الأخلاقي الذي يتند إلى حرية الإرادة الإنسانية واستقلالها، والفعل لا يوصف بالأخلاقي إلا إذا كان حراً، وإلا خرج الفعل من دائرة الأخلاق.

وقد تعددت أقوال الباحثين في مصادر الالتزام الأخلاقي كل حسب المدرسة التي ينطلق منها، فالبعض قال بأن مصدر الالتزام

هو الدين، سماوي أو وضعي سواء، والبعض قال ان التجربة هي مصدر الالتزام، لما تتضمنه من لذة ومتعة أو ألم وضرر، والبعض أوعز الالتزام إلى المجتمع، وفريق قال بالحاسة الأخلاقية التي هي الضمير، ومنهم من قال إن الواجب هو مصدر الالتزام، وبناءً على هذه الأقوال المتعددة اختلفوا حول كون الفعل الأخلاقي هل له قيمة ذاتية أم أن قيمته خارجية، فأصحاب الاتجاه المثالي قالوا بذاتية القيمة، وأن الأخلاق ليست مرتبطة بزمان أو مكان، وليست مشروطة بشروط، أما أصحاب الاتجاه الثاني البرجماتي فيربط بين الفعل الأخلاقي ونتائجه، وما تحقق من لذة ومصلحة ومنفعة ودفع ضرر.

وعلماء الإسلام ينظرون إلى الإلزام الخلقي على أن مصدره واحد مهما تعددت اتجاهاته، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية، والعقل هو المحور الرئيسي الذي يعتمد عليه الإنسان في الوصول إلى التمييز بين الخير والشرّ، والنافع والضار، معتمداً في أحكامه على القرآن والسنة، فبالعقل أضحى الإنسان مسؤولاً مسؤولية كاملة عن كل أفعاله التي يقوم بها، وهو مناط التكليف: **{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}**، (الملك:

١٠)، والعقل في المفهوم الإسلامي أهل لتحمل المسؤولية، قادر على إدراك الكثير من الأمور التي حللها الله وحرمها، إلا أنه لا يستطيع أن ينفرد بنفسه في تقرير كل ما يلزم هذا الإنسان من المعارف، وقد حرص الإسلام حرصاً شديداً على حماية هذا العقل من أي مؤثر يُؤثر على أدائه ووظيفته، وجعله من الضرورات الخمس التي هي مقاصد شريعة الإسلام.

وقد انقسم علماء المسلمين إلى مدرستين كبيرتين في هذا الخصوص، العقليون وهم المعتزلة ومن دار في فلكهم، الذين بالغوا في بيان أهمية العقل وسلطته وقدرته على التشريع، في المقابل كان علماء أهل السنة وخصوصاً الاشاعرة الذين قالوا بعجز العقل البشري وعدم قدرته على التمييز بين الخير والشرّ دون مساعدة ربانية، والنظرة الصحيحة أن نتوسط الفريقين ونأخذ من هذا الفريق بطرف ومن الفريق الثاني بطرف بحيث لا نجعل للعقل السلطة المطلقة الحاكمة على الفعل الإنساني، كما لا ننسى أن العقل هو المميز للإنسان عن بقية المخلوقات، ومن هنا لا يمكننا أن نجعل من العقل ذات صلاحية مطلقة في وضع تشريع كلي شامل، لأنه إن حرص على ناحية أغفل ناحية أخرى.

وفيما له علاقة بموضوع الالتزام النية، والتي هي الباعث على الفعل والتي مكانها، والنية تتصدر العمل وتسبقه، وهي شرط لخيرية العمل، والنية والعمل مرتبطان معاً، فليس ثمة عمل أخلاقي بغير نية، والنية لا تقف وحدها بل يرتبط بها الإرادة والتصميم والإخلاص، وهي في المنظور الإسلامي مقدمة في القيمة على العمل: **{مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا}**، (يونس: ٦٢)، وحديث النبي صلى الله عليه وسلّم: **(إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى)**. (البخاري/٥٤)، وقوله صلى الله عليه وسلّم: **(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)**. (مسلم/٤٧٧٩).

إلا أننا نجد المذاهب النفعية والقائلة باللذة تغفل هذا الجانب بشكل ظاهر، فيطهر منه مدى استخفافها بصفاء النفس وطهارة الباطن.

وقد وضع العلماء المسلمون جملة من الضوابط للالتزام الخلقي منها: أن التكاليف الإلهية جاءت منسجمة مع التكوين الإنساني؛ النفسي والجسدي، فتتناغم مع قدراته وامكانياته، فهو لم يكلفه بما ليس في وسعها، ومن هذه الضوابط أن التكاليف

الشرعية قائمة على اليسر وليس العسر، فهو قائم على تسهيل حياة الناس، فلا إفراط ولا تفريط، فلا ينبغي على المسلم أن يُضحي بالدنيا في سبيل الآخرة، وكذلك لا يضحي بالآخرة في سبيل الدنيا، فالاعتدال أمر ظاهر في كل عبادات الإسلام وتشريعاته.

إن الالتزام الخُلقي دلالة واضحة على رقي الشخص روحياً ونفسياً وعقلياً وسلوكياً، وهذه النوعية من البشر هي الأكثر نفعاً لنفسها ولمجتمعها، وهم من يساهم في رقي مجتمعاتهم وسعادتها، وهم الأكثر تعاوناً لما فيه الخير والمنفعة.

الإحســــــاس

هو أمر معنوي تشعر به النفس، يختلف من شخص لآخر، مصدره النفس وهي مختلفة من إنسان لإنسان، بل هي تتغير في النفس الواحدة من حالة إلى أخرى، فأحياناً يحس الشخص براحة وسعادة دون أن يعرف أسبابها، ولا مصدرها، وأحياناً يشعر بضيق وقلق دون أن يعرف أسبابها أيضاً، هذا الإحساس ليس له قواعد تضبطه، وقد يقع على المرء ضرراً إلا أنه يشعر بطمأنينة وراحة نفسية، وقد يحصل على نفع ولكنه يُحس بعدم ارتياح وضيق نفس، إذن ليس للإحساس قواعد محددة منضبطة، لا عند كل الأفراد ولا عند الفرد الواحد.

لكن ليس معنى هذا أنه ليس هناك ما يُسمى إحساس عام يشترك فيه كل الناس، فعلى سبيل المثال الإنسان يشعر بالرضا حين نجاحه في عمل ما، كل الأفراد يشعرون بهذا الإحساس، إذن هو إحساس عام، كذلك إحساسه بعدم الرضا عند الفشل هو إحساس عام، فهذا الإحساس ليس له علاقة بالهوية أو الثقافة أو

العرق والدين، إنما هو إحساس عام لكل البشر، كذلك الإحساس بالحزن لفقد عزيز، فكل الناس بغض النظر عن فروقاتهم يشعرون بالحزن والبكاء في مثل هذه المواقف: **{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ}**، (النجم: ٤٣)، فهو إحساس عام مشترك.

والإحساس مصدره حواس الإنسان الخمسة: البصر والسمع والتذوق والشم واللمس، وهي المصادر المادية للإحساس، وهناك مصادر أخرى معنوية، نبحث عنها أحياناً فلا نقع على تعيينها وتحديدها، هذه الحاسة هي قوة طبيعية لها اتصال بأجهزة الجسم التي يدرك الإنسان من خلالها ما يطرأ عليه من تغييرات.

وقد وردت لفظة (حس)، بتراكيبها في القرآن الكريم في ستة مواضع: **{فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ}**، (الأنبياء: ١١)، ولها معانٍ مختلفة، تأتي مرّة بمعنى العلم ومرّة السمع والقتل والخوف: **{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ}**. (آل عمران: ٥٢).

ومجالات الإحساس كثيرة ومتنوعة: الإحساس بين الزوجين فيما يتعلق بالأمور المشتركة، فكثيراً ما يربط بين الزوجين إحساس صادق برغبة الطرف الثاني في أمر معين، فيقوم الطرف الأول، الزوج أو الزوجة بإعداده وتجهيزه، ويتفاجأ الطرف الثاني

أنه كان يرغب في هذا الأمر لكنه فضل عدم طلبه، وهذا الأمر شائع بين الأزواج كثيراً، ولعل هذا يرجع لتعلق روح كل واحد منهم بالآخر. كذلك إحساس الأبوين تجاه أولادهم، والتعلق والاهتمام بهم، من لحظة وجودهم الأول، وعدم تعرض هذا الإحساس لمتغيرات الحياة، فنجد الأب والأم يشعر ويحس بالفرح لنجاح ابنه البعيد عنه والذي قد لا يلتقيه، نفس الأمر إحساسه بالحزن والقلق لما يتعرض له ابنه من المضايقات والمتاعب، ولولا هذا الإحساس الموجود في نفس الأبوين وهو إحساس فطري ربما لقصر كثير من الآباء بأولادهم أو تركوهم دون رعاية، لهذا نجد الأب يقوم بكل شيء نافع يرجو منه منفعة ابنه، حالاً أو مستقبلاً، من اختيار الاسم والرعاية به رضيعاً ثم طفلاً فصبياً فشاباً، والحرص على تعليمه وبناء شخصيته ليشق طريقه في هذه الحياة.

وهناك الإحساس بالمهمة التي خلق الله الإنسان من أجلها، وهي عمارة الأرض: **{وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}**، (هود: ٦١)، وقوله تعالى: **{وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرض فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}**. (الأعراف: ١٢٩)، في نفس الوقت إحساسه أن الله خلقه لعبادته: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**، (الذاريات: ٥٦)، والعبادة هنا بنوعيها

العام والخاص، وهي في مجملها كل عمل نافع نتقرب به إلى الله. فالإحساس الأول غاية في وجوده في الأرض، يجعل منه إنسناً فعالاً، خيّراً نافعاً، يعمل وينتج ويطور، فينهض بنفسه وبمجتمعه وبالإنسانية عامة، لا يقف نفعه عند حدود الوطن والدين واللغة والجنس، والإحساس الثاني عبادته لله يجعل منه إنساناً صالحاً يخاف الله ويرجو ثوابه، ويخاف عقابه، فيعمل العمل المفيد النافع، بعيداً عن الضرر والشرّ، والحقد والحيد والفتن، وكل ما يمكن أن يُؤذي غيره.

والإحساس أن يحس الشخص بالمسؤولية العامة تجاه الآخرين، الوطن والبيئة، الحيوان والإنسان، هذا الإحساس الذي يجعل منه محط احترام الآخرين وتقديرهم، يجعله يقوم بواجبه بأمر داخلي نفسي دون تدخلات خارجية، وقد أكرم الله الإنسان بالعقل ليحفظ من خلاله إحساسه، فبه يفكر ويدبر، ومن خلاله يتعرف على الموجودات فيزداد إحساسه بها وبهذا الوجود من حوله، وبعظمة خالقه.

وكما قلت الإحساس نابع من داخل النفس، وبالتالي لا يمكن أن يكون مخادعاً أو منافقاً، بل هو مرشداً للإنسان في حياته

وعلاقاته وتعامله مع الموجودات: إنساناً أو حيواناً أو طبيعة، هذا الإحساس الذي ينتج عنه الرضا أو السخط، أو اللذة أو الألم، الطمأنينة أو القلق، ولكن علينا ألا نستسلم لأحاسيسنا في كل أمر، بل نقيس الأمور بمقاييس الشريعة والعقيدة والعقل.

الفضيــــلة

وهي الدرجة الرفيعة في الفضل، وهي ضد الرذيلة والنقص والنقيصة، وفضيلة الشيء مزيته أو وظيفته أو كماله الخاص، والفاضل هو من غلبت فضائله رذائله بشرط البعد عن الرياء، وعلامة الفضيلة استحقاق صاحبها المدح. وعرّف العلماء الفضيلة بأنها استعداد تام ودائم لعمل الخير سواء كان واجباً أو تطوعاً، وتستخدم الفضيلة في المجال الأخلاقي، وتعني في العادة فعل الخير، والفضائل توسط مجمود بين رذيلتين: التفريط والإفراط، فالعقل وسط بين الدهاء والغباء، والسخاء وسط بين التقتير والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، ومن هنا ارتبطت الفضيلة بالعدل، لأن العدل نتيجة الفضائل، ولأن فضيلة الشيء هو اعتداله، وسعادة النفس باكتسابها الفضائل.

ومن الباحثين من اعتبر الفضائل مكتسبة أو نظرية، فهي مكتسبة كونها تحتاج للتدريب والممارسة، ويرتقي بها الإنسان درجة، درجة، وهي تختلف حسب الطبائع والذكاء. وقيل هي

فطرية تحصل بفضل الله، كأن يولد إنسان فيصير فاضلاً من غير ممارسة أو اكتساب وتعلم كالأنبياء والمرسلين وأصحاب الكرامات، والعلم ضروري لاكتساب الفضائل والتي به يعرف الإنسان حسنها من قبحها، فيفعل الأولى ويتجنب الثانية.

والفضيلة لا تعتبر فضيلة إلا في وسط اجتماعي، ومن خلال الاحتكاك بالناس والتعامل معهم، لأن من ترك مخالطة الناس وتفرد عليهم لا يحصل له فضيلة، فلا معنى للتواضع والصداقة والكرم، وغيرها من الفضائل إلا بالنسبة والتواصل والعلاقات لإنسان مع الناس ويشاركهم حياتهم. والبعض من الباحثين يعتبر الفضيلة مطلقة عامة شاملة ثابتة لا تتغير مع الزمن والمكان، ومنهم من قال إنها تختلف من زمام إلى زمان، فمثلاً فضيلة الشجاعة عند اليونان قديماً مفهومها غير الشجاعة في العصر الحديث، إلا أن هذا الكلام غير دقيق، فالشجاعة هي هي، ربما الذي اختلف هو أداؤها الوظيفي، وفي تعدد مجالاتها وطريقة طرحها.

وقد فرّق الباحثون بين الفضيلة والواجب، على اعتبار أن الفضيلة صفة نفسية علاقاتها بالباطن، أما الواجب فهو عمل

خارجي، وربما يكون هذا الواجب على غير قناعة من الشخص الذي يعمله، فأحياناً يجد الإنسان نفسه مضطراً لعمل ما لأن المجتمع والعرف والعادة تطلبه لكن دون قناعة به، لكن الفضيلة يندفع الشخص لفعلها بدوافع ذاتية داخلية، لهذا يقال أدى الواجب وحاز الفضيلة. والناس جميعاً مطالبون بفضائل عامة يجب أن يتصفوا بها لأنها من قوام الشخصية السوية كالصدق والعدل والوفاء والاحترام والنظام، ولا تكون الفضيلة فضيلة إلا إذا صدرت عن نفس حرة ذات إرادة لفعل الخير فإن فاعل الخير الفاقد لأريحية النفس لا يسمى خيّراً أو فاضلاً: **{وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ}**. (التوبة: ٥٤).

وعند الفلاسفة الإنسان تتحكم فيه ثلاث قوى إذا اعتدلت نتجت عنها الفضيلة: القوة العاقلة إذا اعتدلت نشأ عنها فضيلة الحكمة، والقوة الغضبية إذا اعتدلت نشأ عنها فضيلة الشجاعة، والقوة الشهوية إذا اعتدلت نشأ عنها العفة. ولفظة الفضيلة لم ترد في القرآن الكريم على هذا الشكل، لكن القرآن حث على الفضيلة بالمعنى لترتقي بالنفس الإنسانية، ليصبح عملاً محبباً إلى القلب، فالفضائل والأخلاق الحسنة والتخلق بها مقصد من أعظم مقاصد

الدين، عقيدة وشريعة، فقد ربط الله بين الإيمان والخُلق الحسن، والمعاملات لا تقوم إلا بالخُلق الحسن، وعلاقة الإنسان بربه ونفسه وبغيره من الناس، وعلاقته ببقية المخلوقات والبيئة والكون، كل ذلك مؤسس على قاعدة الأخلاق والفضيلة.

وفي مجال العبادات: الصلاة: **{تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ}**، (العنكبوت:٤٥)، والزكاة: **{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا}**، (التوبة: ١٠٣)، والصوم: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**، (البقرة: ١٨٣)، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل تنطلق إلى نظام المعاملات والعلاقات الأسرية، الفضيلة فيها هي قاعدة العمل في أي مجال من المجالات.

وأمهات الفضائل أربع: العقل والشجاعة والعفة والعدالة، ومن هذه الفضائل تتولد فضائل أخرى، فالعقل يتولد عنه جودة الفكر، وجودة الذكر، والفطنة وجزالة الرأي وجودة الفهم والحفظ. وفضيلة الشجاعة متى تقوت يتولد عنها الجود حال النعمة، والصبر حال المحنة، والتي ينتج عنها الشهامة. أما فضيلة العفة فيتولد عنها القناعة. وفضيلة العدالة يتولد عنها الرحمة والحِلم والعفو، وهذه

الفضائل حينما تجتمع في النفس الإنسانية ترتقي بها إلى مصاف الأنبياء والمرسلين في أخلاقهم، هذه الفضائل الأربع هي فضائل متلازمة، غالباً ما تجتمع في شخص واحد ونادراً ما تفترق.

وهناك من الفضائل ما يُطلق عليه "الفضائل التوفيقية"، وهي التي تكون بهداية من الله وتوفيقه، مثل فضيلة الرشد والهداية والتسديد والتأييد: **{الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}**. (طه: ٥٠).

والإسلام لا ينظر إلى الفضائل على أنها قيم ومُثل نظرية جمالية، بل يحث على العمل بها والتخلق بها وجعلها دثاراً يتدثر به الإنسان: **{وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}**، (آل عمران: ١٣٣)، ومنه قوله تعالى: **{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}**، (البقرة: ١٤٨)، فالدين حينما يطالبنا بفعل هذه الفضائل إنما يريد لنا ألا ننحدر إلى قاع الرذيلة، لأن الفضائل هي القاعدة الصلبة التي ينطلق من خلالها أي مجتمع للعمل والتعمير وصنع الحضارة والرقي والأمن.

أخلاق المتعلم

الكل يعلم أن الإسلام دين الأخلاق الحسنة والقيم الراقية، وأن الأخلاق مكون كبير من مكونات هذا الدين، القرآن الكريم والسنة النبوية والموروث الحضاري الطويل: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**. (أحمد/٨٩٣٩)، فهي قاعدة دين الإسلام وثمرته.

والأخلاق مطلب أساسي لكل الأمم على ظهر البسيطة، ولكل فرد من أفرادها، عاملاً كان أو تاجراً أو فلاحاً أو موظفاً، صغيراً أو كبيراً، غنياً أو فقيراً، عالماً أو متعلماً، رئيساً أو مرؤوساً، رجلاً كان أو امرأة، فلا غنى لأحدنا عن التخلق بالأخلاق الحسنة.

والمتعلم من أهم فئات المجتمع كونه من يبني مجتمعه على أسس من العلم والمعرفة، وبالتالي هو أجدر الناس بالتحلي بالأخلاق والقيم والصفات الحميدة، لهذا نجد العلماء من كل الحضارات والأديان وخصوصاً الإسلام، ومن قبلهم القرآن والسنة قد ركزت كثيراً على ترسيخ القيم في نفس المتعلم وأفردته بأخلاق خاصة به، حتى يتمكن من تحصيل العلم، ولنا في قصة موسى

بن عمران عليه السلام مع الخضر خير معين على علاقة المتعلم بالمعلم وبيان أخلاق المتعلم.

وطلب العلم أساس في معرفة الحق والحقيقة، وأعلاها معرفة الله وصفاته وأسمائه، ومن هنا جعله الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة، ودعا للسعي إليه وطلبه وتحصيله، لهذا جاء ذكر العلم والعلماء فيما يزيد عن ٨٥٠ موضعاً في القرآن الكريم، ورفع الله من شأن طالب العلم: **{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**. (سورة آل عمران: ١٨).

والسعي في طلب العلم والرحلة إليه وملازمة المعلم واجب شرعي، غير كونه ضرورة دنيوية، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة: **(من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة)**. (صحيح ابن حبان/٨٨).

والعلم شامل لكل ما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة، فعليه أن يحرص على تعلم كل شيء مفيد.

وقد اهتم العلماء بتأصيل علاقة المتعلم بالمعلم، وعلاقة المعلم بالمتعلم، من خلال كتب كتبها هؤلاء العلماء المتبحرون، وقد ذكرت بعضها سابقاً كالإمام الغزالي والماوردي وابن مسكويه وغيرهم، من القدماء والمحدثين، وقد ركزوا على مجموعة من الآداب والمحددات منها على سبيل المثال:

أولاً. تقديم طهارة النفس من رذائل الأخلاق ومذموم الصفات، إذ العلم عبادة القلب، والمتعلم في عبادة دائمة ما دامت حالته في تحصيل العلم قائمة، فعليه أن يتجرد ويتطهر ويتنظف من كل الرذائل والصفات السيئة، فكما يتطهر المسلم بالماء، على المتعلم أن يتطهر بالأخلاق الكريمة.

ثانياً. أن يقلل انشغاله بالدنيا خلال فترة تعلمه، لأن هذا يشغله ويصرفه عما هو إليه أحوج، والتفرغ لطلب العلم أهم في هذه المرحلة، فلا يصح أن يوزع فكره ويشغل ذهنه بأي أمر غير العلم كالتجارة وطلب اللهو واللعب مع الأهل والأولاد، وإلا فلن ينجح في تحصيل بغيته من العلم.

ثالثاً. عدم التكبر على العلم والمعلم، بل عليه أن يسلم نفسه وأمره كله للعلم والمعلم ويُقبل على نصيحته وأمره، ويُظهر

التواضع لمعلمه أياً كان مستواه ومكانته، وكما يقول الإمام الغزالي أن يكون كالمريض بين يدي الطبيب، بهذا يحصل الطالب والمتعلم على العلم من معلمه، كما يحصل المريض على الدواء من الطبيب، لكن إن أظهر التكبر والتمرد وأعرض عن العلم والمعلم أعرض عنه المعلم لغيره، وطلب العلم يحب الطالب المقبل لا المدبر.

رابعاً. تجنب الاختلافات والخوض في مسائل الخلاف، فهي تحيّر الذهن وتفسد العقل، والمتعلم في هذه المرحلة بحاجة لما يجمع قواه، لا لما يشتته ويحيره، وحينما يحصل على العلم ويطمئن لعقله لا عليه لو اطلع على الآراء المختلفة والأقوال المتعددة، فكلما ابتعد الطالب عن مواطن الخلاف كلما حصل من العلم ما يريد.

خامساً. أن يتعرف بقدر ما على سائر العلوم والمعارف بشكل عام، حتى يكون عنده قاعدة من المعرفة، فلا يُلزم نفسه من البداية في علم واحد، وعليه أن يحرص على معرفة مقاصد وغايات العلوم بعمومها، ثم فيما بعد لو تبحر في علم معين وبرز فيه لا مشكلة، ولكن بعد أن يتقن بقية العلوم ذات الصلة.

سادساً. عليه التدرج في طلب العلم، فالعلم لا يطلب دفعة واحدة وإلا سيكون كالمنبث الذي لا غاية أدرك ولا ظهراً أبقى، فعليه أن يأخذ من كل علم أهمه أكثره حاجة له، ثم عليه أن يراعي إمكاناته العقلية وما يتناسب معها، فلا يطلب ما يصعب عليه فهمه وحفظه، فلا يصح للمبتدئ أن يطلب مثلاً علم أصول الفقه، أو علم المقاصد والمآلات والمنطق، وإلا أفسدت عليه عقله وشتت ذهنه.

سابعاً. وكما يقول الغزالي أن لا ينتقل من علم لآخر قبل أن ينتهي من مسائل العلم الأول، وقبل أن يستوفي فنونه، لأن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق لبعض، فلا يصح أن ينتقل لعلم البلاغة قبل أن يستوفي مسائل النحو والصرف.

ثامناً. أن يعرف طريق نيل الرتبة والشرف من تحصيل العلوم وهي:

١. شرف الثمرة.
٢. وثاقة الدليل وقوته.

تاسعاً. حرصه على أن يكون مقصده تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة، والقرب إلى الله تعالى ونيل رضاه، وألا يكون مقصده الجاه والمال والرياسة ومباهاة العامة والأقران، وإلا لن ينال توفيق الله وسداد أمره، فما كان لله دام واتصل وباركه الله، وما كان لغير الله انقطع.

عاشراً. أن يحرص على تقديم المهم من العلوم والمعارف، ويؤثر القريب عن البعيد في المنال، وأن يأخذ بما ينفع الناس في دنياهم ودينهم وآخرتهم، وألا يخوض فيما لا طائل منه.

وقد ذكر الماوردي كتابه أدب الدنيا والدين جملة من الآداب على طالب العلم أن يحرص عليها، **أذكر هنا بعضها:**

١. حرصه على التذلل للمعلم ليتمكن من تحصيل القدر الأكبر من العلم على يديه، ولا يُقصد بالتذلل المعاب والمهين، إنما مقصده الاحترام والطاعة والتقدير وإظهار الحاجة وعدم التكبر عليه.

٢. أن يعرف ويحفظ المتعلم لمعلمه فضله ومنزلته وشكره، ويحرص على توقيره والإعلاء من قدره ومكانته،

وهذا ليس واجب المتعلم وحده بل واجب المجتمع والدولة والمؤسسات المعنية.

٣. الحرص على مهابة المعلم مهما طالت مدة صحبته معه، وعدم التبسط معه في أقواله وأفعاله، لأن ذلك سيكون معيقاً لتحصيل العلم والاستفادة من المعلم، فالحرص على احترام الفارق بين العالم والمتعلم ينفع في التمكن من العلم والحصول عليه.

٤. ألا يظهر المتعلم لمعلمه الاكتفاء والاستغناء والملل، فإن ذلك انقاصاً لقدر المعلم وهذا نوع من الجحود والنكران للجميل، بل عليه أن يوحي لمعلمه زيادة حاجته ورغبته.

٥. قد يكون المتعلم أنجب من معلمه وأوعى وأحفظ، ومع هذا عليه ألا يظهر ذلك أمام معلمه بل يكون به رفيقاً، فلا يظهر منه علامات الازدراء، بل يزيد في احترامه والتودد إليه ويحسن الاستماع له.

٦. مع حرصه على اخترام معلمه عليه ألا يكون كما يقولون كالميت بين يدي مغسله، بل يحرص على قبول العلم بعيداً عن الشبهات وألا يقبل ما يقوله معلمه على

علاته دون قناعة، وألا يكون مقلداً له في كل شيء، فعليه أن يُعمل عقله وفكره ويبحث ويستعمل الوسائل الصحيحة للمعرفة.

٧. حرصه على سؤال معلمه عن كل ما يعرض له من المسائل، ولكن يختار الوقت المناسب لذلك، حتى لا يبقى في نفسه شيئاً من الشكوك، فالعلم خزائن ومفتاحه السؤال.

٨. أن يحرص على طلب ما ينفع من معلمه، فأينما وجد ضالته من العلم حرص على نيلها والبحث عنها، وأن يلزم المعلم الذي ينفع، لا الذي يثير الشبهات والاباطيل والبدع.

٩. أن تكون وجهته الخير والنفع، لا يطلب الصيت وحسن الذكر وكثرة الأتباع.

بهذا ينجح المتعلم في مقصده من طلب العلم، وينال الحظ الأوفر منه.

القسم الأول

الأخلاق الحسنة

خُلق الإيثـــــار

الإيثار خُلق إنساني إسلامي عظيم، يميل إلى العمل أكثر من ميله للفكر والمعرفة، وله علاقة بالنفس فهو شعور إنساني بالميل للآخر، وقاعدته الحب والاحترام وطيبة النفس وإنكار الذات.

والإيثار منبعه دائماً الخير الذي غايته نفع الناس ورفع الضرر عنهم.

وهو في اللغة معناه التفضيل ومنه آثره يؤثره إيثاراً، أي فضله واختاره، ويقال آثر فلان على نفسه أي فضله وقدمه وكرمه.

وفي اصطلاح أهل العلم يطلق على كل فعل يهدف إلى منفعة الآخرين.

وهذا الخلق الاجتماعي العام جاء الإسلام فدعمه وجعله من الأخلاق الفاضلة التي يُثاب على فعلها، ولذلك جعله ركيزة من ركائز العلاقات الإنسانية، فالمسلم قد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه، ويموت في سبيل الله ليحيا غيره، وقد أثنى القرآن الكريم على هذا الخُلق الجميل الأثر بقوله: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى**

أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. (سورة الحشر: ٩).

وللإيثار مراتب ثلاث:

المرتبة الأولى: وهي أدناها، أن تنزل الغير منزلة الخادم تعطيه من فضل مالك وما زاد عن حاجتك دون أن يسألك حاجته.

المرتبة الثانية: أن تعامله معاملة نفسك، فتنزله منزلتك وتشاركه مالك ومتاعك.

المرتبة الثالثة: وهي أعلاها منزلة، أن تقدمه على نفسك، وتقدم حاجته على حاجتك، وهي أعلى مراتب المحبين المتصافين.

ومن قصص الإيثار ما ذكره حذيفة العدوي: قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت أسقيك، فأشار إليّ أي نعم، فإذا برجل يقول آه، فأشار ابن عمي أي انطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العاص، فقلت أسقيك

فسمع به آخر فقال آه، فأشار هشام انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات، رحمة الله عليهم أجمعين.

وهكذا يضرب هؤلاء الشهداء أعلى مثال في الإيثار، وتفضيل الغير على النفس وهذا هو شأن المسلم في هذه الحياة.

إن الأخوة في الإسلام وفي الإنسانية يترتب عليها حقوقاً وواجبات كثيرة، من واجب الأفراد والجماعات مراعاتها والقيام بها، ويتمثلوا مبادئها ويسيروا على هداها، فيقدم الواحد منهم أخاه على نفسه، فتتمثل في سلوكهم روح الإيمان الحقيقي، فتشيع بينهم المودة والمحبة، وتتحول حياتهم إلى هانئة سعيدة، يحفها الله برضاه ورعايته.

إن الإيثار على النفس ليدل دلالة واضحة على أن نفس المؤثر نفس عالية راقية، تحطمت على صخرتها كل الشهوات والرغبات، فهذا أبو بكر الصديق يتصدق بجميع ماله للنبي والمسلمين، ويسأله النبي ما أبقيت لأهلك فيقول أبقيت لهم الله ورسوله، هذا العمل إنما يدل على نفس هان عندها كل شيء أمام رضا الله ورضا رسوله ومصلحة المسلمين، وهذه هي الأخلاق

الإسلامية الراقية التي تصنع من صاحبها نموذج للحق والخير والعطاء، امتثالاً لقوله تعالى: **{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا}**. (سورة المزمل: ٢٠).

وهذا هو المطلوب منا الآن، في زمن كثر فيه المال إلى درجة لا يوصف، وفي نفس الوقت كثر فيه المحتاجون والجياع، أفراد يملكون المليارات، وفي نفس الوقت شعوب لا تجد لقمة العيش، ولاجئين بالملايين لا يجدون مأوى يقيهم البرد والمطر، أغنياء ينفقون الملايين على ملذاتهم وشهواتهم في ليلة واحدة، وملايين لا يجدون رغيف خبز يأكلونه، في هذه الظروف نحتاج إلى خُلق الإيثار والبذل والعطاء، حتى يبارك الله لنا فيما رزقنا.

ونحن كشعب فلسطيني أحوج ما نكون لمثل هذه الأخلاق، في ظل الحصار القاتل الذي يُفرض على أهلنا في القطاع، وفي ظل البطالة المستشرية في مجتمعنا، انعدام فرص العمل لعشرات الآلاف من العاطلين عن العمل، نحتاج أن يؤثر الطبيب على نفسه فيخفض من قيمة كشفيته، والصيدلي يخفض نسبة مكسبه في سعر الدواء، وهكذا التاجر الذي لا يرحم الناس بغلاء الأسعار، نحن بحاجة أن يؤثر أصحاب البيوت على أنفسهم شيئاً

من قيمة الإيجار، وأن يؤثر أولياء الأمور في تكاليف زواج بناتهم المرهق والمكلف، نحتاج إلى نظرة رحمة فيما بيننا لعل الله أن يرحمنا برحمته، وأن يُزيل عنا ما نحن فيه من ظلم السلطة واليهود والجيران الذين يغلقون علينا المعابر ويمنعون السفر والتنقل ودخول الحاجيات إلى قطاعنا المظلوم.

ما أجمل خُلق الإيثار ولو طبقناه في حياتنا العامة والخاصة لجلب علينا كل خير.

خُلق الإنصـــاف

وهو خلق عملي ينتشر بين الناس فيشيع فيهم روح الألفة والمودة، علاقته بالناس عامة لا يختص بدين ولا بجنس ولا لون أو مكان، يتعامل به كل الناس في بيعهم وشرائهم وكلامهم.

والإنصاف مأخوذ من النصف، أي نصف الشيء وشطره، ومنه الإنصاف في المعاملة، يقال أنصف الإنسانُ الإنسانَ إذا عدل معه وأنصفه من نفسه، وتناصف الناس إذا أنصف بعضهم بعضاً، وتناصفوا إذا تعاطوا الحق بينهم، وأنصفته إنصافاً أي عاملته بالعدل والقسط، وقيل الإنصاف إعطاء الحق من نفسك للغير.

وهذه المعاني كلها تنطلق من قيم أخلاقية ومبادئ سامية كلها تدور حول العدل والمساواة وإعطاء الحق وطلب المعروف.

والإنصاف في اصطلاح علماء الأخلاق هو إحساس تلقائي صادق بما هو عدل، ويقضي بإعطاء كل ذي حق حقه.

وقيل هو أن تعطي ما عليك من حق لصاحبه بطيب نفس سواء كان في المعاملة أو الرأي أو الأقوال أو الأفعال، وأن تتصف الآخرين من نفسك في حال الرضا والغضب، وأن يكون ذلك خلقك مع من تحب ومع من تكره سواء بسواء.

وخلق الإنصاف يشمل كل مناحي الحياة، المادية والمعنوية؛ الإنصاف مع الإنسان ومع الحيوان والطير والبيئة والزرع.

فالإنصاف مع الدين بجعله منهج حياة، والإنصاف مع الأخلاق بجعلها سلوك حياة، والإنصاف في العمل بالصدق والإخلاص، والإنصاف مع الأبوين بطاعتهما وبرهما، والإنصاف مع الزوجة باحترامها ورحمتها والتعامل معها بحق الله تعالى، والإنصاف مع الأبناء بتربيتهم التربية الصالحة وعدم التفريق بينهم، والإنصاف مع الجيران والخدم والعمال، وهكذا ينتقل الإنصاف من زاوية لزاوية ومن مجال لمجال حتى يشمل كل مناحي الحياة.

ومن الإنصاف أن يُنصف المرء نفسه من القيام بحقها وعدم إيذائها والتقصير فيها: **{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ**

إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. (سورة البقرة: ١٩٥).

وخلق الإنصاف لا يفرق بين الناس حسب دينهم ولغتهم وقوميتهم، فهم جميعاً سواء، إخوة في الإنسانية كل واحد منهم له حق على الآخر، وهو خلق إنساني شامل، لا يقتصر على المسلم دون غيره، أو العربي فقط، بل كل الناس ينصف بعضهم بعضاً، والدول تنصف بعضها بعضاً، وهذا كان خلق المسلمين حينما أنصفوا الشعوب التي كانت سلطتها، فقامت بحقهم وأنصفتهم فلم تظلمهم ولم تفرض عليهم أن يتركوا دينهم ليدخلوا في دين الإسلام، بل تركت لهم حرية العبادة وإقامة شعائرهم دون مضايقة وهذا أرقى أنواع الإنصاف.

ومن مظاهر الإنصاف في الإسلام قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود في سننه: **(إن لنفسك عليك حقاً ولربك عليك حقاً ولضيفك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه)**. (البخاري/١٩٦٨).

وكما سبق ذكره فإن للجسد حق وللروح حق وللعقل حق، وذلك حمايته من الفكر المنحرف والمشوش، أو تعاطي أي شيء

يؤثر فيه ويعطل قواه كالخمر والمخدرات بأنواعها وأشكالها المختلفة.

ومن مظاهر الإنصاف في المجتمع الإسلامي إنصاف غير المسلمين، فقد قرر لأهل الذمة من الحقوق مثل ما للمسلمين، كما أن عليهم من الواجبات كما على المسلمين إلا ما استثناه الشرع الحكيم، وحياة أهل الذمة لمئات السنين في المجتمع الإسلامي واستمرارية وجودهم أكبر دليل على إنصافهم والعدل معهم، يكفيهم قول النبي عليه الصلاة والسلام في حقهم: **(ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة).** (التقييد والإيضاح/ العراقي/٢٤٦).

وقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني في المعجم الأوسط: **(من آذى ذمياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله).**

ونحن في فلسطين أحوج ما نكون إلى خلق الإنصاف حتى نتمكن من مواجهة المحتل اليهودي لأرضنا ومقدساتنا، الإنصاف في علاقاتنا الاجتماعية وفي تجاراتنا وبيعنا وشرائنا، الإنصاف مع

العامل والموظف، الإنصاف في علاقة الأب بأهل بيته، أولاده وزوجته، الإنصاف في خصوماتنا ومنازعاتنا، أن ينصف الرجل ذوي الحقوق من أهله وإخوانه وأخواته.

والإنصاف أدعى لنشر روح المحبة والتعاون والألفة بين الناس، فلا يتظالموا ولا يتنازعون فيما بينهم، والأمر ليس صعباً ولا عسيراً فلما يُعطى كل ذي حق حقه من صاحبه تصفو النفوس وتنزع منها نفثة الشيطان، وبهذا نكون مجتمعاً صحيحاً، وليبدأ كل واحد من عند نفسه، فنلتقي كلنا عند نقطة واحدة.

خُلق التسامح

من الأخلاق العامة خُلق التسامح، فهو عام شامل لا يقتصر على أهل دين ما، ولا جنس أو لون، بل هو يشمل كل البشر، أبيضهم وأسودهم، وهو من السماح والسماحة أي الجود، سمح به أي جاد وسمح له أي أعطاه، والمسامحة المساهلة، تسامحوا تساهلوا ويقال في السخاء سمح.

وخلق التسامح يطلق ويراد به الرحمة والعفو والمغفرة والصلح والصفو، ومن هنا جاءت أهمية هذا الخلق كونه يشتمل على كل ما سبق من قيم أخلاقية راقية وعظيمة، وبالتالي أي شخص اتصف بالسماحة فإنه يكون قد امتلك جماع الأخلاق.

والتسامح ثمرة الإيمان ودليل على الزهد في حطام الدنيا، ورغبة صاحبه في التقرب إلى الله تعالى.

وقد ركز الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية وتراث الأمة الحضاري الكبير، على التسامح في كل أمر من أمور الدين والحياة، فالعقيدة الإسلامية عقيدة سمحة لا تعقيد فيها ولا تشديد ولا قهر ولا إفراط وتنطع، وكذلك عبادات الإسلام ومعاملاته، كلها

قائمة في مقاصدها على روح التسامح والرحمة والصلاح، فكل إنسان يستطيع أن يمارس عبادته بطريقة سمحة وسهلة ودون تكلف وتعقيد. وكذلك المعاملات نجدها تطبيق عملي للسماحة والتعاون والعفو، تعمل على قيام تعاون خيّر فعال بين أفراد المجتمع.

ولو نظرنا إلى تشريعات الإسلام في العلاقات الاجتماعية والعلاقات الدولية لوجدناها قائمة على التسامح بشكل رائع وجميل، علاقة الزوج بزوجته وأولاده، علاقة الإنسان بجيرانه، مع زملاء العمل، حتى مع الحيوان هي قائمة على التسامح والمحبة والعفو.

وقد اشتمل القرآن الكريم على آيات عديدة تدعو للتسامح والعفو، حتى تقوم علاقات أفراد المجتمع على أسس قوية وتعاون مثمر، **{قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**. (سورة الجاثية: ١٤)، وقوله تعالى: **{وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**. (سورة النور: ٢٢) وقوله تعالى: **{فَمَنْ**

عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ}. (سورة البقرة: ١٧٨).

وما رواه البخاري (٢٠٧٦): **(رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)**، وعند الإمام أحمد: **(اسمح يسمح لك)**. أي يسمح الله لكم في الدنيا بالإنعام وفي الآخرة بعدم المناقشة في الحساب.

وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام نموذجياً للسماحة والتسامح، روى البخاري عن أنس بن مالك قال: **(كنت أمشي مع النبي وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء)**. (٣١٤٩).

حتى أن النبي كان يهتم بالسماحة في الصوت والآذان: ذكر ابن عباس أن النبي قال لأحد مؤذنيه: **(الآذان سهل سمح فإن كان آذانك سمحاً سهلاً وإلا فلا تؤذن)**. (الدارقطني/٤٢٠).

إن مردود خلق السماحة مردود كبير على الفرد والمجتمع، فأيما إنسان تخلق بخلق السماحة إلا وجد من حب الناس واحترامهم له وتعاونهم معه الشيء الكثير، كذلك انعكس على صاحبه من راحة البال وطمأنينة النفس والسعادة والأمن والسلام، فيطمئن المرء على نفسه وماله وأهله.

ولم تقتصر سماحة المسام مع المسلم بل تعدته إلى غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، فعاش هؤلاء حياة آمنة مارسوا فيها متطلبات حياتهم الدينية والدنيوية، فتعبدوا الله حسب شعائر دينية بكل أريحية ولم يجبرهم أحد على ترك دينهم والدخول في الإسلام، كذلك كانوا آمنين على بيوتهم وأموالهم، حتى أصبحوا من أثرياء البلاد، ولم ينقصهم شيء. كل هذا نتاج خُلق التسامح الذي تخلق به الناس.

هذا الخُلق للأسف نجد بعض المجتمعات والدول تفتقده في قوانينها ومعاملاتها، فيتعاملون مع الآخرين على درجات من الحقوق، فتفرض على غير أبناء البلد القوانين المجحفة وتمنعهم حقوقهم، كحق التعليم والتملك وحرية التنقل، بل نجد دولاً تحاصر

شعوباً أخرى ظلماً وعدواناً، كما يحدث مع شعب قطاع غزة الذي تجاوز حصاره العشر سنوات.

إننا في فلسطين أحوج ما نكون إلى خلق التسامح، حتى نحيا حياتنا طبيعية دون معيقات، أو منغصات، وحتى نقوى على مواجهة عدونا اللئيم، التسامح على مستوى الأسرة، بين الزوج وزوجته، والأب وأولاده، وبين الجيران فيما بينهم، التسامح بين التجار وعامة الناس، التسامح بين النظام الحاكم (السلطة) والشعب بجميع فئاته، التسامح بين صاحب العمل والعمال الذين يعملون عنده.

لا يجوز أن يجتمع علينا قسوة الاحتلال والحصار وغلاظة أخلاقنا وسوء تعاملنا مع بعضنا البعض، بل يجب أن نعمل على تخفيف وطئت ما يقع علينا من عدونا، بتسامحنا فيما بيننا.

إن خلق التسامح يصنع مجتمعاً متعاوناً ومتحاباً، وتلتقي فيه الأيدي على الخير والصلاح، وبالتالي تخفف من متاعبنا ومشاكلنا وهمومنا.

خلق التفـــاؤل

خُلق التفاؤل ونقيضه التشاؤم، خُلق خاص يلازم الفرد في علاقته بالحياة والناس، فيترتب عليه سلوك ما ينصف به هذا الشخص، فيقال هذا الشخص متفائل وهذا الشخص متشائم.

والتفاؤل في اللغة بمعنى التيمن بالشيء وهو كل فعل أو قول يُستبشر به. والتشاؤم بمعنى الشر والمتشائم هو المتطيّر من الشيء والظن بالحياة وهي خلاف اليُمن.

وفي الاصطلاح التفاؤل الأمل بالشيء وتوقع الخير، وأما التشاؤم فهو التطير بالشيء ومن الشيء وذلك بتوقع الشر، وقيل التفاؤل أن تسمع كلاماً حسناً فتتيمن به.

والإسلام يهتم كثيراً في إعلاء قيمة الأمل والتفاؤل في نفس الإنسان، لأن النفس المتفائلة نفس تملك الثقة والاستعداد للعطاء، نفس مرحة تضفي على صاحبها وعلى من حولها جو من السعادة والهدوء والطمأنينة، فالمتفائل دائماً مصدر خير وعطاء، يدفع نفسه للعمل والاجتهاد ولا يستسلم للظروف القاهرة والمعيقات، بل بالعكس من خلال تفاؤله يفتح الأبواب التي يظن غيره أنها مغلقة،

ويفتح مجالات قد تكون محظورة وهذا نابع من الإيمان القوي والذي يتحكم به، الإيمان بالله والإيمان بقدرته على التغيير.

ولكن المتشائم الذي يضع لنفسه المعيقات والمطبات تتحكم فيه الحيّرة والشك واليأس والفشل، وبالتالي يتراجع ويتخلف ويفشل في اللحظة التي ينجح فيها غيره.

وديننا الإسلامي يدعو إلى التفاؤل ويُحارب ويُحرّم التشاؤم، لدرجة أن من العلماء من يعتبر التشاؤم والطيرة من الكبائر، وأنه يُحرّم الاعتقاد بها والعمل بها، لقول النبي صلى الله عليه وسلّم: **(الطيرة شرك وما منا إلا تطيّر لكن الله يذهبه بالتوكل)**. (أبو داود/٣٩١٠)، كما رواه الترمذي. وكما ورد عن الإمام أحمد: **(من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)**. (إصلاح المساجد/ الألباني/١١٧).

ومن التفاؤل أن تنظر إلى الأمور نظرة الواثق بالله، غير العاجز، نظرة الخير والرضا، **(تفاءلوا بالخير تجدوه)**، فالعامل الذي يخرج من بيته يملئ قلبه التفاؤل لا بد أن يجد عملاً يرتزق منه، وهكذا المزارع والبائع والطالب والطبيب والمريض، والزوج في علاقته بزوجته، يتفاءل بها الخير، ولا ينظر إليها نظرة المتشائم،

الجندي في معركته يتفاءل بالنصر والنصر على عدوه، والتاجر في بيعه وشرائه، يتفاءل فلولا التفاؤل ما تقدم الإنسان، وما بنى حضارته على هذه الأرض.

ولولا التفاؤل ما نجح الأنبياء في تغيير عقائد الناس الفاسدة وسلوكياتهم السيئة، وأخلاقهم الذميمة.

لولا التفائل ما نجح الطالب في دراسته وتفوق على غيره.

لولا التفاؤل ما استطاع الأطباء من اكتشاف الأمراض وصناعة الدواء المعالج منها.

وإذا أردنا أن نعرف أهمية خُلق التفاؤل فعلينا أن نلاحظ أثر هذا الخلق في حياة صاحبه، فالمتفائل تراه مبتسماً في الغالب، مطمئن النفس، منشرح الصدر، إذا تكلم تسمع منه كلاماً طيباً، وترى منه أفعالاً إيجابية حسنة، وإذا قصده غيره في أمر من الأمور عادوا من عنده بالخير والفائدة، فهو كبائع العطر، إما أن تشتري منه وإما أن تشم منه الرائحة الطيبة.

ودائماً الذين يصنعون المجد لأنفسهم وشعوبهم هم المتفائلون الذين يأخذ بأيديهم التفاؤل إلى النجاح، فالقائد المتفائل الواثق

بنفسه وبمن حوله يصنع المجد والانتصار لشعبه، وينهض بوطنه وأمته، ويُوجد لهم منافذ النجاح من العدم، فالمبدعون في شتى المجالات هم أناس متفائلون، يسيطر على عقولهم وقلوبهم روح الأمل. عكس المتشائم الذي يكون سبباً لفشل نفسه وفشل من حوله، ويُعيق كل نجاح بما يضع أمامهم من عقبات.

المتفائل دائماً يثق في الآخرين ويحترمهم ويتعاون مع غيره من العاملين والمبدعين، والمتشائم دائماً شاك في غيره، يمتلكه اليأس والقنوت، محبط فاشل، شاك في غيره متأرجح.

لهذا قالوا لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس.

ونحن كشعب فلسطيني أحوج ما نكون إلى الأمل والتفاؤل ونبذ روح التشاؤم واليأس، ولولا روح الأمل ما استطاع شعبنا أن يقف في وجه المؤامرات، ضده وضد قضيته ووجوده، لكننا بالأمل والتفاؤل استطعنا أن نحطم كل المعيقات ونقف على اقدامنا، ونطور من أحوالنا في مواجهة عدونا اليهودي ومن يسانده، وننطلق من نقطة الصفر حتى وصلنا لصناعة تعادل الرعب عند عدونا، الذي يحرص دائماً على أن نبقى متشائمين يائسين.

نحن بحاجة إلى التفاؤل على مستوى العلاقات بين الناس والأسرة والجيران، والحي، في علاقة المواطن بالسلطة وعلاقة الطالب بمعلمه.

التفاؤل بأن الله لابد ناصرنا لأننا نحن أهل الحق وعدونا هو المعتدي، التفاؤل بأن المستقبل هو لنا وليس لعدونا.

إن خُلق التفاؤل صانع للأمجاد ومحطم المعيقات، فلا تقدم بلا تفاؤل، ولا نجاح بلا تفاؤل، ولا نهضة بلا تفاؤل، ولا أمن واستقرار بلا تفاؤل .. تفاءلوا بالخير تجدوه.

خُلق التواضع

نلتقي بخلق جديد من الأخلاق العظيمة التي لها جانب خارجي وداخلي باطني، والتواضع لغة مشتق من الضعة وهو رضا النفس بمنزلة، دون ما تستحقها من فضل ومنزلة، وغالباً يكون التواضع عند عظماء القوم وكبارهم، كالملوك وأجلاء الناس وأصحاب المنزلة العالية فيهم.

والتواضع منزلة متوسطة بين الكبر والوضاعة، فهي منزلة بين وضيع ورفيع، فمع عظيم مكانته إلا أنك لا تصفه بالمتكبر، ولا بالحقير والوضيع. والتواضع أول ما يبدأ من القلب فينعكس على الجوارح والأفعال.

وقد مدح النبي خلق التواضع والمتواضعين، وكذلك دعانا القرآن الكريم إلى التواضع بقوله تعالى: {**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**}. (سورة الشعراء: ٢١٥).

وخُلق التواضع يكون مع الله تعالى ورسوله ومع الخلق أجمعين، فالمسلم يتواضع مع الله بتقبل دينه، والخضوع له سبحانه وعدم الاعتراض على أوامره، ويتمسك بشرعه، ويتواضع مع النبي صلى الله عليه وسلّم بالتمسك بسنته وهدية، ويتواضع مع الخلق بعدم التكبر عليهم والاعتراف بحقوقهم وعدم تجاهلهم.

وخُلق التواضع صفة محمودة تدل على طهارة النفس، وتدعو إلى المودة والمحبة والمساواة بين الناس، وينشر بينهم الترابط ويزيل الحسد والغيرة والبُغض والكراهية من قلوب الناس، وفوق هذا كله فهو مرضاة لله تعالى فيه الأجر العميم، قال النبي صلى الله عليه وسلّم: (**وما تواضع أحد لله إلا رفعة الله**).

(مسلم/٢٠٢٩)، وقال عليه الصلاة والسلام: **(إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)**. (مسلم/٥٢٤٠).

والتواضع عده العلماء من أعلى مراتب الفضائل لما فيه من دلالة الشهامة والمروءة، وهو في نفسه نعمة عظيمة أنعم الله بها على نفس المتواضع، لأنه ليس سهلاً أن يكون المرء متواضعاً، والتواضع خاصة من خصائص الأنبياء جميعاً، ومن صور تواضع النبي ما حدث منه يوم فتح مكة وانتصاره على المشركين حيث خفض رأسه تواضعاً لله عندما أكرمه بالفتح، حتى كاد شعر لحيته يمس وسط ناقته.

وحتى يتمكن خُلق التواضع في نفس الإنسان عليه أن يجتهد في علاج نفسه وكشف كربتها وزلاتها، وأن يستحضر الآخرة واحتقار لدينا والحرص على الفوز بالجنة وأن يحرص على الوفاء بحقوق الناس وأن يلين الجانب معهم ويحتمل اذاهم ويصبر عليهم لقوله تعالى **{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}**. (الحجر: ٨٨).

كذلك من عوامل استحضار التواضع في حياة الإنسان أن يعرف قدره بين أهله وناسه وجماعته وأن يعرف وزنه عند أحبابه،

ومن تواضعه لدين الله واستسلامه لشرعه، فلا يتبع الهدى، بل يلتزم بأمر الله ونهيه، في نفس الوقت يحرص على ترك الشهوات المباحة والملذات الكمالية احتساباً لله تعالى وتواضعاً له مع القدرة على فعلها والتمكن منها، كما نبه لذلك النبي عليه الصلاة والسلام: **(من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخبره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها)**. (أحمد/١٥٦١٩).

ومن خُلق التواضع القيام ببر الوالدين وطاعتهما وإكرامهما والخوف عليهما والبشر لهما، كذلك تفقد الفقير والمسكين ومواساتهم بالمال والقيام بحاجاتهم، نفس الأمر مد يد العون للمرضى وزيارتهم والتخفيف عنهم بالحديث معهم والصبر عليهم.

والمتواضع له في رسول الله قدوة حسنة، فقد كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته، ويحلب شاته ويخدم نفسه، ويأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم، وكان لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، ويقول لأصحابه لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله.

من هنا كان المتواضع فخوراً بتواضعه كون النبي عليه الصلاة والسلام قدوته.

إن التواضع من أرقى الفضائل التي تعود على صاحبها والمجتمع بالخير العميم، والفائدة الملموسة، وتتجح في صنع مجتمع متكافل متعاون.

ونحن كمجتمع فلسطيني بحاجة إلى تواضع الناس فيما بينهم، الغني يتواضع للفقير، والمتعلم لغير المتعلم، وصاحب العمل مع عماله وخدمه، والطبيب مع مرضاه، والمعلم مع طلابه والموظف مع المترددين عليه لقضاء حوائجهم، وصاحب السلطة والجاه لمن هم تحت ولايته وحكمه.

ما أجمل أن يتواضع الزوج في علاقته مع زوجته وأولاده فلا يعاملهم بعنجهية، وكبر، ولا يُقصرّ في حقوقهم وواجباتهم، كذلك التواضع بين الجيران والأقارب.

من التواضع أن يرحم التاجر الناس في بيعه وشرائه، فلا يستغل ولا يرفع الأسعار ولا يغش.

إن صراعنا مع عدونا اليهودي في فلسطين يحتاج منا التكافل والتراحم وأن يكون الناس يداً واحدة وقلباً واحداً. بهذا نصل إلى ما نصبو إليه من عزة ورفعة.

خلق الجمـــال

قد يتعجب البعض حينما نعتبر الجمال خُلقاً يتخلق به الإنسان في أقواله وفي أفعاله وفي هيئته، والجمال هو الحُسن والتجمل هو تكلف الجمال، فكلمة الجمال في اللغة تطلق على المناظر الجميلة والحسنة، ووصف للأفعال الحسنة في السلوك الإنساني ويكون حسياً ومعنوياً.

وذكر القرطبي صاحب التفسير العظيم أن الجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال، فأما جمال الخلقة فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائماً، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر، وأما جمال الأخلاق فكونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد، وأما جمال الأفعال فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرفاً الشر عنهم.

وخُلق الجمال له جانبان حسي ومعنوي، والجمال المعنوي مردوده للأخلاق الحسنة كونه تعبيراً عن الخير على نحو الذي

نجده عند كثير من الفلاسفة، إلا أن ديننا الحنيف يجعل هذا الخُلق يُسهم في سمو المجتمع البشري ويدفعه إلى تحقيق رسالته: **{فاصبر الصبر الجميل}**. (المعارج:٥) **{فاصفح الصفح الجميل}**. (سورة الحجر:٨٥).

ومن الجمال الحسي الذي ورد ذكره في القرآن قوله تعالى: **{ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون}**. (سورة النحل:٦)، هنا تملأ النفس جوانبها سعادة ومسرة، ولا ننسى الجمال في الكون وموجوداته من حيوان وطائر وزرع متنوع الأنواع والأشكال: **{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (٩) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا**

بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}. (سورة ق: ٦-١١).

ودين الإسلام يُؤْثر الجمال المعنوي على الجمال الحسي، فالجمال المعنوي هو الأبقى فهو جمال الأبدية والذي يكون نتاج التمسك بمنهج الدين القويم، ولو تأملنا الجمال في القرآن لوجدناه مقترناً بأنماط من السلوك البشري، فمرة اقترن بالصبر ومرة اقترن بالفصح ومرة اقترن بسراح المرأة من عصمة زوجها، ومرة بالهجر الجميل، وهي جميعها من الصفات التي تزداد النفس بها جمالاً وكمالاً.

وكلمة الجميل وردت وصفاً لله تعالى على لسان محمداً صل الله عليه وسلم: **(إن الله جميل يحب الجمال).** (مسلم/٩١)، ومعنى الجميل هنا المنزه عن النقائض والموصوف بصفات الكمال، ذو النور والبهجة.

وتبين لنا أن القرآن الكريم يقدم الجمال صفة للسلوك الإنساني المرتبط بالخير المؤدى لتنمية الإنسان وتصويب اتجاهه نحو الفطرة والتآلف والمحبة، ويرى أن الجمال هو الانسجام بين

القول والفعل، فحين ذاك يعبد المرء عن الادعاء والكذب والرياء، ويكون نفسه، وليس تلك الصورة التي تريد تقديمها للآخرين.

إن مردود خُلق الجمال في حياة الإنسان قولاً وفعلاً أو هيئة مردوداً رائعاً وعظيماً، ينعكس على صاحبه بالخير وينعكس على الناس بالخير، وأول مردود هو راحة النفس التي تنتشر بين الناس، راحة النفس التي تزيد من تعاونهم وترابطهم وتوادهم، وبالتالي ينعكس ذلك على العمل والإنتاج وتقدم المجتمع وازدهاره.

من جمال القول أن ينتقي المرء ألفاظه وكلماته حين الحديث مع غيره كبيراً أو صغيراً، وأن ينتقي لكل موقف ومقام ما يناسبه من كلمات، ومن الجمال في القول أن يبعد المرء عن السباب والشتائم والفض في الألفاظ والسوقي من الكلمات، وأن لا يُسمع الناس إلا ما يروق لهم من جميل الكلمات: **{فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا}**. (الإسراء: ٢٨). **{فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا}**. (طه: ٤٤).

من جميل الفعل أن يخلص الإنسان في عمله إن كان خاصاً أو عاماً، وأن يجتهد في هذا العمل حتى يحصل على ثقة الناس واحترامهم، فلا يغش ولا يخدع ولا يزور ولا يخون: **(إذا عمل أحدكم عملاً فليتقنه)**. (الأوسط للطبراني/٨٩١)، فالعامل المهني

يخلص في عمله والصانع يجيد صناعته والمزارع لا يستخدم المبيدات التي تضر بالمستهلكين. وكذلك المعلم والطبيب والطالب والجندي والسياسي والتاجر وغيرهم من شرائح المجتمع، كل يخلص في عمله، بهذا يكون جميلاً.

وخُلق الجمال خلق إنساني عام شامل لا يفرق بين الناس حسب دينهم أو لونهم أو جنسهم، فلا فرق بين إنسان وإنسان، الكل يكون جميلاً مع غيره دون تحديد هوية هذا الغير، وهنا نصل إلى حياة إنسانية متعاونة ومتآلفة، نسعى جميعنا لخيرنا وصلاحنا، وهذا ما يدعو إليه ديننا الإسلامي الحنيف.

ونحن في فلسطين بحاجة إلى خُلق الجمال في حياتنا على جميع المستويات، الفردية والجماعية، والمعنوية والحسية في داخل بيوتنا وخارجها، في مدارسنا ومساجدنا وأسواقنا ومستشفياتنا، شوارعنا ومجالسنا، ملتقياتنا.

الزوج مع زوجته والأب مع أبنائه، الأخ مع إخوته، والرجل مع جيرانه وزملائه في العمل، المعلم مع طلابه، والطبيب مع مرضاه، والتاجر مع زبائنه، والسائق مع ركابه.

منظومة حياتنا كلها تحتاج إلى إعادة صياغة من جديد، تعتمد على الجمال كمقوم أساسي لبناء هذه الحياة، يوم أن نصل إلى هذه الروح الجميلة وهذا الخُلق الرائع نكون قد حققنا ما يصبو إليه ديننا وطموحنا الوطني من قيام مجتمع نموذجي متعاون ومتآلف ومتحاب.

خلق الحيـــاء

الحياء في اللغة بمعنى الاستحياء ورجل حيي أي ذو حياء وامرأة حيية صاحبة حياء، ولها معانٍ أخرى منها الخجل والانقباض والحشمة والامتناع، وهي خُلق له علاقة قوية بالعفة، وعرّفها أهل الاختصاص بأنها "انحصار النفس خوف إتيان القبائح والحذر من الذم والسب الصادق".

وخُلق الحياء عندنا له علاقة بمكارم الأخلاق وعلو النفس، لكننا نجدها عند غيرنا ذات صلة بالخوف من المواجهة وافتقاد الشجاعة والجرأة وبالتردد. ويرى البعض أن الإنسان كلما زاد حياؤه فهذا علامة على قوة عقله وإرادته، ولأهمية هذا الخُلق ذكره القرآن الكريم والسنة النبوية وأهتم به مفكرو الإسلام، **{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}**. (سورة البقرة:٢٦).

والحياء غير الخجل، لأن الخجل قد يكون سلبياً في لحظة ما، أما الحياء فإنه إيجابي دائماً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: **(الحياء لا يأتي إلا بخير)**. (مسلم/٣٧)، وقال عليه الصلاة

والسلام: **(الحياء خير كله)**. (البخاري/٦١١٧)، والحياء ليس مانعاً لفعل ما يُعيب فقط، بل هو مانع ودافع في نفس الوقت، مانع من فعل الرذائل، ودافع لفعل الفضائل، ولأن الإيمان لا ينفصل عن العمل، والحياء شعبة من الإيمان، فإن الحياء لا ينفصل عن العمل.

والحياء من الأخلاق التي عرفتها كل الشعوب، خلال مسيرة الإنسانية الطويلة، ولهذا فهي فضيلة فطرية، أكد عليها الإسلام، كما أكدت عليها بقية الأديان، وهي فضيلة لا تتأثر بالزمان ولا المكان، ربما تتناقص في بيئة عن بيئة أخرى، ومن مجتمع إلى مجتمع، لكن لا تنعدم بالمطلق، وبلا شك فإن القيم في المجتمعات المعاصرة قد طرأ عليها تغييراً كبيراً، حتى أننا نكاد نفتقد بعضاً من هذه القيم، كقيمة الحياء، وتحت مسميات كثيرة كالحرية وحقوق الإنسان، أصبح المرء يفعل الكثير من الأمور التي كان الحياء سابقاً مانعاً لفعلها، وكل يوم تقريباً نسمع عن شيء جديد، مما له علاقة بالجنس، وأمور الأسرة. فهل أصبح الحياء موضة قديمة، لا تتمشى مع الحياة العصرية، بلا شك هناك خلل كبير أصاب فكر الإنسان وروحه وثقافته.

لكن يبقى أمام الإنسان الذي كرّمه الله سبحانه، أن يُميز بين الغث والثمين، وأن يُحافظ رغم كل المتغيرات على كرامته، وعلى إنسانيته، وهذا لا يتحقق إلا بتمسكه بمنظومة القيم الأخلاقية، وعلى رأسها قيمة الحياء، والتي هي الحصن الأخير قبل سقوطه في هاوية الضياع والانهيار والتلاشي.

والحياة لها وجه واحد، إما الحياء، وإما النفاق، وكلاهما لا يجتمعان في قلب واحد، والدين لا يقبل إطلاقاً أن تكون في ظاهرك أمام الناس شيء، وبعيداً عن عيونهم شيء آخر، فهذا ليس من الكرامة ولا من المروءة، ولا من الأخلاق الحسنة، فالإنسان العاقل والمؤمن ينبغي أن يستحي من الله، ثم من نفسه، كما عليه أن يستحي من غيره، ومن هنا قيل إن المروءة ألا تفعل سراً أمراً وأنت تستحي أن تفعله جهراً، لهذا كان الحياء سياج خُلقي يمنع صاحبه من فعل أي أمر لا يتفق مع القيم الأخلاقية والدينية، وفي نفس الوقت يُعِد الحياء صاحبه للالتزام بما يمليه عليه ضميره.

وفي الجانب الآخر، إذا فُقد الحياء، فصاحبه مهيئ لفعل أي شيء يتناقض مع القيم الأخلاقية والدينية بلا حرج، يقول النبي

صلى الله عليه وسلّم: **(إذا لم تستح فافعل ما شئت)**، (البخاري/٣٤٨٣). والإنسان فيما يفعل إيجاباً أو سلباً، لا تقف نتائج أفعاله عنده فقط، بل تتعداه لغيره من أفراد المجتمع، ومن هنا فإن الحياء فضيلة اجتماعية تتعدى صاحبها وتشمل المجتمع كله، والعكس كذلك، فنقيض الحياء من صفاقة وفحش يتجاوز الفرد إلى المجتمع، فيكتوي بناره.

إن ضياع قيمة وخلق وفضيلة الحياء، ضياع للإيمان، وبالتالي ضياع للحياة الكريمة والطاهرة والنظيفة، وما انهارت وتلاشت حضارة على مدار تاريخ البشرية إلا وكان لغياب الحياء دوراً بارزاً فيه، وحضارة اليونان والرومان خير شاهد على ذلك. فإن الإنسان إذا سُلب منه الحياء فقد المانع عن مخالطة القبائح والمعاصي، وعُدم الزاجر عن الوقوع في المحظورات، وارتكب كل ما تُسول له نفسه ما يقوده إليه هواه وشيطانه.

والحياء ذات صلة بالضمير، سلباً وايجاباً فكلمنا كان الضمير حياً في النفس، كان انعكاسه على مستوى الحياء أكثر وضوحاً، والعكس كذلك.

والحياء متنوع متعدد، منه الحياء عن الكلام الفاحش والمعيب، وأن يخجل من ذكر العورات، متجنباً الألفاظ البذيئة والسوقية، وأن يقتصد في حديثه، قال رسول الله: **(الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار)**. (البخاري/١٤٤٧).

ومن الحياء ألا يُؤثر عن المرء سوء ومذمة، وأن يحرص على جعل سمعته نقية من الشوائب، بعيدة عن الشائعات، ومن الحياء أن يعرف للأشخاص من ذوي الحقوق أقدارها ويحفظ لهم مكانتهم.

ونحن في فلسطين ما أحوجنا لهذه الأخلاق الجميلة، والفضائل الراقية، وللأسف بدأنا نشاهد انحساراً لخُلق الحياء في تعاملات الناس، أفراداً وجماعات، ما نشاهده من تبرج بعض النساء، ما نشاهده من أفعال وحركات في أفراحنا، ما نشاهده في أسواقنا من اختلاط واحتكاك ومزاحمة ما بين الرجال والنساء، ما نشاهده في مهرجاناتنا ومؤتمراتنا وندواتنا من اختلاط وخلوة، ما نشاهده من تميع وتسكع طالباتنا في الطرقات جيئة وذهاباً، ما نراه في علاقات أبناء العمومة من الذكور والإناث في عائلاتنا، كل

هذا وغيره مؤشر خطير، علينا مراجعة ما نحن فيه، حتى لا نفيق على دقات طبول الهاوية.

خُلق الوفـــاء

الوفاء هو قيام الشخص بتنفيذ ما وعد به، وعدم الإخلال بما وعد أو عاهد عليه، ونقيضه الخيانة، وهي من القيم المهمة والتي لها أثرها الواضح، ودورها العظيم في حياة الناس أفراداً وجماعات، شعوباً وأمماً، والوفاء بالعهد أساس الكرامة الإنسانية في الحياة الدنيا، وسعادته في الآخرة: **{وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}**، (سورة البقرة: ٤٠). وليس صحيحاً ما ذكرته العرب من أن الوفاء من المستحيلات وإلا ما كان الإسلام طالب به كخلق وسلوك حسن **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}**، (سورة الأنفال: ٢٧). صحيح أن هناك خلل كبير عند الناس في أمر الوفاء، لكن ذلك لا يُعمم حتى يصبح قاعدة تعم الجميع.

وخُلق الوفاء خُلق عام وشامل، ورد ذكرها في القرآن متعلقة بكثير من الأمور، فمرة يأتي ذكرها بالإطلاق، ومرة بالوفاء بعهد الله، ومرة بالوفاء بالعقود، ومرة بالوفاء بالكيل والميزان، ومرة بالوفاء بالنذر، وهذا كله من شمول واتساع مساحة الوفاء وعلاقته

بالمسؤولية، ففي غيبة الوفاء ليس ثمة وجود لأي نوع من المسؤولية، سواء كانت مسؤولية دينية أو اجتماعية أو أخلاقية، وهي لا تشمل العلاقة بين الأفراد فقط، بل تتعداهم للعلاقة بين الشعوب.

وأعظم أنواع الوفاء بالعهد، الوفاء بعهد الله: **{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}**. (سورة يس: ٦٠). ومنها الوفاء بالعهد مع النبي محمد صلى الله عليه وسلّم باتباع تعاليمه والاهتداء بسنته. ومنه عدم التنكر للماضي وما فيه من حقوق للآباء والأجداد، والسلف من الأخيار والصالحين والعلماء، والانتفاع به للحاضر والمستقبل، ولنشكر الله على ما أنعم به علينا. ومن الوفاء احترام العقود بين الناس، والوفاء بها سواء كانت لمؤمن أو كافر. إن عدم الوفاء بما سبق أو بعضه سبب في نزول العذاب: **{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ}**، (سورة الأعراف: ١٠٢). ومن هنا ليس من الكرامة تجاهل الوفاء أو تجاوزه أو الالتفاف حوله بما يُناقض الالتزام به.

كما ذكرت سابقاً إن من أجمل الوفاء، الوفاء لماضي الأمة وتراثها وتاريخها، فالذي لا ماض له لا حاضر ولا مستقبل له، وعلاقتنا بهذا الماضي هي علاقة التواصل بين حلقات الزمن، لا علاقة التقديس والتعظيم على علاته، فنحن نتعامل مع الماضي مع اعترافنا بما فيه من أخطاء وتجاوزات، فالماضي بالنسبة لنا هو جذورنا التي لا يمكننا التنكر والتنصل منها، فكما لا يمكن فصل جذور الشجرة عن ساقها وإلا ماتت، كذلك لا خير من فصلنا عن ماضينا. إن الماضي يمثل الهوية الثقافية للأمة، والسد الواقي والمانع لضياعها وتحللها في غيرها، كل ذلك مع الأخذ في الاعتبار متغيرات الزمن الحاضر في جانبيه المادي والروحاني، وهو ما نسميه بالتوافق بين الأصالة والمعاصرة.

ويدخل في هذا الوفاء، الوفاء لعلماء الأمة ومفكريها ممن قدموا لمجتمعاتهم وأوطانهم خدمات عظيمة، ومن صور الوفاء لهم إحياء تراثهم والاعتراف بفضلهم وتعريف الأجيال المعاصرة بهم وبجهودهم وعطائهم، وتقديمهم كنماذج مشرفة يقتدي بهم شباب الأمة.

وخُلق الوفاء في التصور الإسلامي له ارتباط قوي بالصدق والتقوى، فقد جاء السياق القرآني: **{وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}**، (سورة البقرة: ١٧٧). فالوفاء بالعهود والحقوق والمواثيق أمر يُحتمه الإسلام ولا يُفرّق في الالتزام به بين المسلم وغير المسلم، ولا علاقة له بجنس أو لون أو لغة، لأن القيم الأخلاقية لا تتجزأ وهي غير انتقائية. وحديث النبي صلى الله عليه وسلّم: **(ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه)**. (البخاري/٢٢٢٧)، وقد كانت حياة النبي قبل الإسلام وبعده نموذجاً راقياً للوفاء بالعهد، في سلمه وحربه، في علاقاته مع زوجاته وأصحابه، في علاقاته بالمسلمين وغير المسلمين.

والوفاء كخُلق علاقته تبادلية، فمن كان وفياً لك يجب أن تكون وفياً له، وكما تتوقع أن أكون وفياً لك يجب أن تكون وفياً لي، فليس من العقل والمنطق أن تطلب من الآخرين أن يكونوا أوفياء لك وفي نفس اللحظة تتنصل أنت من الوفاء لهم.

والقيمة السلبية المقابلة للوفاء هي الغدر والجحود ونكران الجميل، ونقض العهود، وهذه من علامات النفاق، بل قد يصل الأمر إلى انتفاء صفة الدين عمن لا يفي بالعهد، **(لا دين لمن لا عهد له)**. (أحمد/١٢٥٦٧)، فهذه القيم السلبية من أخطر عوامل تدمير العلاقات بين الناس أفراداً وجماعات.

وإذا كان الإسلام حريصاً على الوفاء بين الله والعباد، فهو حريص على الوفاء بالعهود بين الأفراد والجماعات، وبين الأمم والشعوب، حتى يعم الأمن والسلام والاستقرار المجتمع كله، وينتشر الوئام بين الناس، فلا يمكن أن يكون المجتمع مستقراً وآمناً دون انتشار للوفاء بين الناس، فالوفاء يبعث على الثقة بين النفوس، والاطمئنان في القلوب، فيقوم كل فرد بمسؤوليته تجاه نفسه ومجتمعه والإنسانية عامة.

إن انتشار روح الوفاء بين الناس، دليل على كرامتهم واحترامهم، فالوفاء لا يكون إلا من الكريم الحافظ للمعروف، وهي من عوامل أمن واستقرار المجتمع، والغدر والخيانة هي علامات خسة في الطبع لا تبشر بخير، إنما هي نذير شؤم تعمل على

تمزيق أواصر العلاقة بين أفراد المجتمع، من هنا كان اهتمام الإسلام به كبيراً.

ونحن في فلسطين يهمنا أمر الوفاء كثيراُ كباعث لروح العطاء والفداء، وفاء الأبناء لآبائهم، وفاء المواطنين لوطنهم، الوفاء للشهداء والأسرى والجرحى، وفاء الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها، وفاء الجيل الجديد للأجيال السابقة، وفاء الطالب لمعلمه، الوفاء لذوي الفضل والعطاء، الوفاء للقادة والزعماء، وهكذا تتلاحم جموع الجماهير لما فيه الخير للجميع.

خُلق حسن الظن

حسن الظن من الأخلاق الموجودة بين الناس، والتي تظهر في تعاملاتهم فيما بينهم، والظن هو العلم دون يقين، والظنين المتهم والظنة التهمة، ومظنة الشيء موضعه الذي يظن كونه فيه، والظنة التهمة، والظنون من الرجال السيئ، والظن كل ما لا يوثق به، يقال دَين مظنون أي غير موثوق بسداده.

والظن قسمان: ظن سيئ وظن حسن، **أما الظن السيئ** فيكون في التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، وهذا نهى عنه الإسلام: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}**. (سورة الحجرات:١٢)، وحديث النبي **(إياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث)**. (مسلم/٢٥٦٣).

وهذا النوع من الظن هو سبب كثير من المشاكل والمنازعات بين الناس، الزوج وزوجته، والأخوة فيما بينهم، والأقارب والجيران وزملاء العمل، وإن تحكم في نفس المرء وسيطر عليه حوله إلى شخص شرير، فاشل. قلق تأخذه الريبة أيما مأخذ، فكل فعل أو قول ينظر إليه بنظرة الشك وسوء الظن والريبة، وقد نهى الدين

عنه: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**}. (سورة الحجرات:١٢). ودائماً ما يكون صاحب الظن السيء ضعيف الإيمان، مما يجعله ينظر إلى الفضلاء نظرة السوء، كذلك ضعف الشخصية يؤدي بالمرء إلى مسالك الظن السيء بالناس، والعلاقة غير السوية بالمجتمع والناس تجعله من هذا الصنف.

وللتخلص من هذا المرض الخطير، عليه أن يُداوم على الطاعات، والتزام مجالس أهل الخير والتقريب من أهل الصلاح والتقى، والقراءة عن حياة الصحابة وأصحاب السير الطيبة.

أما القسم الثاني: الظن الحسن فهو أن لا يتهم الناس بالخيانة ويتقول عليهم القصص والحكايات المكذوبة وينظر إليهم نظرة خير وثقة: ومثل هذا الصنف من الناس تجده صاحب إيمان قوي بالله وقدره وقضائه، وصاحب شخصية سوية قوية واثقة بنفسها، محبوب من الناس، يُقبل عليهم ببشاشة وصدر رحب، يأنس بهم ويأنسون به، يتمثل فيه قول تعالى: {**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}. (سورة الانفال:٦٣)، ويحرص على

التعاون معهم ومساعدتهم وتقديم يد العون للفقير والمحتاج، لقوله تعالى: {**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**}. (سورة المائدة: ٢).

وأعلى درجات حسن الظن هي الظن بالله في كل مراحل حياته، وعلى كل الأحوال، فقره مثل غناه، ومرضه مثل عافيته، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: **(أنا عند ظن عبدي بي)**. (البخاري/٧٤٠٥). وهذا الأمر له علاقة بالقنوط والرجاء، فمن كان ظنه بالله حسن كان عنده رجاء بالله، ومن كان ظنه بالله شر كان قانطاً من رحمة الله تعالى.

كذلك من الخلق الحسن أن يظن الإنسان بالناس خيراً وبالمسلمين على وجه الخصوص، لأن حسن الظن طريق للتراحم والتعاون والمحبة والثقة، وسوء الظن طريق للتباغض والتحاسد والتناجش الذي نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام: **(لا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً)** فكثير من مشاكل الناس أساسها سوء الظن بهم واتهامهم في أخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم.

وأنواع الظن ثلاثة:

الأول: ما يُباح إتباعه كالظن في الأمور الحياتية المعاشية.

الثاني: ما يجب كالظن في الأمور التي لا قاطع فيها والتي ليس فيها دليل.

الثالث: ما يحرم كالظن في الله وأنبيائه: {**إجتنبوا كثيراً من الظن**}.

فيحرم أيضاً الظن بأهل الخير والصلاح، وما يحدث في مجتمعاتنا من الظن بأهل العمل الخيري والشك في تصرفاتهم وأعمالهم والتقول عليهم بغير علم.

ومن حسن الظن بالآخرين أن تحمل أعمالهم وأقوالهم على محمل الخير لا محمل الشر، وأن نوجد لهم الأعذار ما لم يثبت عليهم غير ذلك.

ومن الأمور الخطيرة أن البعض يعمل فكرة فيما لا طائل فيه ليتفادى ظلم غيره له، ويكون هذا الظان مخطأ فيترك الحرام بسوء ظنه بالناس وتخوينهم، قال عليه الصلاة السلام: (**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**). (البخاري/٦٠٦٦)، وهذا ما يسميه

الدين التهمة، كمن يتهم فلاناً بشرب الخمر أو الفاحشة ولم يظهر عليه ما يقتضي عليه.

إن خلق حسن الظن من عوامل أمن المجتمع وسعادته، وقيام العلاقات الطيبة بين أفراده، على كل المستويات، حسن الظن بالسياسي الحاكم وبالقائد العسكري المقاتل، حسن الظن في المعلم والطبيب والتاجر والخادم والعامل، حسن الظن في صانع الطعام والشراب.

حسن الظن في علاقة الزوجة بزوجها والأخ بأخيه والجار بجاره.

ونحن كشعب فلسطيني ينتشر بيننا خلق حسن الظن كثيراً لكن الظروف المادية الصعبة وما يتعرض له المجتمع من حصار ومضايقات جعلت هذا الخلق بتراجع بعض الشيء، مما أثر على طبيعة العلاقات بين الناس.

حسن الظن يزيد من ترابطنا وتراحمنا وتآلفنا وتعاوننا، حسن الظن يزيد من عطاء الغني والقادر، يزيد من همة أهل الخير والصلاح في المجتمع، حسن الظن يزيد من التفاف الناس حول

قيادتهم وحكامهم، حسن ظن الزوجة في زوجها يزيد من سعادتها وراحة بالها، وهناء بيتها، حسن ظن الأب بأولاده يزيد من ارتباطهم به وتعلقهم بشخصيته، ويعمل على نجاحهم وسعادتهم.

خلق حسن الظن طريق للأمانة والطمأنينة والثقة، وسوء الظن طريق للريبة والشك والقلق والخوف، لهذا دعا إليه الدين وحبب فيه.

خُلق الحِـلم

والأمراء والعلماء، فهو أشرف الأخلاق وأعظمها منفعة لصاحبه وللناس، ولا يكون إلا من عظيم النفس ثاقب العقل.

والحلم هو الأناة والتثبت في الأمور، والتأني والسكون عند حدوث غضب أو مكروه مع القدرة عليه.

والحلم دلالة على كمال العقل، وهو نتاج التعود على التحلم، حتى يصبح صفة لصاحبه، والحليم لا يغضب وإن غضب فما أسرع أن يتحكم في تصرفاته وأقواله.

وهناك فرق بين الحلم وبين كظم الغيظ، فكظم الغيظ تكلف الحلم ومجاهدة النفس، والحلم صفة للحليم الذي تعود كظم غيظه، فالحلم صفة ومقام مكتسب، وطريقته الاعتياد على كظم الغيظ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه)**. (السلسلة الصحيحة/٣٤٢).

والحلم في الأصل هو صفة من صفات الله تعالى تكرر ذكره كثيراً في القرآن الكريم: {والله غفور حليم}. (سورة البقرة:٢٥٥)،

فهو سبحانه عفو دون انفعال، الصبور الذي لا يستخفه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب. ومن الملاحظ أن لفظ الحليم يسبقه أو يتبعه لفظ الغفور في القرآن الكريم، وهذا دلالة على أن الحلم والمغفرة أمران متلازمان، فالعفو والمغفرة تتبع دائماً الحلم.

كذلك خلق وصفة الحلم وصف الله بها الأنبياء في كتابه الكريم: فلما وصف إبراهيم عليه السلام قال: {**إن إبراهيم لأواه حليم**}. (سورة التوبة:١١٤)، ولما وصف شعيب عليه السلام قال: {**إنك لأنت الحليم الرشيد**}. (سورة هود:٨٧)، ولما وصف إسماعيل عليه السلام قال: {**فبشرناه بغلام حليم**}. (الصافات: ١٠١). وهذا كله دلالة على رجاحة عقولهم وحسن الإدراك والفهم، وقدرتهم على الصبر والتحمل والأناة.

وأول ما يجلب خلق الحلم على صاحبه يجلب حب الله ورسوله. (**إن الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذيء السائل الملحف**). (البخاري/٦٠١٨). وهذا مدعاة لحب الناس له واحترامه والقيام بواجبه من التقدير والتوقير، وغالب ما يكون الحلم في العفو والفصح، فهما مخرجان الحلم

للوجود، والعفو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح ترك التثريب ولا يكون إلا بتعلقه بشخص حليم.

ومن أعظم ثمرة الحلم أن صاحبه يجد له أعواناً كثيرين من أهل الخير، قال علي بن أبي طالب: **(أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره).**

ومن أهم دواعي الحلم كما ذكرها العلماء:

١. الرحمة بالجهال من الناس: **{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا}**. (سورة الفرقان: ٦٣).

٢. القدرة على الانتصار للحكمة القائلة: **(إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للقدر عليه).**

٣. الترفع عن السباب وهذا علامة على شرف النفس وعلو الهمة، فقد قيل "**من غرس شجرة الحلم احبتني ثمرة السلم**".

٤. الاستهانة بالمسيء تكبراً عنه هو من أشد العقوبة مع كونه غير مرغوب.

٥. الاستحياء من جزاء الجواب وذلك صيانة للنفس، وكمال المروءة فيتحمل الحليم سفه السفيه درءاً من التمادي في سفهه.

٦. تفضل الحليم وكرمه على من أساء إليه وفيه تأليف للنفوس.

٧. الخوف من العقوبة مع ضعف النفس.

٨. الرعاية على يد كانت أنعمت على الإنسان، فيحكم على صاحب هذه اليد، وهذا من الوفاء وحسن العهد.

٩. حلم الحليم للمكر بمن أساء إليه، أو لتحين الفرصة للرد عليه، وهو من الدهاء، وإن كانت عند الجاهل ترفعاً لجهله فيكون أشد عقاباً.

إن خلق الحلم من الأخلاق العامة التي تعم الناس جميعاً، فلا تفرق بينهم على أسس دينية أو قومية أو لغة، بل هي تعم البشر كلهم، فهي من الأخلاق الإنسانية التي هذبتها الشريعة ورفعت من مكانها، وأجزلت لصاحبها حسن الثواب.

وحياة النبي مليئة بالحلم والأناة، مع المشركين الذين مكروا به وأخرجوه من دياره، وحاربوه، ومع الوافدين عليه أجلاف الصحراء من هنا ومن هناك، ومع المنافقين واليهود. فعلينا أن نقتدي به عليه الصلاة والسلام.

ما أحوج الناس لخلق الحلم لتتصافى النفوس ويعذر بعضهم بعضاً فتكون للحياة بهجتها ورونقها، ويعم الأمن والسكينة الحياة، ما أجمل أن يكون الزوج حليماً على زوجته، والأب حليماً على أولاده، والأخوة فيما بينهم، ما أعظم أن يكون الحاكم حليماً على شعبه، والمرؤوس على مرؤوسيه، والمعلم على طلابه، وصاحب العمل على عماله وخدمه، وصاحب الدَين على إخوانه المدنيين والمعسرين.

ونحن في فلسطين بحاجة لكل خلق كريم حسن، بحاجة للحلم لينتشر العفو والصفح بيننا وفي حياتنا، لأن ما أصابنا من مصائب ونكبات جراء الاحتلال أوقعتنا في مشاكل كثيرة، لهذا مطلوب منا أن يحلم الكبير فينا على الصغير، والغني على الفقير صاحب الحاجة، وأن يحلم المسؤول على المواطن البسيط فيأخذ بيده ويقدم له ما يقدر عليه من خدمة.

ما أجدرنا أن يحلم فينا المعلم على الطالب لننهض بالعملية التعليمية لنكون قادرين على مواجهة عدونا، وما أحوجنا أن يحلم فينا كل من بيده أمر الناس وفي أي مجال من المجالات.

ما أحوجنا أن نتحلى بالحلم بالسكينة والوقار والتواضع ونحن نتعامل فيما بيننا ليأخذ كل منا الآخر إلى الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

خُلق حق الجوار

من الأخلاق العملية التي يحرص عليها الإسلام، حق الجوار، وهو خلق شائع بين كل البشر، وفي كل الأماكن والأركان.

ومعناه في اللغة المقارب في السكن، ومنه النصير، وحق الجار معناه ثبت ووجب حق المقارب في السكن وأصبح بمعنى الحليف والنصير، وأجاره قبل جواره وحمايته، والجوار هو العهد والحماية والأمان.

وكان الجوار عند العرب وما زال له قيمة كبيرة واحترام كبير، وله قوانينه وأعرافه والتزاماته، وكانت تقوم في الجاهلية الحروب الطاحنة من أجل جوار امرأة، ومنها مثلاً حرب البسوس التي دامت أربعين سنة.

وقد اعتنى الإسلام بالجوار قرآناً وسنة وتشريعاً، **{وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ}**. (سورة الانفال:٤٨). فالجوار هنا المناصرة والتأييد، لكنها كانت من الشيطان الذي ما أسرع أن تخلى عن جماعته.

ومنها قوله تعالى: **{وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ}**. (سورة النساء:٣٦)، تعاليم بإحسان التعامل مع الجار وتكريمه والقيام بواجبه، وغيرها من الآيات الكريمة.

وفي السنة النبوية ما رواه الامام أحمد: **(إذا أراد الله بعبد خيراً عسله، قيل وما عسله قال يحببه إلى جيرانه)**. (٩٣٥٢)، ومنها ما رواه البخاري: **(ما زال جبريل يوصني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)**. (٦٠١٤). وكانت سيرة النبي عليه الصلاة والسلام في علاقته بجيرانه سيرة طيبة فما كان يؤذي جاره ولا يرفع الصوت عليه ولا يمنع عنه الهواء، ويقوم بحقه إذا مرض أو يحفظه إذا غاب ويسأل عنه، وهكذا تعلم الصحابة من النبي عليه الصلاة والسلام حسن تعاملهم مع الجيران، فكان الواحد منهم يعذر صاحبه، ويمد له يد العون والمساعدة، يحافظون على بيوت بعضهم البعض وعلى أموالهم وحاجياتهم، ولا يؤذي الواحد منهم جاره لا بالقول ولا بالفعل، بل يكون له أخاً كأنه شقيق.

ومن تراث الأمة جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له: "إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويُضيّق عليّ فقال: اذهب

فإن هو عصى الله فيك، فأطع الله فيه" وكان الحسن البصري يرى أنه لا بأس أن تطعم جارك اليهودي والنصراني من اضحيتك.

هذا هو خُلق حق الجوار الذي تعلمناه من ديننا، ومن تراث أمتنا، كيف أحسن النبي لجاره اليهودي الذي كان دائماً يؤذيه، بأقواله وأفعاله، فلما مرض قام النبي بزيارته والسؤال عنه.

وعندنا في امثالنا الشعبية نقول "الجار قبل الدار" لأن الجيرة لها أهمية كبيرة في حياة الانسان، فإذا كانت علاقتك بجارك علاقة طيبة وحسنة كانت حياة الإنسان هانئة وهادئة، عاش في سعادة وراحة بال، أما لو كانت عكس ذلك، فما أشقاها من حياة، وما أصعبها من أيام وساعات.

وكثير من الناس تركوا بيوتهم وباعوها بأرخص الأثمان كونهم تأذوا من جيرانهم، لهذا لا غرابة أن تسمع النبي يقول: **(والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه)**. (البخاري/٥٦٧٠).

وخُلق حق الجوار يعلو كل العلاقات الإنسانية، والروابط الدينية واللغوية والقومية، وأنت تحسن إلى جارك بغض النظر ما دينه وما لغته وما جنسيته، وما ثقافته. فقط تحسن إليه كونه

جارك قبل كل الاعتبارات. وقد عظّم الله أجر المحسن لجاره، وكلما كانت صلات القربى أكثر كلما كان الأجر أكبر، **{وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}**. (سورة النساء: ٤).

ويقول الإمام الغزالي عن حق الجار على جاره: "وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يُطيل معه الكلام، ولا يُكثر عن حاله بالسؤال، ويعوده إذا مرض، ويُعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويُهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا تتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يُضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في صب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه في صراعاته، إذا نابته، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع له كلاماً، ويغض بصره عن حرمته، ولا يُديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجعله من أمر دينه ودنياه.

وخُلق حق الجوار يتعدى الافراد والجماعات إلى الدول، فلكل دولة حق جوارها على الدولة المجاورة لها. ومن القوانين التي تنظم هذه العلاقات:

١. المساواة في السيادة بين الدول.

٢. عدم التدخل في شئون كل دولة.

٣. مبدأ حسن الجوار.

ومن حق الدول المتجاورة إن حدث خلاف بينهما أن تلجأ للحوار وحل هذه المنازعات بالطرق السليمة، وأن لا تلجأ للقوة العسكرية التي ثورت الكراهية وتوغل في الخصومة. **{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}**. (سورة الحجرات:٩).

ونحن كمجتمع فلسطيني من أولى الناس بحق خُلق الجوار، وخصوصاً أن نمط حياتنا فرض علينا أن نكون متجاورين بشكل لصيق في بعضنا البعض، لهذا على الجار أن يُحسن في علاقته بجاره، وأن تكون العلاقة فيما بين الناس قائمة على مبدأ الاحترام والتقدير والتعاون، فلا يتجاوز الواحد من الجيران حقوق جاره، بل يحرص على القيام بهذه الحقوق ولا يغفلها.

إن الجيران أقرب لبعض أحياناً من قرب النسب والمصاهرة، وكلما كانت علاقاتهم طيبة حسنة كلما كانت الحياة أكثر سعادة وراحة بال.

خُلق الرضـــا

الرضا قبول الشيء بسرور وغبطة، والاطمئنان به قلبياً دون ألم وضجر أو مشقة، وهو ضد السخط والتبرم.

وعرّفه أهل الاصطلاح بأنه سرور القلب بمُرّ القضاء، وقيل هو رضا الله عن العبد **{ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}**. (سورة البينة:٨).

وأهل الرضا يرضى عنهم الله تعالى رضاً لا يغضب بعده أبداً، فإذا رضي العبد عن ربه رضي الله عنه، ورضى العبد عن ربه يكون في رضائه بقضائه وقدره، وهؤلاء يثيبهم الله ثواباً عظيماً: **{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}**. (سورة ق:٣٥). ومن قبول العبد بقضاء الله وقدره التسليم بحكمه وبالامتثال والطاعة والشكر بالسراء والضراء.

وخُلق الرضا هو جنة الله في الأرض لعباده المخلصين، وهو سكون القلب، فكلما تمكن الرضا من قلب المرء كلما ارتقى في روحه وقلبه، وخشعت تصرفاته، يظهر ذلك من خلال هدوء النفس والسكينة والطمأنينة، ويكون كل من حوله في شغل وتعب وهم وتفكير وقلق، ويكون هو في حالة طمأنينة، وهدوء لأنه يعلم أن

الله سبحانه هو الموكل به وهو رازقه، وأن ما يحدث له هو مقدر عند الله تعالى، فيعيشون حالة الرضوان والسلام: **{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**. (سورة التوبة:٧٢).

وخُلق الرضا يفوق خلق الصبر مكانة؛ لأن الراضي مع أنه يتألم مما يحدث له من شرور إلا أنه يفرح بها، أما الصابر فإنه يتألم ويتحمل ما ألم به لكنه لا يفرح بما وقع له. ولأن الراضي عن ربه يكون رضاه بسرور القلب بما قدره الله في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل ما يفزع من أمور الدنيا،

وقناعة العبد بكل ما يقضيه ربه واغتباطه به واستسلامه له، راضياً لا يشكو ولا يتبرم، بل يرضى قلبه ويُسلّم ويسكن عقله إلى حلاوة ما قدره الله له.

والرضا علامة الإيمان القويم وثمرة محبة الله تعالى والتوكل عليه واليقين به، لهذا كان النبي يطلبه: **(اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء)**. (أحمد/١٨٣٥١). لهذا يجتبي الله أهل الرضا ويجز

لهم العطاء في الدنيا والآخرة: ذكر الغزالي في كتابه الإحياء **(إن الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الغم والحزن في الشك والسخط)**.

وأعظم ما يكون الرضا يكون في التسليم بقضاء الله وقدره، وقد كان صحابة النبي رضي الله عنهم وكثير من السلف الصالح من أهل الرضا، يقول ابن عباس "**إن أهل الرضا أول من يُدعون إلى الجنة**".

ومن حكايات الرضا أن سعد بن أبي وقاص كان من المتمكنين من مقام الرضا وقد كف بصره، جاء إلى مكة المكرمة فهرع الناس إليه من كل مكان، يسألونه الدعاء لهم، فكان يدعو لكل من يسأله الدعاء، ويقال إنه كان مجاب الدعوة، فقال عبد الله بن السائب، فأتيته وأنا غلام، فتعرفت إليه فعرفني، وقال أنت قارئ أهل مكة، قلت نعم فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك. فتبسم وقال يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري.

وقال رابعة العدوية: "إن العبد لا يتحقق له مقام الرضا إلا إذا سرته المصيبة كما تسره النعمة".

وحتى نتعرف أكثر على مقام الرضا عند الله تعالى وما أعده للراضيين، نسمع ما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا والخير في يديك، فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول ألا اعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده ابداً). (البخاري/٦٥٤٩).

وكما يكون الرضا عند الله تعالى بالتسليم لقضاء الله وقدره، والالتزام بدينه وشرعه، يكون أيضاً بالرضا عن خلقه، الرضا عن الناس وعدم السخط عليهم، وإعذارهم حين التقصير، فإن للناس أحوالاً وظروفاً وحاجات تتحكم في سلوكياتهم، وبالتالي علينا أن نرضى من الناس وأن لا نقابل تقصيرهم فيما نرى بتقصير من جانبنا، على الإنسان أن يرضا بما قسّم الله له، مع الاجتهاد والعمل والأخذ بالأسباب لتغيير الحال إلى أحسن منه، دون أن يستسلم للقنوت والكسل، وأن يُتبع المحاولة غيرها لعله يصل إلى ما يصبو إليه.

إن خلق الرضا أعظم علاج للنفوس، يهذب من طمعها وجشعها وتعلقها بالدنيا ومتعها، ما أجمل أن يرضا ويقنع الرجل في علاقته بزوجته فتغنيه وتكفيه عن التطلع هنا وهناك، وما أجمل أن يقنع ويرضا الإنسان بما قسمه الله له فتهنأ وتسكن، وما أجمل أن ترضا الزوجة بمستوى حياة زوجها فلا تبهرها حياة الأخريات.

ونحن أبناء فلسطين علينا أن نتمثل خُلق الرضا لنعيش أغنياء من التعفف، فيُبارك الله لنا فيما رزقنا، وبالتالي نحفظ نفوسنا من الغيرة والحسد والنظر لما أنعم الله به على غيرنا من رزق وخيرات.

يروى أن الله تعالى أوحى إلى داوود عليه السلام: **(يا داود إنك تريد وأريد وإنما يكون ما أريد، فإذا سلمت لما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تُسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد)**. (الحكيم الترمذي في نوادر الأصول).

اللهم اجعلنا من الراضيين المرضيين.

خُلق السخــاء

من الأخلاق الراقية خُلق السخاء الذي يعني الجود والعطاء، والسخاء مأخوذ من السخو، والسخاوي الأرض اللينة الواسعة البعيدة الأطراف، والسخاء هو الجود بالموجود، يقابله الشح والبخل.

وخُلق السخاء غريزة في نفس الإنسان، مطبوعة عليه تدعو الإنسان إلى بذل الموجودات والعطاء، وهي عند السخي تؤدي غايتها وعند البخيل تعطل عن العمل، فيكون الإمساك عن المال وغيره من أنواع المعروف.

وإذا تأملنا حال السخي وجدناه يُعطي بلا مَن وخوف، ويُسعف غيره بلا روية وانتظار ولا ينتظر سؤال السائل، ويكون مسروراً بما قدّم فرح بهذا العطاء، وهذا الفعل (السخاء) لا يكون إلا من نفس امتلك الإيمان كل جوارحها ومكوناتها، عرف أن الرزق من الله، وأن الله يثيب فاعل الخير بأكثر مما أعطى. وبالتالي هان عليه أمام حب الله كل ما يملك، فهو صاحب روح عالية وخُلق راق، ونفس سامية، غير متعلقة بمتع الدنيا وماديات‍ها،

يعرف أن ما عند الله هو الباقي، لأنه على يقين أن المال مال الله وهو عبد لله، وعلى عبد الله أن يُعطي من مال الله، لا يخشى الفقر والحاجة.

والسخاء درجات: منها من أعطى بعض ماله وأبقى البعض فهو سخي. ومنها من أعطى أكثر وأبقى أقل فهو الجود، ومنها من أعطى الكل ولم يبق شيئاً فهو الإيثار، وهو الجود بالمال مع الحاجة إليه، وهي أرفع درجات العطاء والسخاء، لهذا امتدحهم القرآن الكريم: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}**. (سورة الحشر:٩).

والجود الذي هو السخاء هو عطاء بلا عوض، لا ينتظر صاحبه رد الفعل إليه، والجود كما هو معروف صفة من صفات الله تعالى، يتصف بها الإنسان مجازاً، هذا السخي ينتظر فقط الثواب من الله تعالى، ولا ينتظر من الناس رد الجميل، وأعظم ما يكون السخاء بالمال بأي نوع وشكل بما فيه قضاء مصالح العباد والناس.

والسخي يقف بين الإسراف والتقتير، بين البسط والمنع، فهو يؤدي واجباً شرعياً وعُرفياً، وقد قرن الله فعل السخي بالإيمان،

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}. (سورة البقرة:٣). كذلك وصفه بسعة الصدر كناية عن الانفاق.

وخُلق السخاء ينشر الحب والاحترام والمودة بين الناس لهذا تجد الإنسان السخي محبوباً من الجميع، الكل يحرص على تقديره واحترامه والقيام بواجبه، ولأن في عمله قضاء لحوائج الناس، وتخفيف عن ضائقتهم ورفع الحرج عنهم لهذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (**إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها**). (صحيح الجامع/١٨٠٠). وفعل السخاء طريق للجنة لأن صاحبه قريب من الله فهو قريب من الجنة فقد ورد أن (**الجود شجرة من أشجار الجنة، من أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى الجنة. والبخيل شجرة من أشجار النار من أخذ بعض من اغصانها أداه إلى النار**). كما قال النبي: (**إن موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام**). (صحيح الجامع الصغير/٢٢٣٢).

والسخاء بالمال (الصدقة) لا ينقص المال، بل يزيده ويباركه الله لصاحبه، ويعوضه خيراً عما أنفق، قال النبي عليه الصلاة

والسلام: **(ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه)**. (مسلم/٢٥٨٨).

وقال عليه الصلاة والسلام: **(ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً)**. (البخاري/١٤٤٢).

وللسخي مثل وقدوة في رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد كان أسخى الناس وأجودهم كما ذكر ابن عباس واصفاً النبي صلى الله عليه وسلّم: **(أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان)**. (البخاري/٣٢٢٠). لهذا دعانا الإسلام أن نقتدي بالنبي، ورغبنا بالجود والعطاء: **(أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع فقد أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم)**. (الإلمام بأحاديث الأحكام/١/٣٣٤).

وخلق السخاء خُلق عام يشمل الكل مسلم وغير مسلم، وعربي وغير عربي، وأعظمه درجة ما كان بين المسلمين الأقارب، ثم من يليهم، فما أجمل السخاء بين الأهل والأقارب

والجيران، ما أجمل السخاء من أغنياء العائلة على فقرائها وأغنياء البلد على محتاجيها.

والسخاء يعلمنا أن نكون كرماء مع أهل بيوتنا، الزوج مع الزوجة، والأب مع الأبناء، والأخ مع إخوته، والجار مع جيرانه، وهكذا السلطة الحاكمة مع الشعب وأهل البلد.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم وسلفنا الصالح نماذج للسخاء والعطاء، ينفقون إنفاق من لا يخاف الفقر، وهذا ما تعلموه من النبي عليه الصلاة والسلام، وكان أبو بكر الصديق النموذج الذي لا يصل إلى عطائه أحد، كان يتبرع بكل ماله ولا يبقي لأهل بيته شيئاً، فلما سأله النبي ماذا أبقيت لأهل بيتك يقول له أبقيت لهم الله ورسوله، وهذا دليل على مستوى الإيمان الذي ملك قلوبهم وثقتهم بالله تعالى.

ونحن في فلسطين بالذات وغزة على وجه الخصوص أحوج ما نكون لخلق السخاء والعطاء في ظل الظروف القاسية التي يعانيها الناس نتاج الحصار وقلة العمل وإغلاق منافذ الرزق والعمل، وقطع الرواتب، من واجب الأغنياء حتى يحفظ الله عليهم أموالهم أن يمدوا أيديهم للفقراء والمحتاجين، العائلات التي لا تجد

قوت يومها من طعام وشراب، والبيوت التي لا تحمي أصحابها من حر الصيف وبرد الشتاء هؤلاء بحاجة إلى اليد الرحيمة التي تخفف عنهم المعاناة.

بالسخاء يبارك الله لنا في أرزاقنا ويحفظ علينا أنفسنا وأولادنا، ويقينا من الشرور والمصائب، بالصدقة يرفع الله عنا شر البلاء ويجزي لنا العطاء.

خُلق السعادة

السعادة غاية الكثيرين من العاملين، الفاعلون لأعمال الخير الحريصون على علاقات طيبة مع الله والناس وأنفسهم، والسعادة ضد الشقاوة.

وهي الرضا التام بما تناله النفس من الخير، والسعادة من القضايا المتعلقة بالإنسان دون غير من المخلوقات، ومردود السعادة يكون من خلال انشراح الصدر وطمأنينة القلب، أما سعادة الآخرة فهي بالفوز بالجنة والخلود في الفردوس.

والسعادة التي تحصل ويشعر بها الانسان هي ثمرة الإيمان الصحيح والتسليم المطلق لقضاء الله وقدره، والرضا بحكمة الله تعالى في خلقه، كذلك هي ثمرة للسلوك الحسن والأخلاق القويمة، والعلاقات الطيبة مع الناس ومع النفس، **{فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى}**. (سورة طه: ١٢٣).

والسعادة منها ما كانت سعادة عقلية وهي ما يُسميها العلماء الخير الأعلى، وهي غاية العمل الإنساني سواء أكانت خاصة بالفرد أو المجتمع، وهناك السعادة المعنوية وتكون نتيجة تلائم بين

رغبات الإنسان وبين الظروف التي يعيشها هذا الإنسان. وهي ليس لها علاقة بالمظاهر الخارجية من جمال وقوة وثراء ومجد، فالسعادة عند هؤلاء ليست في إشباع الملذات وإنما في التمسك بالفضيلة.

وللسعادة مستويات عند الناس فمنهم:

١. العارفون المتنزهون وهي أرقى درجات السعادة.

٢. أصحاب النفوس السليمة التي تعيش على الفطرة وهي أوسطها.

٣. الأفراد البسطاء وهم تنزهوا عن رغبات الجسد فسعادتهم تكمن بما هم عليه من متعة.

ويرى الإمام الغزالي أن غاية الأخلاق هي السعادة، والسعادة الحقيقة عنده هي السعادة الأخروية.

والسعادة عنده درجات:

الأولى: دنيوية توصل للثانية.

والثانية: أخروية والتي هي الغاية.

يقول الغزالي إن السعادة تنال بتزكية النفس وتكميلها، وأن تكميلها يكون باكتساب الفضائل كلها عن طريق جودة الفهم والتمييز، وحسن الخلق بإزالة جميع العادات السيئة التي دعا الشرع لتجنبها.

والسعادة الأخروية تعتمد على السعادة الدنيوية والتي تكون بالعلم وصقل قوى النفس، والسعادة في العادة تكون بدايتها بالكمال العقلي. والبعض من المفكرين يعتبر السعادة بتحصيل العلم والعمل بكل فضيلة دعت إليها الشريعة، وترك الرذائل التي نهت عنها.

ويرى بعض مفكري الإسلام والمتصوفة إلى أن، السعادة هي المعرفة وزوال الحجب بين العبد وربه، بحيث تنعكس العلوم الإلهية من اللوح المحفوظ إلى مرآة القلب الإنساني فيصل المرء إلى معرفة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

والطريق إلى ذلك عند الفلاسفة هو التأمل العقلي والنظر الفلسفي فيما وراء الطبيعة. وطريقه عند المتصوفة هو قطع الهمة عن الأهل والمال والولد، ثم الخلود والذكر ثم الانتظار والكشف،

ويطلق الفلاسفة والمتصوفة على من وصل إلى تلك الحال اسم العارف بالله تعالى، ويسميها المتصوفة بحال الفناء عن النفس والكون والكائنات.

إن خُلق السعادة خُلق عام يشمل الناس جميعاً، لا يُفرق بين الناس، لا يفرق بين دين ولا لغة ولا فكر ولا جنس، مع كون المسلم الأولى به من غيره، كونه يربط ما بين الدنيا والآخرة، ويجعل من الدنيا بما فيها من أعمال وأقوال وأخلاق تقدمه للآخرة.

الإنسان يستطيع أن يمتلك السعادة بأبسط الأشياء والأفعال، سعادته هو وسعادة غيره، فسعادته تكون بطهارة نفسه وفعله للأعمال الطيبة وبحديثه الطيب، يستطيع أن يسعد نفسه وغيره بابتسامة على وجه غيره من الناس، يستطيع ذلك بكلمة طيبة يقولها لغيره، بلمسة حنان على رأس يتيم، يستطيع أن يفعل ذلك بقيامه بواجباته، بعمله المخلص، بتقديمه العون للمحتاجين، بمعاونة ضعيف، بفك كربة مكروب.

فالسعادة عامل مشترك بين الناس جميعاً، بين الكبير والصغير، والغني والفقير، وصاحب السلطة والسلطان، والمواطن العادي البسيط، بين الموظف والمواطنين أصحاب الحاجة، بين

صاحب العمل والعمال، بين المعلم وطلابه، بين الطبيب والمريض. وبين التاجر والمستهلك.

السعادة عامل مشترك بين الزوج وزوجته وبين الأب وأولاده، وبين الأخوة فيما بينهم، بين الجيران وبين أهل الحي كلهم، فلا غنى عن خُلق السعادة الذي يجعل للحياة قيمة واعتباراً، والذي يكون دافعاً للعمل والاجتهاد.

ونحن في فلسطين مع كل ما يقع علينا من ظلم الاحتلال والحواجز والحصار والاغلاق، والذي ينعكس على أرواحنا ومعنوياتنا بالسلب، نحتاج لروح السعادة، حتى تخفف عنا ما نحن فيه، وحتى تكون عندنا القدرة والامكانية لمواصلة الحياة والجهاد في وجه المتغطرس، نحتاج للسعادة حتى تخفف عنا ما نحن فيه، وحتى يكون عندنا القدرة والامكانية لمواصلة الحياة والجهاد في وجه عدونا الظالم، نحتاج للسعادة حتى يُولد بيننا وفينا الأمل ويستمر لنبقى صامدين على هذه الأرض نعمرها ونحررها.

خلق السكينة

خلق السكينة من الأخلاق المعنوية التي علاقتها بالقلب قبل الجوارح، والسكينة ضد الحركة وسكن الشيء إذا ذهبت حركته، وكل ما هدأ فقد سكن، ومن معاني السكينة الطمأنينة والاستقرار والهدوء والوداعة والأمن والرزانة، وقيل بمعنى الرحمة والمغنم.

وعرّفها العلماء بأنها ما يجده القلب من الطمأنينة عند نزل الغيب، وهي نور القلوب يسكن إليها، وقيل هي زوال الرعب.

وجاءت لفظة السكينة في القرآن الكريم في ستة مواضع، منها: **{ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**. (سورة التوبة:٢٦). وقوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ}**. (سورة الفتح:٤).

والناظر في المواضع الستة يجدها كلها **تدور حول:**

١. سكينة القلوب والتسليم بما يعرض عليها.

٢. سكينة الأمن والطمأنينة بما ينزل على القلوب.

٣. التأييد والتطمين للشخص المنزل عليه.

٤. الاطمئنان واليقين بوعد الله تعالى للمؤمنين.

٥. الاطمئنان القلبي الذي يصل إلى درجة اليقين.

٦. السكينة التي تسكن القلوب.

ومن آثار السكينة التي إذا نزلت على القلب أو نزلت فيه فإنه يطمئن بها ويزول عنه ما يجده من الهم والخوف والفزع، ومن ذلك قوله تعالى: {فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}. (سورة الفتح:١٨).

وأول نتائج السكينة زيادة الإيمان بالله واليقين به والثقة، وهذا كله يؤدي إلى انشراح القلب ويصبح مهيأً لنزول الالهامات الإلهية عليه، فيلهمه الله تعالى الحق والصواب في القول والعمل، ويمتلئ قلبه وعقله نوراً وحكمة، وينطق لسانه بالخير والصواب: **(قال وهب السوائي: خطبنا علي بن أبي طالب فقال: من خير هذه الأمة بعد نبيها، فقلت أنت يا أمير المؤمنين، قال لا خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وما نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر)**. رواه الأمام أحمد.

وخُلق السكينة مطلوب في كل أمر وقول، وأعظمه ما كان في العبادة، الصلاة وتلاوة القرآن، فقد روي: (**بينما نحن نصلي مع النبي إذا سمع جلبة رجال، فلما صلى قال ما شأنكم، قالوا استعجلنا إلى الصلاة، قال لا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**). (البخاري/٦٣٥).

كذلك من لوازم السكينة مراقبة الله تعالى في ثلاثة بثلاثة: النور والروح والقوة: بالنور ترى وبالروح تأنس وبالقوة تقهر عدوك الشيطان.

وأجمل ما تكون السكينة تكون في المَوَاطن التي تتطلب حضور القلب وخشوعه، وجمع الخواطر والهمة ومنها أثناء ذهابه للصلاة وعند أداء مناسك الحج وعند الجهاد وعند قراءة القرآن والاجتماع على دراسته، وهي أعظم هدايا الله للعبد: (**ما ازداد عبد علماً إلا ازداد قصداً ولا قلّد الله عبداً قلادة خيراً من السكينة**). (كنز العمال/٣/٤٥).

ومن أعمال خُلق السكينة محاسبة النفس ومراقبة أفعالها، ومنها ملاطفة الناس ومراقبة الله تعالى، فالإنسان الذي تمتلك السكينة نفسه تجده دائماً يتوخى الصدق في القول والإخلاص في

العمل، ويحرص على الخير ويتجنب الشر، لا يؤذي غيره، قريب من الناس يلاطفهم ولا يغضبهم، يتودد إليهم بالفعل والقول، كذلك هو مع الله يراقب الله في أعماله وأقواله فلا يقول ما يُغضب الله ولا يفعل مالا يرضى عنه ربه.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة في السكينة والطمأنينة، وهدوء النفس حتى في أشد المواقف صعوبة، يوم الأحزاب والمسلمون يحفرون الخندق حول المدينة. والنبي يشاركهم الحفر ونقل التراب، يروي البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله صل الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول:

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وهكذا تعلم الصحابة روح السكينة من النبي، فكانت سلوكاً ظاهراً وعلاقة طبية بينهم امتدحتهم الأجيال التالية.

وخلق السكينة له تأثير كبير على حياة الناس أفراداً وجماعات، وهي من دواعي الألفة والمودة وحسن الجوار،

فالسكينة داعية للتروي والتأمل والتفكير، ودافعة للاجتهاد في العمل والإخلاص فيه، وإقامة علاقات طيبة بين الناس.

السكينة مطلب مهم في علاقة الزوج بزوجته والأولاد بآبائهم، والأخوة فيما بينهم، كذلك الجيران، وهي دافع من دوافع احترام صاحب العمل لعماله والمعلم لطالبه، والمسؤول مع موظفيه، والتاجر مع الناس والغني مع الفقير.

ونحن في فلسطين ما أحوجنا لروح السكينة ترفرف على حياتنا، فنشعر بالطمأنينة وراحة النفس، إن تقلب الحياة الذي نعاني منه، احتلال وحصار وفقر واغلاق كل ذلك يسبب لنا مشاكل نفسية وجسدية وبالتالي نحتاج للسكينة للتخفيف من تلك المعاناة.

فالسكينة التي تدخل القلوب تجمع القوة والروح ليسكن إليها الخائف ويتسلى بها الحزين ويسكن إليها العصي والجريء والأبي.

فما أجمل السكينة، وما أعظم أثرها في حياتنا.

خُلق الشجاعة

هي خلق عملي يظهر على الإنسان في قوله وعمله، وهي في اللغة الجرأة ورباطة الجأش والأقدام، والشجاع الجريء رابط الجأش، وشدة القلب عند اليأس، وقيل الشجاع هو المقدم على الخطر بغير خوف والصابر على الألم بغير شكوى.

وهي عند العلماء هيئة حاصلة للقوة الغضبية، بين التهور والجبن بها يُقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها، كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا على ضعف المسلمين.

والشجاعة هي إحدى أمهات الفضائل الأصلية التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان مثل العفة والعدالة والحكمة.

وخلق الشجاعة له مظهران:

الأول: شجاعة في القول أو الرأي.

الثاني: شجاعة في الفعل أو المجاهدة.

والشجاعة في عمومها محمودة لما ينتج عنها من أفعال خير وصلاح، والتي فيها مجاهدة النفس. نفس الشخص ونفس غيره،

ومجاهدة النفس تكون إما بالقول وذلك من خلال التعلم وضبط اللسان عن الكلام القبيح أو الحديث فيما لا نفع منه، وبالفعل من خلال منع نفسه من فعل الأعمال التي تضر بنفسه أو غيره، وقمع الشهوات وتهذيب الحمية.

أما مجاهدة الغير فيكون بالقول من خلال الموعظة وتبيان الحق والرشاد، وتعليم الناس ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، ويكون بالفعل من خلال مدافعة الباطل وأهله، والوقوف في وجه الظالمين والمعتدين، وإعداد العدة للدفاع عن البلاد والعباد.

ولكن هناك شجاعة مذمومة في القول والفعل، كمن يحارب حمية أو حزبية، أو من يُقدم على ثورة غضب بلا مصلحة أو منفعة.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في الشجاعة والإقدام فقد كان مضرب الأمثال في شجاعته وحكمته ولم يكن له شبيه، تجلت شجاعته في قوله وفعله، ومن أمثلة شجاعته في الرأي حين خرج على قومه مفاجئاً لهم بالدعوة التي تركوها، وحين صبر على الأذى والسخرية، وحين المقاطعة وحين بعث أنصاره إلى الحبشة فراراً من الأذى والموت وبقي يتعرض

للأذى، وحين مات عمه أبو طالب وزوجته خديجة في أيام متتابعات، وحين عرض نفسه على القبائل وحين هاجر أنصاره إلى يثرب وبقي هو يقيم صلاته ويجهر بالقرآن قبل أن يهاجر.

وقد مدح الإسلام الشجاعة، واعتبرها ملكة من ملكات النفس التي خلقت للدفاع عنها، لهذا وضع الإسلام ضوابط لها: **(ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)**. (البخاري/٦١١٤).

ويرى علماء الأخلاق أن الشجاعة إحدى ملكات النفس التي وظيفتها حراسة النفس وحمايتها، وهي خاضعة في أفعالها لحركة القوى الغضبية، وينبغي أن يلزم بها صاحبها من الاعتدال، وهذا يتم لها بخضوعها المطلق للقوى العاقلة التي تتحكم في قوى النفس الأخرى، الشهوانية والغضبية، فإذا تمردت القوى الغضبية ولم يخضع للقوى العاقلة خرجت عن حد الاعتدال إلى إحدى الرذيلتين: إما الافراط فيتحصل لها التهور أو التفريط فيكون الانسان جباناً.

والشجاعة لا تقع من صاحبها إلا بخضوع القوى الغضبية تحت سلطان القوى العاقلة، وبالتالي يكون منطق الحكمة رأساً لبقية ملكات النفس التي هي العفة والشجاعة والاعتدال.

وعلماء النفس يعتبرون الشجاعة ملكة مكتسبة بينما يعتبرها علماء الاخلاق فضيلة أخلاقية يمكن اكتسابها من ثقافة المجتمع والبيئة المحيطة بالإنسان، ويمكن التوفيق بين القولين، فهي ملكة نفسية يمكن تغذيتها وتقويمها أو إقامتها والقضاء عليها بحسب الاهتمام بها وإجمالها.

وخلق الشجاعة من الأخلاق المهمة للإنسان وليس لها علاقة بجنس معين أو قوم معينين أو ثقافة معينة فهي عامة بين كل الشعوب، ويحتاج إليها الإنسان ليرفع ظلم وقع عليه أو تسلط حاكم مستبد يقهر شعبه، ولنا في رسولنا قدوة حسنة يوم أن أجاب على عمه أبي طالب: **(يا عمي والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته)**. (البخاري في التاريخ).

ما أجمل روح الشجاعة المتمثلة في الزوج والأب الذي يُربي أولاده على الحق والخير، ما أجمل الشجاعة بين الجيران يقفون موقفاً شجاعاً مع صاحب الحق فينصفونه أمام المعتدى عليه.

ونحن في فلسطين ما أحوجنا إلى الشجاعة حتى نتمكن من لجم عدونا وقهره ووقف عدوانه، والشجاعة في مقاومته ومواجهته، ولولا شجاعة شعبنا الفلسطيني لتمادى هذا العدو في عدوانه على الأمة كلها، ولتمكن من بسط قوته وسلطانه من النيل للفرات كما يحلم، لكن شجاعة شعبنا أوقفت أحلامه وقزمت من مشروعه الذي خطط له كثيراً.

إن الشجاعة خُلق عظيم يوم يستعمله صاحبه في مناصرة الحق ورفض الظلم والعدوان، والشجاعة مطلب كل ذوي الغايات السامية والراقية.

خُلق صلة الرحم

خُلق صلة الرحم من أهم مزايا وأعظم تشريعات وأخلاق الإسلام، فيها تقوية لعروة الدين وتعزيز لقيمة النسب وتأسيس لعلاقات طيبة بين الناس، وهي في اللغة وصل الشيء وصلاً وضمه به وجمعه، ووصل رحمه أي أحسن إلى الأقربين إليه من ذوي النسب والأصهار وعطف عليهم ورفق بهم وراعى حقوقهم وأموالهم، والصلة العطية والجائزة، والرحم في اللغة القرابة.

ونص القرآن عليها بقوله: **{وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}**. (سورة النساء:١)، وحديث النبي عليه الصلاة والسلام: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه)**. (البخاري/٦٠١٩).

وخُلق صلة الرحم من الأخلاق التي كان النبي يتصف بها قبل النبوة كما ذكرت خديجة رضي الله عنها: **(إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق)**. (البخاري/٦٩٨٢).

هذا الخُلق له تأثير كبير على علاقات الناس خصوصاً ذوي صلات القربى، فهو يعزز العلاقة بينهم وتقويها ويزيد من رباط المحبة والمودة بينهم، كذلك فيها طاعة لله تعالى، لأنها مطلب شرعي، فقد حث القرآن والسنة عليها لقوله تعالى: {**وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**}. (سورة النساء:٣٦). وقوله تعالى: {**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**}. (سورة الإسراء: ٢٦).

ولقول النبي عليه الصلاة والسلام: **(تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل (مكثرة) في المال منسأة في الأثر)**. (الترمذي/١٩٧٩)، **(أي زيادة في العمر)**.

وصلة الرحم تحصل بأمر من الأمور الآتية:

١. الزيارة والمعاونة والسلام وقضاء الحوائج.

٢. بالكتابة إليهم والوصية لهم.

٣. بذل المال للأقارب فهذا من صلة الرحم، لقوله عليه السلام: **(الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة)**. (صحيح ابن حبان/٣٣٤٤).

ولخلق صلة الرحم آثار كثيرة منها:

١. البركة في الرزق لقوله عليه السلام: **(من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)**. (البخاري/٢٠٦٧).

٢. طاعة الله ونيل رضاه لأنه تعالى الآمر بذلك.

٣. بصلة الرحم ادخال السرور على الأرحام.

٤. به زيادة المروءة وزيادة الأجر في الحياة وبعد الموت.

وهذه الصلة من العلماء من قصرها على الرحم المحرم عليه دون غيره، وبعضهم وسع من أمرها وقال هي في حق كل قريب محرماً كان أو غير محرم.

وصلة الرحم لا تكون لمن بينك وبينهم صلة وتزاور بل هي لمن قطعك من أرحامك: **(ليس الواصل كالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)**. (البخاري/٥٩٩١).

ومن جمال خُلق صلة الرحم أنه لا يقتصر على المسلم فقط، بل يعم غير المسلم، فمن كانت صلة رحمه لعماته وخالاته غير المسلمين فله الأجر على ذلك، فقد يكون أعمام الشخص أو أخواله وخالاته نصارى فعليه بصلتهم؟ نعم يصلهم لحديث أسماء بنت أبي بكر قالت **(قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت وهي راغبة أفأصل أمي قال نعم صلي أمك).** (البخاري/٢٦٢٠).

ومن جمال صلة الرحم أنها تصل على كل الأحوال، في حال الرضا وفي حال الغضب، وسواء من قدّر لك من تصلهم معروفك أم أساءوا تقديره، فما عليك إلا أن تكون باراً بهم، وصّالاً للرحم على قدر وسعك.

ومن أعظم القربات عند الله بر الوالدين لحديث الرسول: **(من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه).** (البخاري/٢٠٦٧)، ومعنى بر الوالدين التوسع والاجتهاد في الإحسان إليهما وإرضائهما.

ومن صلة المرء بوالديه بر صديقيهما بعد موتهما، لقوله عليه السلام: (لا يدخل الجنة قاطع). (مسلم/٢٥٥٦)، يعني قاطع رحم.

إن خلق صلة الرحم من الأخلاق التي تعمل على زيادة المحبة بين الأهل والأقارب، وتتعداه إلى بقية الناس من الجيران وغيرهم، فهي من أكبر عوامل حسن العلاقة والتواصل بين الناس، وإزالة كل أسباب الكراهية والشحناء، فما أجمل أن يصل الغني فقراء أهله وعائلته، ما أجمل أن يصل الأخ أخواته، وعماته وخالاته.

صلة الرحم تنشر الرحمة بين الناس، الرحمة بين المعلم وطلابه، بين الزوج وزوجته وأولاده، بين الطبيب ومرضاه، بين التاجر والناس، بين الراعي والرعية، بين الغني والفقير.

ونحن في فلسطين في أمس الحاجة للرحمة والتراحم وصلة الرحم، وقد كانت صلة الرحم من أعظم ميزات شعبنا الفلسطيني، لكن الأيام والظروف القاسية وهموم الحياة، ومتاعب حياتنا جعلتنا نتراجع في هذا الخُلق الجميل، ويقطع البعض منا صلته بأقرب المقربين به، حتى وصل الأمر بالبعض إلى عقوق والديهم، لكن

الرجاء والأمل في الله أن يعود بنا الحال لما كنا عليه سابقاً وبأفضل وأجمل مما كان.

نحتاج ونحن نواجه عدونا الصهيوني أن نكون أقرب إلى الله، أقرب إلى فعل الخير والبركات، أقرب إلى طاعة الله، وبصلة الرحم نكون كذلك.

خُلق ضبط النفس

من الأخلاق اللازمة للإنسان في حياته العملية خُلق ضبط النفس، لما له من علاقة لتعامل الإنسان بغيره من البشر، ومعنى ضبط النفس السيطرة على رغباتها والتمكن في ذلك، بحيث يُحسن صاحبها قيادها وضبطها في كل أمر يريد عمله.

والمصطلح يتكون من كلمتين ضبط ونفس، ومعنى الضبط لزوم الشيء وحبسه وضبط الشيء وحفظه بالحزم، وفلان ضابط أي حازم وشديد قوي. والنفس لها معانٍ كثيرة منها الذات.

والمعنى الاصطلاحي هو إلزام الإنسان نفسه الوسطية والاعتدال في جميع أنواع السلوك العملي والفكري،

وخُلق ضبط النفس ضروري للغاية للإنسان، وإلا اتبع هواه ومال معها في هواها وما تشتهي، فيقع في الأخطار والمهالك، لهذا احتاج إلى قوى تضبط هوى النفس حتى تنضبط حياته وتستقر فلا يُلام ولا يفسد.

وهناك علاقة واضحة بين كظم الغيظ والعفو عند المقدرة وبين ضبط النفس والإحسان للناس: **{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}**. (سورة عمران:١٣٤).

وهذا الأمر لا يقدر عليه إلا الأقوياء في إيمانهم وعزيمتهم وإرادتهم، يضاف إليه رجاحة العقل كما قال النبي **(ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)**. (سبق تخريجه). كذلك هو علامة من علامات الحكمة.

وكان النبي يحرص حرصاً شديداً على تعليم أصحابه ضبط النفس والتحكم في رغباتها وشهواتها، وكما روي أنه قال للأشجع عبد قيس **(إن فيك خصلتين يحبهما الله جل وعلا: الحلم والأناة)** والحلم والأناة هما عُمد الصبر ودليل على ضبط النفس وحسن تربيتها وتعويدها على تأجيل الأجر إلى نهاية الأمر، قال تعالى: **{إِنَّهُ مَنَّ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}**. (سورة يوسف:٩٠).

وخلق ضوابط النفس له مقومات منها:

١. معرفة النفس، فمن أجل ضبط الإنسان نفسه يجب أن يعرفها ما لها وما عليها، لهذا يوطن الإنسان نفسه على احترام الآخرين وخصوصيتهم، حيث أنه يعرف أين تنتهي حريته ومتى تبدأ حرية الآخرين.

٢. الثقة بالنفس والتي تبدأ بمعرفة الإنسان ولقدرة هذه النفس وطاقاتها ومواهبها، ومن هنا فهو يملك أن يسيطر على رغبات هذه النفس ولا يتعدى على غيره.

٣. وجود هدف وهذا من أعظم المقومات في تحديد الشخصية وهو ضابط للنفس يخدم به ذاته.

٤. قيمة التواضع في ضبط النفس ومعنى التواضع معرفة فضل غيرك عليك، فضل الله سبحانه وفضل الوالدين وفضل المعلمين وغيرهم وكل هذا يجعل النفس تشعر بقيمة من حولها.

وحتى يستطيع الشخص ضبط نفسه عليه أن يعرف ما هي الأمور المعينة على ضبط النفس ومنها:

١. الاستشارة، وخصوصاً ذوي الخبرة والمعرفة والعلم.

٢. الهدوء في اتخاذ القرارات ودراسة ما يتناسب وما لا يناسب.

٣. عدم التعجل في أمور حياته، وخصوصاً ما لها علاقة بالآخرين.

٤. تجنب الغضب، لأن الغضب يعمي البصر والبصيرة من اتخاذ قرارات صحيحة.

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}. (سورة آل عمران:١٥٩). فالغضب يجمع الشر كله، لأنه لن يترك لصاحبه فرصة التدبر والتفكر في أخذ القرار وبالتالي لن يضبط نفسه.

٥. من ضبط النفس القدرة على رد الحماقات والجهل وعدم الوقوع فيها. **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}**. (سورة الأعراف: ١٩٩).

٦. تجنب الكبر والكذب في التعامل مع الناس: **{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ**

قَالُوا سَلامًا}. (سورة الفرقان:٦٣)، ومن أمثلته التي حدثت مع النبي ما يرويه أنس بن مالك قال: **(كنت أمشي مع النبي وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء)**. (البخاري/٥٨٠٩).

ومن الأمور التي تضبط النفس:

١. الاستعادة من الشيطان الرجيم.

٢. تغيير الهيئة التي عليها الغضبان، **(إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب الغضب وإلا فليضطجع)**. (أحمد/٢١٣٨٦).

٣. الوضوء في حالة الغضب.

٤. معرفة عواقب الأمور وفهم المصالح والمقاصد والمفاسد والمضار.

٥. أن يمسك المرء لسانه من القيل والقال: **(وهل يكب الناس على وجوههم في الناس أو قال/ على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)**. (الترمذي/٢٦١٦).

إن خلق ضبط النفس من أعظم مظاهر القوة، ولم يكن في يوم دليل على الضعف، فعدم ضبط النفس دليل واضح على الضعف وقلة الحيلة العقلية والفكرية لأنه: **(ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)**. (البخاري/٦١١٤). وهذا الحال يؤدي بصاحبه إلى الاذلال والاحتقار. لكن إذا كان ضبط النفس قد يؤدي إلى إهانة أو مسكنة ومضيعة للحقوق فهذا يكون مذمة على صاحبه، فالصمت والسكوت على ما يؤدي به إلى المذلة والمهانة من أجل مصلحة النفس فهذا مرفوض ولا يُعتبر خلق حسن.

وليس الغضب مناف لضبط النفس، فهناك أمور مهما كنت تضبط نفسك تفرض عليك أن تغضب، فمثلاً المساس بالمقدسات الدينية والوطنية، الغضب فيها مباح شرعاً ولا عيب فيه، فالغضب فيها دلالة على شهامة الإنسان وكرامته وشجاعته، فالغضب الذي يكون لمصلحة ومقصد طيب لا عيب فيه، ونحن بحاجة لضبط

النفس، الزوج مع زوجته ومع أولاده والأخ مع اخوانه والجار ومع جيرانه والمسؤول مع الناس والتاجر مع زبائنه، والمعلم مع طلابه، وصاحب العمل مع عماله وهكذا.

ونحن في فلسطين ما أحوجنا لضبط النفس حتى يحتمل كل واحد منا غيره، وليعذر بعضنا بعضاً، فحياتنا صعبة وظروفنا قاسية، حصار وإغلاق وبطالة وعدم توفير لمقومات الحياة العادية، لا فرص عمل ولا مجال للسفر، وضياع مستقبل، لهذا يجب علينا أن نفتح قلوبنا لبعض، وأن نغفر كل منا للآخر، كل ذلك لنتمكن من مواجهة عدونا واسترداد ديارنا وتحرير مقدساتنا.

خلق الطمأنينة

خلق علاقته بالقلب والضمير، به ومن خلاله تتحقق الحياة السعيدة الآمنة للإنسان، وللطمأنينة معانٍ عدة منها سكون القلب: **{وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}** (سورة البقرة:٢٦)، ومنها الرضا لقوله تعالى: **{فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ}** (سورة الحج:١١)، ومن معانيها الإقامة: **{فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ}** (سورة النساء:١٠٣) وهذه المعاني الثلاثة كلها تدور في دائرة واحدة وهي راحة الإنسان واستقراره وسعادته.

وخلق الطمأنينة أساسي في حياة الإنسان، كل الإنسان صاحب دين أو غير صاحب دين، وإذا فُقدت الطمأنينة فلا شيء يقوم مقامها، فعلى سبيل المثال أكثر شيء في الحياة يجلب السعادة الولد والمال، فهما زينتنا الحياة الدنيا إذا امتلكها الإنسان حاز على السعادة، لكن المال والبنون إذا لم يصحبهما الطمأنينة كانت السعادة ناقصة وكأنها ليست موجودة ويندرج ذلك على كل شيء على المنصب والسلطة والمكانة العلمية والإدارية والأسرية إن لم تغلف كل تلك بالطمأنينة فلا تتحقق معها راحة ولا سعادة.

ومكان الطمأنينة هو القلب، فإذا شعر القلب بالطمأنينة انعكس ذلك على كل أعضاء الجسد، ومن بعده انعكس على حياته الخاصة والعامة، على عمله وعلاقاته على مستوى الأسرة والجيران وزملاء العمل، فكان عطاؤه جيداً ونافعاً.

والحياة بدون خلق الطمأنينة لا تساوي شيئاً، فهي بين القلق والحيرة والخوف والاضطراب، فمن حُرم الطمأنينة حُرم السعادة وراحة البال ومن حظي بها فاز بالشيء الكثير.

الطمأنينة من أجمل ما أنعم الله على الإنسان، فهي نعمة لا تعلوها نعمة، وهي لا تأتي ولا تتحقق إلا مع صفات الخير والفضائل الأخلاقية والعملية، فالصادق مثلاً عندما يصدق هو مطمئن وحين يتكلم وحين يتعامل، وقل مثل ذلك في جميع صفات الخير والفضائل، فإنها تجلب الطمأنينة لصاحبها، وإن لم يحظ معها برغد من العيش أو سعة فيه أو كثرة من المال.

وعلى ذلك فالطمأنينة اعتدال وسكون وطمأنينة الأعضاء معروفة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: **(ثم اركع حتى تطمئن راكعاً)**. (البخاري/٧٥٧)، وطمأنينة القلب هي أن يسكن فكره في الشيء المنعقد.

والطريق للطمأنينة يكون فقط عن طريق الإيمان وذكر الله واستحضاره في النفس دائماً: {**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**} (الرعد:٢٨).

وهنا معنى الاطمئنان السكون والاستئناس، ويكون ذلك باللسان والعمل والمعاملة.

وقد وردت مادة طمأن في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً، وكلها تدور في فلك واحد: الراحة والسكينة والسكون والاستئناس والرضا.

وخُلق الطمأنينة يُوجِد راحة في القلب واستقراراً للضمير، ومن هنا تأتي وتتحقق الحياة السعيدة للإنسان فمن يحيا بين طمأنينة النفس وراحة الضمير يعيش حياة سعيدة، ومن يفتقدهما فإنه يفتقد عنصر السعادة مهما كانت حياته تعج بالمغريات والمقومات الأخرى، وكما ذكرت سابقاً فالمال والجاه مع فقدان الطمأنينة لا يحققان سعادة ولا راحة بال ولا حياة طيبة.

والطمأنينة أمر لا علاقة له غالباً بزينة الحياة الدنيا، ولكن علاقتها روحانية معنوية قلبية ونفسية، أما المقومات المادية فهي

جانبية ولا تأثير لها غالباً في أمر الطمأنينة، فكما نرى كثيراً من الأغنياء وأصحاب الجاه والسلطان والمراكز الإدارية والعلمية يعيشون حياة القلق والاضطراب ولا يشعرون بالطمأنينة مع كل ما عندهم ولديهم.

والنفس المطمئنة هي التي تشعر بالخشوع لله في كل أحوالها، والتي تقيم الدين عباداته وتعاليمه، وهي الأقرب للناس وأحسن تعاملاً وأخلاقاً والأكثر صدقاً وعطفاً وتحقيقاً لمصالحهم وإخلاصاً في عمله ومعاملاته وأكثرهم أمانةً ووفاءً، وأكثرهم احتراماً ووقاراً وهيبةً.

والبعض يرى أن السعادة تكون بكثرة المال والولد والجاه والسلطان، وهذا قد يكون صحيحاً، ولكن إن لم يصاحب كل هذه المظاهر المادية طمأنينة نفس تبقى السعادة ناقصة، فلا قيمة لكل سعادة لا تصاحبها طمأنينة نفس، وهذا ما نلاحظه على المجتمعات الغربية، حققوا تقريباً كل شروط الراحة والاستقرار المادي لكن تنقصهم الطمأنينة النفسية لهذا لا متعة حقيقية في حياتهم وأنهم يعيشون في فراغ روحي ومعنوي قاتل.

ونحن في فلسطين في أمس الحاجة للشعور بالطمأنينة والاستقرار، ولا يكون ذلك إلا إذا أخذنا بأسبابها، بالإيمان وذكر الله والتعاون بين الناس ومحبتهم وإقامة العدل في العلاقة بينهم، والرضا وصلاح النفس والتقى، ولنا في رسول الله وصحابته القدوة الحسنة والمثال الواضح، وبهذا نعيش حياة بلا قلق ولا خوف ولا توتر ولا ضجر.

خلق العدالـــة

يعتبر الفلاسفة العدالة هي عنوان لاجتماع كل القيم في الإنسان الفرد وهي دليل كماله، نفس الأمر بالنسبة للمجتمع، وهي تعنى ما به قيام الفرد أو المجتمع من قيم أخلاقية دون إفراط أو تفريط.

وقد عرّفها أهل اللغة بمعنى الاستقامة وهي اسم الله تعالى العدل لأنه لا يميل مع الهوى فيجور في الحكم.

وفي اصطلاح أهل العلم العدالة هي: الاستقامة على طريق الحق والبعد عما هو محظور، وزاد الفقهاء عليها من اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر، واستعمال الصدق واجتناب الكذب وملازمة التقوى والبعد عن الأفعال الخسيسة.

وقد ورد العدل في القرآن الكريم على خمسة أوجه: **الأول:** بمعنى الفداء: **{وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ}** (البقرة:٤٨)، **والثاني:** بمعنى الإنصاف: **{فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ}** (النساء:٣)، **والثالث:** بمعنى القيمة: **{أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا}** (المائدة:٩٥)، **والرابع:** بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ}**

(النحل:٩٠)، **والخامس:** بمعنى الشرك **{وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}** (الأنعام:١٥٠).

وخُلق العدل خلق عام شامل لا يقف عند جنس دون آخر ولا لغة دون أخرى ولا حقبة زمنية دون أخرى، وما يشمل الإنسان في علاقاته مع أخيه الإنسان هو أيضاً يشمل المخلوقات الأخرى مما سخرها الله لخدمة الإنسان، فكما لا يجوز للإنسان أن يظلم الإنسان فكذلك لا يجوز للإنسان أن يظلم الحيوان فيستعمله في الأعمال الشاقة دون تقديم طعام وشراب أو راحة أو عناية أو علاج.

ومصادر خلق العدالة أولها المصدر الديني القائم على نصوص القرآن والسنة النبوية، والعدل هو مبدأ من المبادئ الأساسية ومقصد من مقاصد الشريعة في كل صغيرة وكبيرة، وهو النظام الحقيقي لكل ما في الوجود من مخلوقات: **{اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ}** (الشورى:١٧)، **{وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ}** (الرحمن:٧)، **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}** (الحديد:٢٥).

ومن مصادر العدالة أيضاً التي انتقلت إلينا من فكر غير المسلمين كاليونان والتي تتفق مع ما جاء به الإسلام، والتي تصب في نفس مقاصده وأهدافه.

وكما ذكرت فخلق العدالة يتناول كل جوانب الحياة الإنسانية السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الدينية والأخلاقية، والدينية على سبيل المثال لا إفراط ولا تفريط ولا تزمت ولا تشدد ولا ترك وتساهل.

والإسلام شديد الحرص على قيام العدل في حياة الناس، وأمر الناس بالعمل به وهي من أهم أسس قيام الدول واستمرار حكمها، فالعدل مقدم على كثير من الأمور حتى الاعتقادية منها.

والكثير منا يعرف حكاية العز بن عبد السلام مع هولاكو الذي سأله عن أيهما أفضل في دين الإسلام، حاكم مسلم ظالم أم حاكم كافر عادل فكانت إجابة العز بن عبد السلام أن الحاكم الكافر العادل أفضل من الحاكم المسلم الظالم لأن المسلم لم ينفعه إسلامه في منعه من الظلم أما الكافر فقد يدفعه عدله للإسلام والإيمان، ولأن الأول لم ينفع الناس بل أضر بهم والثاني نفع الناس ولم يضر بهم.

وخُلق العدل لازم للإنسان في كل حياته، الزوج مع زوجته والأب مع أولاده، والأخ مع إخوانه والجار مع جاره، والتاجر مع عامة الناس، والقاضي في قضائه، والطبيب مع مرضاه، والراعي مع رعيته، وصاحب العمل مع عماله وموظفيه، والمسؤول مع من دونه من موظفين وعاملين، والسيد مع خادمه: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}** (النساء:٥٨).

ولأهمية العدل جعلت المعتزلة أهم مبادئها العدل وسمت نفسها بأهل العدل والتوحيد، وجعلت العدل أحد أصولهم الفكرية الخمسة، وأطلق عليهم اسم فرقة العدلية، والعدل عندهم: " ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة " وقد عارض أهل السنة هذا التعريف وقالوا إن أفعال الله تكون وفق العلم والحكمة وأنه **{لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}** (الأنبياء:٢٣).

وقد اهتم فلاسفة المسلمين اهتماماً كبيراً بقضية العدل وكتبوا فيها كثيراً وكان تأثرهم كبيراً بفلاسفة اليونان أفلاطون وأرسطو،

أفلاطون من خلال كتابه المدينة الفاضلة وأرسطو من خلال كتابه الأخلاق إلى نيقوماخوس، ومن أكثر فلاسفة العرب تأثراً كان الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة، ومنهم الفيلسوف العربي مسكويه الذي يعتبر العدالة هي أن ينصرف كل فرد إلى الوظيفة الملائمة لمواهبه الفطرية وقدراته المكتسبة والتعاون مع الآخرين على تحقيق العدالة.

وخلق العدالة كما هو في الأفعال هو أيضاً في الكلام والتصورات والأحكام، فعلى المرء أن يكون عادلاً في كلامه لا يتجاوز الحقيقة لا ذماً ولا مدحاً، وأن يعطي لكل مقام المقال الذي يناسبه، كذلك العدل في أحكامه على الناس ومواقفهم وتصرفاتهم.

ونحن في فلسطين في أمس الحاجة لخلق العدل والعدالة حتى تستقيم حياتنا ونستطيع أن نقيم لنا مجتمعاً قوياً متعاوناً قادراً على مواجهة العدو الذي يحتل أرضنا ويدنس مقدساتنا، وأن ما تقوم به بعض الفئات من سلطتنا في ظلم أهل غزة لا يمت للسياسة الواعية والمرجوة منها قيام حياة سياسية ناضجة وواضحة.

خلق العفــة

العفة خلق حسي مادي في أصله قبل أن يتحول إلى المفهوم المعنوي، وهي في اللغة بمعنى الكف عما لا يحل ويجمل، أو الاستعفاف طلب العفاف ومنع طلب الحرام والسؤال من الناس، وقيل معناه الصبر والنزاهة عن الشيء ورجل عف وعفيف وامرأة عفيفة.

فالعفة في اللغة تعني الكف والامتناع عما لا يليق بالمرء عمله والمقصود الامتناع عن الشهوات الجسدية المحرمة وكل أنواع النشاط الجنسي الذي يتعارض مع السلوك الروحي.

وفي تعريف العلماء العفة هي مباشرة الأمور وفق الشرع والمروءة، والعفة وسط بين رذيلتين الشهوة وخمود الشهوة وعرّفها أرسطو الفيلسوف اليوناني فإنها التوسط في شهوات البطن والفرج.

وعلاقتها فقط بالمطاعم والمشارب والمناكح والمفرط فيها يكون شرهاً والمنقص يكون كلالاً.

وخلق العفة من الأخلاق الضرورية للإنسان فرداً أو جماعةً لأنها تحمله إلى ما يليق به من المكرمات وعلو النفس واحترام

الذات والالتزام بطاعة الله وشرع دينه، ولا يستغني عنها الإنسان أياً كان رجلاً أو امرأة متعلماً أو أمياً، فقيراً أو غنياً.

وكل الأديان اهتمت بخلق العفة وعلى رأسها دين الإسلام الذي دعا إليها باعتبارها سلوكاً أخلاقياً جميلاً، ومع هذا نجد الدين خلال دعوته للعفة دعا للتوسط وتقنين التعامل مع الشهوات فلا هو أنكرها ولا هو سمح بالجري خلفها.

والإسلام لا ينكر الشهوات في نفس الإنسان، بل يعتبرها حاجة فطرية طبيعية، على الإنسان تلبيتها في ظروفها الطبيعية المباحة شرعاً. {**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**} (آل عمران:١٤)، {**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**} (المعارج:٢٩-٣١)، ومن لا يستطيع فعليه بالاستعفاف والصوم: (**من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصون فإنه له وجاء**). (البخاري/١٩٠٥).

وخلق العفة فوق كونه فضيلة أخلاقية هو واجباً دينياً لقوله تعالى: {**وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ**} (النور:٦٠) وقول النبي عليه الصلاة والسلام: (**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم**). (الحاكم في المستدرك)، فقد جعلها الدين أحد مقومات التكليف الشرعي للإنسان حين ربطها بالإرادة.

وقد اهتم مفكرو الإسلام بالحديث عن العفة، فقد تحدث عن أهميتها الفارابي في كتابه (التنبيه على سبيل السعادة)، كما ذكرها ابن مسكويه في كتاب (تهذيب الأخلاق)، كما ذكرها أبو حيان التوحيدي في كتابه (المقابسات) وابن سينا والرازي وغيرهم كثير.

يقول الشيخ محمد الغزالي: (ينبغي أن نذكر حقيقة حاسمة وهي أن حياة المؤمن المصدق بالدار الآخرة ليست كحياة الكافر الذي يعتبر عمره فوق ظهر الأرض هو دنياه وآخرته معاً هو فرصته الأولى والأخيرة لقضاء لباناته وإدراك غاياته.

وأكثر الذين يفقدون عفتهم ويتبعون نزواتهم ويعيشون للمتع وحدها فهم من ذلك الصنف الأخير أو هم إليه منتهون إن لم يتوبوا إلى رشدهم ويرجعوا عن غيهم وفي هؤلاء يقول الله عز

وجل: **{رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}** (الحجر: ٢-٣).

أما المؤمن فهو يقسم آماله ورغباته على معاشه ومعاده، ويطلب الخير لنفسه في يومه وغده، وقد علمنا القرآن الكريم أن التطلع إلى النعمة والسعادة في كلتا الحياتين هو من أكبر الذكر لله تعالى، قال الله تعالى: **{فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** (البقرة: ٢٠٠-٢٠٢).

بناءً على ما سبق يوصي الإسلام المرء ألا يكون عبد بطنه يعيش في الدنيا يأكل ويغدو ويروح وليس له من هم إلا أن يجمع على مائدته ألوان الطعام، فإذا حشد فوقها ما لذ وطاب سُر واطمئن، وإلا تغير وتغيظ وحسب أن القدر يكيد له.

إن الرجال الذين يمتعون في التشبع والامتلاء، ويبتكرون في وسائل الطهي وضروب التلذذ، لا يصلحون لأعمال جليلة، ولا ترشحهم هممهم القاعدة لجهاد أو تضحية".

إن متعة الحياة الحقيقية تكون بالتوسط في التعامل مع حاجاتها حتى لا يقع في إفراط أو تفريط، وحتى يعوّد نفسه على الاستعلاء وعلى مطالب الجسد والشهوة التي قد ترديه في يوم من الأيام وتجعله يسقط تحت مطالبها وحاجاتها.

فالعفة تعلو بصاحبها وتجعل منه إنساناً مكرماً محترماً صاحب مكانة وشأن، ويكون صاحبها ذات إرادة وعزيمة قوية يحفظ نفسه من القيل والقال وثرثرة اللسان، وهي للمرأة أوجب حيث تحفظ عليها عفافها وشرفها وخلقها ومنزلتها وحيائها.

يقول أحد الباحثين في فلسفة الأخلاق: "العفة فضيلة تمنح الجمال للحياة الأخلاقية وتحجب التعصب وتمنع أي مسعى غير معقول لخير فردي محدود، وتدعو إلى إشباع كل رغبة وطموح بدرجة ملائمة ومناسبة، وتمنح التناسب والانسجام في كل عمل مبدع.

ونحن في فلسطين تُمثّل العفة بالنسبة لنا مقوّم من مقومات حياتنا الدينية والاجتماعية، وهي رأس مالنا الذي يبني من خلاله حياتنا وعلاقاتنا، وتتربى عليه أجيالنا ومن خلاله نتمكن من مواجهة عدونا، فترابط المجتمع وقيام علاقاته على أسس أخلاقية

قوية من أكبر عوامل النصر في صراعنا مع عدونا وبناء مجتمعنا.

خلق العفــو

ورد العفو في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، **الأول** منها يعني الفضل من الأموال: **{وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ}** (البقرة:٢١٩)، **والثاني** بمعنى الترك: **{إِلاَّ أَن يَعْفُونَ}** (البقرة:٢٣٧)، **والثالث** بنفس معنى العفو: **{وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ}** (آل عمران:١٥٥).

والعفو في اللغة من الزوال والإخفاء والتجاوز عن الحق، وما زاد عن النفعة والحاجة، وتأتي بمعنى المعروف وخيار الشيء وأجوده والطيب من الأخلاق والأعمال، ومنه قوله تعالى: **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}** (الأعراف:١٩٩).

وعند العلماء العفو هو الصفح عن الذنوب وترك مجازاة المسيء، وقال الإمام أبو حامد الغزالي: العفو أن يستحق حقاً فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ.

والعفو من أسماء الله الحسنى ومعناه كثير العفو: {**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**} (النساء:٤٣)، والعفو يكون مع القدرة على إنزال العقاب وأخذ الحق: {**فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا**} (النساء:١٤٩).

وخلق العفو والصفح لا يكون إلا من الإنسان الذي كمل إيمانه وتسامت أخلاقه، وعلا مكانه واستجاب لنداء ربه: {**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} (النور:٢٢)، فصاحب خلق العفو إنسان تعالت نفسه على الصغائر ودنايا الأمور، وامتلك قلباً كبيراً وعقلاً واعياً من خلالهما امتلك القدرة على العفو والإعراض عن الجاهلين.

ومكانة صاحب خلق العفو في المجتمع كبيرة ومنزلته عظيمة، فهو قد حاز على العز والرفعة من الله، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**وما زاد الله عبداً بالعفو إلا عزاً**). (مسلم/٢٥٨٨)، ولنا في رسول الله القدوة الحسنة والمثال الواضح يوم عفا عن أهل قريش الذين أخرجوه من مكة وحاربوه وآذوه فزاده الله عزاً ورفعة ومكانة، فجاء من كان يعاديه يطلب منه الصفح والمسامحة.

والعفو من أخلاق الكرام لأنه يصدر عن شخص يبتغي بما فعل من عفو مرضاة الله تعالى وثوابه ومغفرة، وهؤلاء هم الذين تتمثل فيهم حقيقة الإسلام والإيمان وهؤلاء هم الذين اتخذوا من رسول الله القدوة الحسنة، وتاريخ الإسلام والمسلمين مليء بصور عظيمة من العفو والصفح على المستوى الفردي والمستوى الجماعي.

والعفو خلق عام يشمل البشر جميعاً مؤمنهم وكافرهم، ولا يقف عند جنس ولا عند لغة ولا عند مكان أو زمان، وما أجمل العفو من المسلم عن غير المسلم فأثره كبير قد يكون سبباً في دخول غير المسلم الإسلام، ولنا في رسول الله قدوة حسنة مع جاره اليهودي الذي كان يسيء له وكان النبي يعفو عنه ويسامحه وهو القادر على أخذ حقه منه بالقوة.

وقد اهتمت ودعت كل الديانات اتباعها بالعفو والصفح والمسامحة، فالعفو قيمة أخلاقية تدعم قيم المحبة والتعاون والسلام في المجتمع، وكما ديننا الإسلامي دين العفو والمحبة والسلام، فكذلك دين النصرانية لما نزل على سيدنا عيسى بن مريم هو دين المسامحة والعفو والمحبة.

والمجتمعات بحاجة إلى خلق العفو أكثر مما هي بحاجة إلى الانتصار كل لنفسه، فالعفو يقيم متجمعاً متسامحاً متحاباً مترابطاً، ينظر فيه كل واحد للآخر على أنه أخيه، لا يقف كل واحد للآخر عند زلته أو غلطه، وهذا كان خلق الصحابة فيما بينهم يسامح كل واحد منهم الآخر حتى لو كان عنده حق واضح وصريح.

ما أجمل خلق العفو حينما يسود العلاقة بين الناس، الزوج في بيته مع زوجته وأهل زوجته، وبين الأب وأولاده، وبين الأخوة فيما بينهم، وبين الجيران، وأبناء الحي الواحد، ما أجمل روح العفو حينما تنتشر بين زملاء العمل، المدير وأعضاء الهيئة التدريسية، وما بين الطلاب ومعلمهم، وما بين التاجر وعامة الناس وما بين المسئول والرعية.

ما أجمل العفو لما يكون هو السائد في مجالس القضاء بين المتخاصمين، فيتنازل صاحب الحق عن حقه في حين هو قادر على استرداد حقه: **{فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ}** (البقرة:١٧٨).

سُئل الصحابي الجليل أبو الدرداء عن أعز الناس قدراً فقال الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يعزكم الله، وروى حديثاً للنبي صلى الله

عليه وسلم، قال: قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعز عليك قال: الذي إذا قدر عفا.

وروي أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك، فقال هشام للراهب: أرأيت ذا القرنين أكان نبياً؟ فقال الراهب: لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه كان إذا قدر عفا، وإذا وعد أوفى، وإذا حدّث صدق، لا يجمع شغل اليوم للغد.

ومن هنا فإننا في حاجة إلى خلق العفو، والصفح والمسامحة، وما أجمل ما نسمع من قصص عفو الأب عن سائق قتل ابنه خطأ دون تعمد حسبة لله تعالى، فكم يعلو هذا الإنسان عند الله وعند الناس، ولم لهذا الفعل من أثر حسن بين الناس.

ونحن في فلسطين في أمس الحاجة لمثل هذا الخلق الرباني العظيم، الذي يشيع روح المحبة والتعاون بين الناس، وما يقوم به بعض الشباب من نشاط في المجتمع تحت عنوان (سامح تُؤجر) لهو عمل إنساني عظيم يُبيّن عظمة هذا الشعب خصوصاً في الظروف الصعبة التي نمر بها من حصار وقطع رواتب وفصل من الوظيفة مما يوقع الدائنين في مشاكل لا نهاية لها، فالعفو من

قبل أصحاب الدين والتجار صورة رائعة مشرقة تدل على إيمان قوي ونفوس عالية.

خلق قضاء الحاجة

هذا الخلق مركب من كلمتين قضاء وحاجة:

والقضاء في اللغة يأتي بمعانٍ كثيرة منها: أتم الشيء وفرغ منه، ومنه بلغ مراده، والشيء صنعه بإتقان، والشيء أداه والعهد أنفذه وبمعنى حكم وفصل، والشيء بيّنه.

وقد ورد القضاء في القرآن الكريم على عشرة معانٍ، ما يعنينا منها معنيان هما:

١. ورد بمعنى أتم: **{فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ}** (القصص:٢٩)، أي فلما أتم موسى الأجل.

٢. ورد بمعنى فصل: **{وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ}** (الزمر:٧٥).

والحاجة في اللغة بمعنى ما يحتاج إليه كائناً من كان، وقيل السؤال.

والجمع بين الكلمتين أنسب لها أتم الشيء وفرغ منه.

وقضاء الحاجة خلق يتخلق به البعض من الناس ذوي الهمم العالية والنفوس الراقية والعزائم القوية، وذوي المكانة والمهابة

والاحترام الكبير، فليس كل إنسان بقادر على ذلك الفعل العظيم، فمن يقضي حاجة غيره إنسان كريم، وهؤلاء هم الآمنون يوم القيامة.

إن قضاء حوائج الناس واصطناع المعروف باب من أوسع الأبواب التي دعا إليها الإسلام وحث عليها أتباعه المسلمين على البذل والتضحية لما فيها من تقوية لروابط الأخوة وتنمية للعلاقات البشرية {**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**} (المائدة:٢).

ومن فضل قضاء حاجة غيرك ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على قلب مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو يطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تهيأ له، يثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام**).

(المعجم الوسيط/٦٠٢٦).

ومنها حديث النبي عليه السلام كما رواه أبا هريرة: **(من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)**. (مسلم/٢٦٩٩)، ومن أعظم أعمال قضاء الحوائج الشفاعة لقوله تعالى: **{مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا}** (النساء:٨٥)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(اشفعوا تؤجروا)**. (أبو داود/٥١٣٢).

ومن أعظم ما ينال على قاضي الحاجات أن الله سبحانه يحفظه ويقيه مصارع السوء، ويرفع قدره بين العباد، ويجعله من المقبولين والسعداء.

إلا أن لقضاء حاجات الناس آداب يجب أن يتحلى بها من يقوم بهذه المهمة العظيمة منها:

١. الإخلاص في العمل وعدم المن به على صاحبه، والإخلاص من أكبر دواعي النجاح والتوفيق، وعدم المن سبباً في نجاحه وقضائه.

٢. أن يستوفي عند قاضي الحاجات مدح الناس أو ذمهم، لأنه يبتغي الأجر من الله ولا عليه مما يقول الناس شكروه أو غفلوا عن شكره.

٣. ومن أهم آداب قضاء الحاجة أن يتمها فاعلها، فلا يتوقف في منتصف الطريق، بل عليه أن يستمر في الأمر حتى إتمامه، فإن عجز عن ذلك عليه أن يخلف عنه من يقدر على إتمامه حتى لا تضيع المنفعة والمقصد من الفعل، يقول النبي: **(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)**. (الطبراني في الأوسط/٨٩١)، ومن إتقانه إتمامه.

٤. ومن آداب طلب قضاء الحاجة ألا يطلبها إلا من كريم، ولا يطلبها من لئيم، لأن الكريم قادر على القيام بها خلاف اللئيم، ولأن طلبها من الكريم إحسان الظن فيه.

٥. ومن آدابها الشكر والثناء وهذا للأسف قليل الحدوث، من يقضي حاجات أخيه يبذل جهداً في ذلك، الوقت والمال ومعاناة الناس والاختلاط بمن يحب وبمن يبغض، فلما يقضي هذه الحاجة أقل شيء أن نشكره على جهوده التي بذلها، قال النبي: **(من صنع**

إليه معروف، فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء)، (الترمذي/٢٠٣٥).

إن خلق قضاء الحاجة يجعل من صاحبه أحب الناس إلى الله، كونهم يجسدون أعظم المعاني الإنسانية وأرقاها وهو العطاء، فقد ورد في الحديث القدسي: **(قال الله عز وجل: الخلق عيال فأحبهم إلى الله أحسنهم لعياله).** (الطبراني في الأوسط/٥٥٤١)، وورد عن النبي: **(إن لله قوماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد** فمن بخل بتلك المنافع نقل الله تلك النعم عنهم وحولها إلى غيرهم). (تاريخ دمشق/ ابن عساكر/٥٩/٢٩٥).

كلنا يعرف أن الحياة فيها مواقف صعبة وظروف قاسية، وأن البعض قد تقتصر إمكانياتهم عن تلبية حاجاتهم وحاجات أهليهم، فيكونون بحاجة لمن يمد لهم يد العون والمساعدة، ويقضي عنهم بعض حاجاتهم.

وما تسمعه بين الحين والآخر من أن بعض الأشخاص قام بسداد ديون بعض العائلات، أو تكفّل بعلاج مريض أو دفع أجرة بيت لأسرة غير قادرة، أو كسوة مجموعة من الأطفال المحتاجين،

كل هذه الأعمال العظيمة مردودها عند الله وعند الناس عظيم، وهؤلاء يحفظ الله عليهم أعمالهم ولا يضيعها عليهم.

ونحن في فلسطين وخصوصاً غزة مع ظروفنا القاسية ما بين حصار وقطع رواتب وقلة فرص عمل وفصل من الوظيفة، في ظل كل هذا نحن بحاجة لمن يمد يده من الأغنياء والموسرين لتخفيف ظروف الحياة القاسية عن الفقراء والمحتاجين والذين لا يجدون، وما يقوم به بعض الشباب من أعمال خيرية لهو أعظم الأعمال وأنفعها.

خُلق الكــرم

ورد لفظ الكريم في القرآن الكريم وله عدة معانٍ ودلالات منها:

الأول: الحسن: **{وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا}** (النساء:٣١) أي حسناً.

الثاني: بمعنى كريم على الله: **{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}** (التكوير:١٩).

الوجه الثالث: المتكرم بزعمه: **{ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}** (الدخان:٤٩).

الوجه الرابع: بمعنى المسلم: **{كِرَامًا كَاتِبِينَ}** (الانفطار:١١) أي مسلمين.

الوجه الخامس: بمعنى المتجاوز: **{فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}** (النمل:٤٠).

الوجه السادس: بمعنى الفاضل: **{فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ}** (الفجر:١٥).

وخلق الكرم من الأخلاق التي اشتهر بها العرب دون غيرهم من الأمم، فجاء الإسلام فنماها وأصّلها وزكاها وبثها في نفوس المسلمين.

والكرم في اللغة بمعنى العطاء بسهولة وعن طيب خاطر، ويأتي بمعنى الجود والصفح والنماء، ويأتي بمعنى الأمر الطيب، وعند أهل العلم الكرم هو نماء النفس وجودها، وهو كبقية الأخلاق الإسلامية يقع بين رذيلتين البخل والتبذير.

وخلق الكرم شيمة من شيم الإسلام فالمسلم لا يكون شحيحاً ولا بخيلاً، كون الشح والبخل خلقان ذميمان ينتجان ويصدران عن خبث في النفس وظلمة في القلب والمسلم المؤمن بعمله الصالح تطهر نفسه ويشرق قلبه، {**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**} (الحشر:٩).

لقد حبّب الإسلام إلى أتباعه أن تكون نفوسهم سخية وأيديهم كريمة معطاءة، وطلب منهم المسارعة إلى الإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير للناس شغلهم الشاغل: {**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**} (البقرة:٢٧٤).

ويتجلى خلق الكرم في أمور كثيرة منها:

١. أن تجود النفس بالشيء الثمين المحبب للنفس: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ}** (البقرة:٢٦٧)، وقوله تعالى: **{لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ}** (آل عمران:٩٢).

٢. أن الكرم ليس مقصوراً على الأغنياء وحدهم بل هو سجية للمسلمين جميعاً، لا فرق بين فقير أو غني: **{وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (الحشر:٩).

٣. تحريم المن من الغني على الفقير وإلا بطل عمله وناله الإثم على ذلك: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}** (البقرة:٢٦٤).

٤. عدم المباهاة بالعطاء والافتخار به، بل من أخلاق الإسلام تعجيل العطاء وتيسيره وستره، وجعل صاحب هذا الفعل من السبعة الذين يظلهم الله بظل عرشه يوم القيامة **(رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقع يمينه)**. (البخاري/١٤٢٣).

٥. عدم الانتظار للشكر ممن أعطاهم، فهو يعطي استجابة لأمر الله وتقرباً له لا من أجل شكر الناس.

٦. أن يكون عطاؤه عن رضا نفس وعن حب وطيب خاطر، فلا يفعل الشيء كأنه مجبر عليه ومكره.

بهذه الأخلاق والمسلكيات الجميلة ترتقي النفوس، وتسمو الأروح، ويصبح الكرم عادة للإنسان يفعلها بكل صفاء نفس، وراحة بال.

وخُلق الكرم من الأخلاق الإنسانية التي اشتهر بها العرب لكن هذا لا يمنع أن يشترك فيه الناس جميعاً، ولكن بمستويات.

وطرق الكرم تختلف من حالة لأخرى ومن مجتمع لآخر، وصحيح أن نفس الإنسان جبلت على حب المال والحرص على

جمعه وكنزه، حتى أنه لو أُوتي إنسان جبلاً من ذهب لتمنى أن يكون عنده جبلان، ولو امتلك خزانة الأرض كلها لما طوعت له نفسه أن ينفق منها شيئاً: **{قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا}** (الإسراء:١٠٠).

وقد جاءت دعوة الإسلام للإنفاق من خلال عشرات الآيات الكريمة ومئات الأحاديث النبوية الشريفة، وذلك لما للإنفاق والكرم من أهمية عائدة على المكرم والمنفق وعلى المكرم والمنفق عليه، وعلى المجتمع بعمومه، لهذا كان مطلب الأموات من الله أن يعودوا للحياة لينفقوا ويتصدقوا: **{وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}** (المنافقون:١٠-١١)، وهذا دلالة على أهمية الصدقة والنفقة.

وإن من أشق الأشياء على الشيطان وأبطل لكيده من التخلق بخلق الكرم، والتصدق بالصدقات والعطاء، لذلك يحرص الشيطان أن يقذف في قلوب الناس الوهن حتى يحول بينها وبين البذل والكرم والعطاء، ويحرص على تعلّق النفس بحطام الدنيا الفانية:

{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٦٨).

ومن خلال التجارب ومعرفة أحوال الرجال نجد أن الكرم طريق السعة والسخاء سبب النماء، وأن الذي يجعل يديه ممراً لعطاء الله يظل مبسوط اليد بالنعمة، مكفول اليوم والغد بالنعيم الدائم من رحمة الله، قال النبي عليه الصلاة والسلام: **(ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة، وما ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر).** (الترمذي/٢٣٢٥).

وخلق الكرم لا يتخلق به إلا كريم النفس قوي الإيمان، صاحب ثقة كبيرة بالله، يعرف أن المال للإنفاق وليس للكنز، وأن التيسير على المعسرين من أعظم الأعمال عند الله فمن يسّر على معسر يسّر الله عنه، ومن فك كربة إنسان فك الله كربته يوم القيامة.

والمجتمع الذي ينتشر فيه وبين أفراده روح الكرم والعطاء هو مجتمع متراحم متعاون متحابب، ترفرف عليه رايات الإسلام

والطمأنينة والسعادة، وهذا ما نريده لمجتمعنا الفلسطيني أن يكون مجتمعاً متعاوناً، يحمل الغني فيه الفقير، ويرحم فيه القادر العاجز، وييسر فيه من يملك على من لا يملك، فلا نجد فيه يتيماً يتألم من اليتم ولا أرملة يتكسر حالها من العوز والحاجة.

إن وجود الكرماء في المجتمع علامة خير وبركة لهذا المجتمع، ومصدر حفظ كرامته وماء وجه أفراده، وعلامة على صدق إيمان أفراده وثقتهم به الرازق.

خُلق الكمـال

الكمال في اللغة مصدر كَمَلَ، ويأتي بمعنى التمام، والكامل من الرجال هو الجامع في طبعه للخصال الحسنة من مروءة ورجاحة عقل وسعة علم، ونقيضه النقصان، وقالت العرب كمال المرء بأصغريه قلبه ولسانه، وأكمل البشر هو محمد بن عبد الله النبي العربي صلى الله عليه وسلم.

والكمال المطلق حق لله وحده، فهو سبحانه كامل الوجود والذات والصفات، وصفة الكمال لله يعجز البشر من إدراكها والإحاطة بمدلولها ولا هيئتها ولا كيفيتها.

وقد أطلق المفكرون في تحديد معنى الكمال الإنساني في كل حسب مرجعيته وثقافته وتخصصه، وقد عرّفه الجرجاني: الكمال ما يكمل به النوع في ذاته أو في صبغاته.

والكمال عند الصوفية يتمثل في تمام أخلاق المتأدب، حيث الالتزام بالآداب الشرعية ظاهرها وباطنها، وتصفية القلب ومفارقة العوائد الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانية الدعاوى النفسية ومنازلة الصفات الروحانية.

وعند الفلاسفة عرّفوا الكمال بأنه الدرجة التي تتم محاسن الذات والصفات.

والإسلام يرى أن العقل والعلم والتفكير تعد من صفات الكمال الإنساني، وأنه من الواجب على الإنسان تنمية هذه الصفات بالتعلم والتأمل والتفكر والتدبر للفوز بدرجة الكمال.

كذلك من صفات الكمال الإنساني الإخلاص والذي له علاقة قوية بالأمانة والإخلاص في العلاقة مع الله تعالى والعمل بشريعته وإثبات وحدانيته والحفاظ على هذا الكون وتسخيره لما ينفعه ولهذا نجد أن القرآن لم يخص مرتبة الكمال الإنساني بجنس أو نوع أو عرق أو شعب أو طبقة، بل خصها بتوفر صفات أخلاقية وقيم سامية وأعمال صالحة واجتهاد في طلب العلم.

وخلق الكمال الإنساني أكثر ما تحقق في الأنبياء وأولهم محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك بوصفهم أكثر البشر عرفاناً بالله وطاعة له وأصدقهم عقيدة وأخلصهم في العبادة وتطبيق الشريعة، لهذا لا يسمو عرفاناً لمرتبتهم إلا من سار على هديهم.

والسؤال لماذا يهتم الدين بأمر الكمال الإنساني، ويحض عليه أتباعه، لأن هذه الصفة الخلقية إن وجدت في شخص جعلت منه نبراساً للأخرين، يقودهم للخير والصلاح، ويأخذ بأيدي الضعفاء والبسطاء، ويهدي الضالين لطريق الحق والرشاد، لهذا نجدها في أعلى درجاتها تتوفر في الأنبياء والمرسلين.

الرجل الكامل كمالاً إنسانياً رجل ينشر السلم والأمن والطمأنينة فيمن حوله من الناس أفراداً وجماعات إن كان قاضياً حكم بالعدل وإن كان طبيباً راعى حق الله في مرضاه وإن كان تاجراً لم يغش ولم يستغل ولم يخدع، وإن كان موظفاً قام بأمانة عمله على وجهه الأكمل ولم يقصر بحق أحد من الناس، وإن كان سياسياً وقائداً قاد شعبه لما فيه خيرهم وصلاحهم، وإن كان معلماً نصح لهم للعلم النافع، وإن كان عالماً أقام فيهم دين الله وشرعه على وجهه الحق دون إفراط أو تفريط وأفتى لهم بحكم الدين الحق الذي لا يميل لجهة على حساب جهة.

الرجل الكامل إنسانياً إن كان زوج كان خير زوج لزوجته رعاها بحق الله فلا يظلمها ولا يقصّر في حقها، وإن كان أباً قام على تربية أولاده حق القيام وأفضله وعلمهم ما ينفعهم ليومهم

وغدهم، لا يفرق بينهم بل كلهم أمامه سواسية وإن كان أخاً تعامل مع إخوانه بالأخوة وأعطى لكل ذي حق حقه، فلم يقسو عليهم ولم يأكل حقوقهم وأموالهم ولم يظلمهم، وهكذا إن كان جاراً كان خير جار لجيرانه، يعينهم ويساندهم ويلاطفهم ويتودد إليهم، يشاركهم في أفراحهم وأحزانهم، فلا يتكبر عليهم بمال أو منصب أو جاه أو سلطة، فالرجل الكامل إنسانياً هو ملاذ المظلومين والمحرومين ومداد الملهوفين وجابر المتعثرين وميسر على المعسرين وفاك كرب المكروبين، من هنا كان وجوده بين الناس رحمة وخير وبركة.

ويقابل الكامل إنسانياً الناقص، وهو خلق ذميم لا يتصف به إلا الحقير من الناس والتافه من القوم والناقص سبب شؤم على نفسه وجماعته، أينما ذهب لحقت به المذمة والإهانة فلا يقيم الناس له وزناً ولا اعتباراً ولا يناله احترام وتقدير، حتى ولو امتلك مالاً وسلطاناً، فنحن الآن نجد بعض قياداتنا ورجال سلطتنا من هذا الصنف من البشر، فلا قيمة له ولا لكلامه وسلطانه، ولولا جماعة المنافقين حوله لما وجدنا أحداً يقدّره ويسمع له.

ونحن في حياتنا نقابل هؤلاء الكاملين إنسانياً ونرى كم هم نافعون لمجتمعاتهم وناسهم، يقدمون لهم العون ويمدون لهم أيديهم بالمساعدة، ووجودهم في حياتنا سبب راحة بال للكثيرين وسبب سعادة للكثيرين ومن خلالهم يتم تلبية حاجات كثير من المعوزين والفقراء والمرضى وذي الحاجات.

وأمر الكمال الإنساني إما أن يكون فطرياً من الله وإما أن نتعلمه من الدين والقيم الأخلاقية، فهناك من الناس جُبلوا على كمال أخلاقهم وسمو نفوسهم، ومنهم من تعلّم ذلك من آبائهم وأجدادهم ومن علاقاتهم بالله تعالى ومعاملاتهم مع الناس بيعاً وشراءً ومعاملة، ونحن نعرف أن أحاسنكم أحاسنكم أخلاقاً، وبارك الله في الرجل السمح إذا باع أو اشترى أو اقتضى، فهؤلاء هم الخير والبركة السائدة بين الناس.

خلق النصيحـــة

النصح في اللغة يأتي على عدة معانٍ منها الخالص من كل شائبة والإخلاص والمشورة والإرشاد، وصدق الرأي، والوعظ والإرشاد وإخلاص المودة والمشورة، واستخدام الفعل باللام أفصح لغة: **{وَأَنصَحُ لَكُمْ}** (الأعراف:٦٢).

وفي اصطلاح العلماء النصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد، وعرّفها ابن الأثير قائلاً: النصيحة كلمة يُعبّر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وقال الراغب الأصفهاني: هو إخلاص المحبة لغيره في إظهار ما فيه صلاحه.

وخلق النصيحة من الأخلاق العظيمة التي يعود خيرها على الناصح والمنصوح له، فالناصح يُقدّم خبرته وعلمه وتجربته، والمنصوح له يتلقى الرأي السديد والقول الرشيد في أمر يخصه ويحتار في شأنه، والناصح يعمل بهدف الدين ودعوته، فكأنه يأمر بمعروف يعرفه ويعلمه وينصح الآخرين بما يعلم من الخير.

ودعوة الأنبياء من لدن آدم هي من باب النصيحة للناس وإرشادهم، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: **{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}** (الأعراف:٦٢)، وهذا هود عليه السلام يقول لقومه: **{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ}** (الأعراف:٦٨)، وهكذا صالح وشعيب وأخوة يوسف.

وقد جاءت نصوص كثيرة من السنة النبوية تتحدث عن النصيحة والحث عليها: **(حق المسلم على المسلم ست، قيل ما هن يا رسول الله؟، قال: إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فأنصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فأتبعه).** (مسلم/٢١٦٢).

وكما أن خلق النصيحة حق وواجب على الإنسان المسلم لأخيه المسلم، هو أيضاً حق للفرد تجاه ولي الأمر الحاكم بالطريقة المناسبة التي فيها الموعظة والنصح دون ضرر يلحق أيهما: **(إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم).** (فتاوى ابن باز/١٢/٣٥٢).

هذا في حسن النصح من الرعية لولي الأمر، أما من ولي الأمر للرعية فقول النبي: **(ما من عبد يسترعيه الله رعيته فلم يحطها بنصحه إلا لم يدخل الجنة)**. (البخاري/٧١٥٠).

ومنزلة النصيحة عظيمة ومنزلة الناصح بين الناس وعند الله عظيمة، فلا يمكن أن تصدر النصيحة إلا عمن كمل في دينه وأخلاقه وعقله وعلمه وآدابه، ثم هي تصدر عمن امتلأ قلبه بالمحبة والرضا وصفاء النفس، فالناصح محب لغيره حريص عليه، يرجو له كل خير وصلاح، ويحرص أن لا يقع له شر أو مكروه وهي قربة لله تعالى تجهيز الناصح من الناصح من خلالها أن يتقرب إلى الله بفعل الخير والمعروف، فالدال على الخير كفاعله، والناصح دال على الخير وآمر بفعله، ومن هنا يناله الأجر العظيم من الله.

ومن بديهيات الأمور أن ينصح الناصح نفسه قبل أن ينصح غيره من باب قوله تعالى: **{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}** (الأنعام:١٥٢)، وإلا كان ممن قال الله عنهم: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}** (الصف:٢-٣).

وقد ذكر العلماء أن النصيحة تكون في حالة لعامة المسلمين، وفي حالة تكون لولاة أمر المسلمين، ففي الحالة الأولى كما ورد في الصحيحين أن جرير بن عبد الله قال: بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم.

أما في الحالة الثاني: كما ورد في مسند الإمام أحمد: **(ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم)**. (ابن ماجه/٢٤٩٨).

أما حديث تميم الداري عن النبي: **(الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله؟، قال: لكتاب الله ولنبيه ولأئمة المسلمين)**. (أحمد/٣٢٨١)، فالنصيحة لله يكون بوصفه تعالى بما هو له أهل وصحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته.

والنصيحة لكتابه بتعلمه وتعليمه وتفهم معانيه وحفظ حدوده والعمل بما فيه ودب تحريف المبطلين عنه.

أما النصيحة لرسول الله فتكون بتعظيمه ونصره حياً وميتاً وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها والاقتداء به في أقواله وأفعاله ومحبته.

والنصيحة لأئمة المسلمين تكون بإعانتهم على ما حملوا القيام به وتنبيههم عند الغفلة وجمع الكلمة عليهم وحب اجتماع الأمة عليهم وكراهية افتراق الأمة عليهم، ودفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن.

أما النصيحة لعامة المسلمين فالسعي فيما يعود بالنفع عليهم وتعليمهم ما ينفعهم وكف الأذى عنهم ورحمة صغيرهم وتوقير كبيرهم أو كراهية جميع ما يضرهم والعمل لصالحهم.

ومن أخلاق وآداب النصيحة أن تكون سراً حتى لا تؤذي المنصوح له، وحتى لا تكون فضيحة، وعلى الناصح أن يختار الوقت المناسبة للنصيحة والحالة النفسية التي يرجو من خلالها قبول النصيحة، فلا يمكن أن يقبل المرء النصيحة في حالة الغضب أو الحزن الشديد أو الهيجان والفوضى، كذلك أن تكون النصيحة من شخص تتناسب حاله مع النصيحة فلن يقبل الفقير

النصيحة بالصبر والتحمل والرضا من شخص يظهر عليه الثراء والغنى ويسر الحال.

ونحن في فلسطين وفي حال صراعنا مع عدونا الإسرائيلي، وفي حال تمزقنا وفرقتنا وانقسامنا، بحاجة لمن يُقدّم لنا النصيحة الصادقة لنخرج مما نحن فيه من معاناة وتعب، كذلك نحن بحاجة إلى من يمد لنا يد العون ليخفف عنا ما نحن فيه من فقر وجوع وحصار، ولكون الناس تكالبوا علينا من كل حدب وصوب فنحن بحاجة لمؤازرتهم لنا ولو بالكلمة الطيبة.

خلق الوفــاء

ورد الوفاء في القرآن الكريم على وجهين:

الأول: بمعنى الوفاء والتمام: **{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}** (النجم:٣٧).

الوجه الثاني بمعنى الوفاء بالوعد والعهد: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ}** (المائدة:١)، ومنه قوله تعالى: **{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}** (البقرة:٤٠).

والوفاء في اللغة مصدر وفى بمعنى النبل وصدق الوداد والعهد، ويأتي بمعنى الكفاية، ومنه الوفاء بالوعد والعهد وصدق في الإخبار.

وفي الاصطلاح الوفاء هو ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الحلفاء كما ذكر ذلك الجرجاني، وعرّفه الأصفهاني بقوله: الوفاء بالعهد تمامه، وعدم نقض حفظه.

وخلق الوفاء من أعظم الأخلاق ولا يتصف به إلا القليل من الناس ولا يقدر عليه إلا القليلون ولهذا قال تعالى: {**وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ**} (الأعراف:١٠٢).

الوفاء بالعهد من النظرة الدينية والأخلاقية يعتمد على ضوابط وقواعد فرضها الإنسان على نفسه أحياناً، لهذا فإن الوفاء محتواه قيام الفرد بتنفيذ ما وعد به وعدم الإخلال بما وعد أو عاهد عليه: {**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**} (الصف:٣)، وقد أكد القرآن في أكثر من موضع على الوفاء بالعهد الذي التزم به الإنسان: {**وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا**} (الأنعام:١٥٢)، وقوله تعالى: {**وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ**} (الأنعام:١٥٢)، ومنه قول النبي في البخاري: (**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى فيه ولم يعطه أجره**). (البخاري/٢٢٢٧).

وخلق الوفاء يكون في:

١. **الوفاء بالعهد:** وهو إتمامه وعدم نقض حفظه، ويتطابق بصدق القول والعمل جميعاً، قال ابن عباس: العهد ما أحل الله وما حرم، وما فرض وما حدّ في القرآن كله.

٢. **الوفاء بالعقد:** وقيل هي عهود الأيمان والمواثيق وقيل هي ما يتعاقده الناس فيما بينهم.

٣. **الوفاء بالوعد:** والمراد به أن يصبر الإنسان على أداء ما يعد به الغير، ويبذله من تلقاء نفسه، ويرهنه به لسانه، حتى وإن أضر به ذلك.

ومن أهم آثار الوفاء في حياة الأفراد والمجتمعات أن الوفاء ذات أثر عظيم وقيمة إنسانية وأخلاقية وذلك أنه يغرس الثقة في الناس، ويُقوّي أواصر التعاون بين أفراد المجتمع، والناس مضطرون إلى التعاون، ولا يتحقق ذلك إلا بالوفاء بالعهود والوعود، ولولا ذلك لشاعت البغضاء، وتنافرت القلوب، لأن الوفاء هو أخو الصدق والعدل. والغدر أخو الكذب والجور، والوفاء بالوعد من أعمدة إصلاح الأمم والأفراد، فلا ثقة في مجتمع أخلف وعده ونقض عهده، ولا ثقة في فرد اتصف بالغدر والخيانة، بل جعلت الشريعة مخلف الوعد منافقاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم بأنه مسلم: إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان).**

(أحمد/١٠٩٣٨)، فمن ترك القيام به واتصف بالغدر فهو آثم تارك لما أمر الله تعالى به فلا ينجو من عقابه.

إن من أوفى بعهد الله ابتغاء مرضاته أوفى الله له بعهده بتوفيقه إلى الطاعات، وحقق له ما وعده من الجنة.

إن خلق الوفاء صفة أساسية في بناء المجتمعات بناءً صالحاً قوياً لأنه يشمل كل المعاملات والعلاقات الاجتماعية والوعود والعهود والعقود والمواثيق، فتزداد الثقة وينتشر الأمن والطمأنينة بين الناس، وكما وجب الوفاء بالعهود والعقود كذلك وجب الوفاء في البيع والشراء والدين والنذر وكل ما يتعلق بالمعاملات المالية والاجتماعية، فالوفي المتمسك بوفائه في حياته يشعر بالسعادة، تملأ قلبه ويعتز بنفسه وتسمو مكانته بين أفراد المجتمع.

لقد كان النبي محمداً صلى الله عليه وسلم نموذجاً رائعاً للوفاء، يقتدي به أصحابه، ليس على مستوى أتباعه من المسلمين، بل حتى مع الكفار المحاربين، فقد ذكر أن حذيفة بين اليمان وأبو حسيل طلبا من الرسول أن يشتركا في غزوة بدر مع أنهما سبق أن وعدا الكفار بأن لا يقاتلان مع محمد صلى الله عليه وسلم، فما كان من الرسول إلا أن طلب منهما الوفاء

بعهدهما للكفار، قائلاً لهما **(نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم)**. (مسلم/١٧٨٧).

إن الحديث عن خلق الوفاء كقيمة إنسانية لا يمكن أن تستقيم الحياة عنه أو تجاهله أو تجاوزه، فإن ذلك التجاوز أو الهدم هو هدم للمبادئ الإنسانية النبيلة، وبالتالي كأن الإنسان يهدم نفسه بنفسه.

وقد اهتم المفكرون الإسلاميون بقضية الوفاء وتناولوها في أبحاثهم وكتبهم، فالمعتزلة ربطوها بقضية الوعد والوعيد.

الصوفية أفاضوا الكلام عن الوفاء من خلال حديثهم عن الاستقامة، وقالوا إن الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر.

إن الوفاء بالعهد من المسلم به أن المقصود فيه فعل الخير فحسب، ومن ثم فإن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه، فالوفاء الأخلاقي يسوي بين المواطن الصحيح وبين واجب المسلم الصالح، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى السلام الاجتماعي، وفي هذا تكمن أهمية الإسلام

الذي يحرص على نشر قيم أخلاقية إنسانية في المجتمع ينشر من خلالها الطمأنينة والأمن.

ونحن في أمس الحاجة إلى انتشار خلق الوفاء بيننا، وفاء الزوج لزوجته ووفاء الأبناء لوالديهم، ووفاء المجتمع لأسر الشهداء وزوجاتهم وأولادهم، والوفاء للأرامل والأيتام، والوفاء للقادة الشرفاء الذين أخلصوا لأوطانهم، والوفاء للذين قدموا أعمارهم وأجمل أيام حياتهم لمجتمعاتهم.

خلق الغــيرة

وهو خلق يتعلق بالإنسان فقط بمعنى الحمية والأنفة، غار الرجل على امرأته والمرأة على زوجها، وهي شعور بالثورة ينتاب أحد الحبيبين لما يراه من انصراف عنه إلى غيره أو تودد أحد إلى حبيبه.

وفي اصطلاح العلماء هي ثوران الغضب حمية على أكرم الحرم وأكثر ما تراعى النساء، وهي خلق فطري كثر في العرب دون غيرهم من الأمم ويتسع مجاله ليشمل كل حرمة بأنف الإنسان أن تُمس.

وخلق الغيرة نوعان: غير محمودة وغير مذمومة.

فالمحمودة ما كان باعثها محموداً شرعاً أو عرفاً مثل الغيرة على العرض والدين والوطن وحقوق النفس والغير، وجعل الله الغيرة في الإنسان سبباً لحفظ الحياة والحقوق، مادية أو معنوية أو أخلاقية، لهذا قالت العرب كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت العفة في نسائها.

وخلق الغيرة يُستعمل في كل مجالات الحياة وهو ليس خاصاً بأمة من الأمم، بل هو متعلق بالإنسان كل الإنسان وفي كل مكان، يزيد وينقص لكنه لا ينعدم من الوجود، وقد يختفي في هيئة ويظهر في هيئة أخرى، فمثلاً قد يختفي فيما يتعلق بالعرض والشرف والمحارم، لكنه يظهر فيما يتعلق بالوطن والزعامة، وأمراً يخص الشخص أو الجهة.

وهذا الخلق يستعمل في صيانة كل ما يلزم الإنسان صيانته في السياسات الثلاثة والتي هي سياسة الرجل نفسه وسياسة منزله وأهله وسياسته مدينته وضيعته، لهذا أكثر عند العرب أن من دخل دار أحدهم والتجأ إلى فنائه ولو كان عدواً فله حرمة وجوار.

والغيرة صفة لله تعالى كما ورد في حديث ابن مسعود: **(ما من أحد أغير من الله تعالى، من أجل ذلك حرّم الفواحش)**، وكما في رواية البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله: **(إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم الله)**.

ولفظ الغيرة لم يرد في القرآن الكريم بلفظه، إنما جاء ما يدل عليه لفظ (الحمية) في صيغة يبغضها الله تعالى، لأنها غضب لغير الحق بل من أجل الباطل ونعرة كاذبة: **{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا**

فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ} (الفتح:٢٦)، لكنها وردت في السنة النبوية بصيغ متنوعة وسياقات مختلفة منها ما كان غيرة فطرية كغيرة الرجل على محارمه، كما يقول سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(أتعجبون من غيرة سعد، لأني أغير منه والله أغير مني)**، ومنها غيرة النساء على الرجال، كغيرة عائشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها غيرة المرأة على ضرتها كغيرة عائشة أيضاً من ذكر النبي لخديجة بعد موتها، وهذه كلها غيرة فطرية محمودة ما دامت في دائرة الاعتدال ولا ينتج عنها عدوان على أحد من النساء، فلا ضرر ولا ضرار.

ومن الغيرة ما كان مكتسباً بالتربية، دينية وأخلاقية، كغيرته على محارم الله وحدوده، وغيرته على دينه وغيرته على وطنه وبلدته وقضيته، وغيرته على حقوق الإنسان، وغيرته على القيم والأخلاق بين الناس.

وخلق الغيرة خلق يحفظ للناس حقوقهم ويمنع التعدي عليها، إن كانت حقوقاً معنوية تتعلق بالعرض والشرف، أو حقوقاً مادية تتعلق بحقوق الإنسان والأهل والبلد، وكون الغيرة حمية وغضب

فمن اللائق بالشخص أن يعرف بالدوافع والغايات، فمن كانت دوافعه رعاية حق الله وتحقيق مقاصد الشرع كانت هذه الغيرة محمودة يحبها الله، وإن كانت غير ذلك كانت مما يبغضها الله فهي حمية جاهلية.

وخلق الغيرة حفظ للعرب والمسلمين على مدار تاريخهم، حفظ لهم كرامتهم وصان لهم شرفهم ورفع من قدرهم، وأعزهم بين الأمم والتاريخ يحفظ لنا مواقف كثيرة مشرّفة من غيرة العرب، فغيرة عمرو بن كلثوم حين صاحت امرأة واعمراه، كانت غيرة محمودة في محلها، وغيرة المعتصم حين استنجدت به المرأة المسلمة قائلة: وامعتصماه، وغيرة صلاح الدين الأيوبي من أجل تحرير بيت المقدس، وغيرة المجاهدين انتقاماً من جنود الاحتلال الصهيوني كلها في محلها غيرة محمودة.

ونحن في حاجة لخلق الغيرة نربي عليه أجيالنا الصاعدة، حتى نخلق بينهم الانتصار لدينهم وحقوقهم ونصرة للمظلومين والمضطهدين من الناس، وعلينا أن نخرج بالغيرة من نطاقها الضيق، وهي ما يتعلق بالمحارم من النساء فقط إلى دوائر أعظم،

دائرة الوطن والدين وقضايانا المهمة، الغيرة على مقدساتنا في وجه العدو الغاصب.

وكما أن هناك غيرة محمودة، فهناك غيرة مذمومة مرفوضة، وهي ما كان باعتها سوء الظن بلا داع ولا موجب كغيرة الزوج على زوجته في كل صغيرة وتافه من الأمور، وكذلك غيرة الزوجة على زوجها في علاقاته مع أقربائه من النساء أو زميلاته في العمل، أو كغيرة زملاء العمل بعضهم من بعض مما يؤدي إلى المنازعات والمشاكل والأحقاد والبغضاء والقطيعة.

ومن القضايا الخطيرة التي نراها في زماننا ما نسميه موت الغيرة كما نراه في المجتمعات الغربية غير المسلمة، لا يغار الرجل على محارمه ولا تغار المرأة على زوجها، مما سهل انتشار الرذيلة والفاحشة.

ونحن في فلسطين ما زال خلق الغيرة وخصوصاً المحمودة موجوداً، مما يجعل علاقاتنا قائمة على الثقة والاحترام، وحرص بعضنا البعض كل على الآخر، وهذا يزيد من ترابط المجتمع ويقوي علاقاته، ويزيد من احترامه ويقلل من الخوف والريبة،

ولكننا مع كل هذا ندعو إلى الغيرة البناءة التي تبني ولا تهدم وتعزز من ترابطنا وعلاقتنا بعضنا البعض.

خلق القصـد

يأتي القصد بعدة معانٍ منها المشي مستوياً وعدم التفريط، والطريق المستقيم، والعدل في الحكم، والمتوسط بين الإفراط والتقتير، والتوجه للشيء والقهر والقسر.

وهنا معناه التوسط بين الطرفين لقوله تعالى: **{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}** (لقمان:١٩)، أي كن وسطاً بين الطرفين، وقول النبي: **(القصد القصد تبلغوا)**. (البخاري/٦٤٦٣)، أي التوسط في الأمور قولاً وعملاً.

وعلى العموم فإن معنى القصد هنا الاعتدال في الشيء، فلا يقع فيه الإفراط أو التفريط.

وخلق القصد من الأخلاق العملية في حياة الإنسان، والذي يكون من خلاله معتدلاً، وهذا الاعتدال له جوانب متعددة مادية ومعنوية واعتقادية وتعبدية وأخلاقية.

وصاحب خلق الاقتصاد إنسان مقبول من غيره، مرغوب فيه، وعلاقة القصد لا تقتصر على فئة معينة من الناس، بل هي تشملهم جميعاً، المسلم وغير المسلم، والعربي وغير العربي،

وعلاقته بالعمل والفكر، فهو في العمل اعتدال دون غلو أو تقصير، ومن غير انحراف أو اضطراب، وغير الاعتدال يكون صاحبه متحيراً مرة لليمين ومرة للشمال، فالاقتصاد يلزم الإنسان في كل شئون حياته الخاصة والعامة.

وكذلك يكون صاحب الاقتصاد عادلاً في أحكامة وتصرفاته ونظرته للأشياء، وعلاقاته مع الناس، فلا تجاوز ولا تهاون وتقصير، يضع الأمور في نصابها ومكانها الصحيح وهذا ما يريده منه الدين **{كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}** (البقرة:١٤٣).

وكما أن خلق الاقتصاد يكون في الأمور المادية والمعنوية يكون كذلك في الأمور الاعتقادية، وقد أطلق الإمام الغزالي على إحدى كتبه اسم "الاقتصاد في الاعتقاد" وفيه يُرّغب في الاعتدال في المعتقد الديني ويدعو إلى عدم التمسك بحرفية النص والجمود عنده جموداً يجعله في تناقض مع العقل، وإنما يتوسط الأمر بين النقل والعقل ويجب أيضاً ألا يغالي في الذهاب مع منطق العقل إلى حد الخروج عن مرمى النصوص القاطعة.

إن خلق القصد والتوسط هو لب الفضيلة، والقصد والتوسط هو أن تمتلك الحياة لتسخرها في بلوغ المثل العليا، لا أن تملك

الحياة فتسخرها لدنياها، ولا أن تحرم من الحياة أصلاً فتقعد ملوماً محسوراً، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: **(السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة)**. (الترمذي/٢٠١٠).

ولنا في خلق القصد قدوة برسول الله صلى لله عليه وسلم فمن صفاته القصد والاعتدال في الأمور كلها، لهذا لم يقبل النبي موقف النفر الذي قال أحدهم أنا أصوم ولا أفطر، وقال الآخر وأنا أصلي ولا أنام وقال الثالث وأنا أعتزل النساء، فبيّن لهم أن ذلك يرفضه الإسلام ويأمر بالاعتدال والقصد في الأشياء فقال صلى الله عليه وسلم: **(أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)**. (البخاري/٥٠٦٣)، فالنبي لنا قدوة في القصد والاعتدال في التعامل مع كل شيء مادي أو معنوي.

ويكون جمال خلق القصد واضحاً في المأكل والمشرب وزينة اللباس، فإن حال الإنسان في مأكله ومشربه مطلوب منه الاعتدال والقصد والتوسط، فلا يفرط في تناول الطعام والشراب ولا يفرّط، فإن الداعي إلى الطعام والشراب شيئان، حاجة ماسة وشهوة

باعثة، فالحاجة تدعو إلى ما سد الجوع وسكّن الظمأ، وهذا مندوب إليه عقلاً وشرعاً لما فيه من النفس وحراسة الجسد، ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال بين صوم اليومين، لأنه يُضعف الجسد ويميت النفس، ويُعجز عن العبادة.

وأما شهوة الزيادة عن قدرة الحاجة والإكثار على مقدار الكفاية فهو ممنوع منه، في العقل والشرع، لأنه تناول ما زاد على الكفاية فهو شره مضر، وما ورد عن النبي في هذا واضح الدلالة: **(ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)**. (ابن ماجه/٣٣٤٩).

وخلق القصد مطلوب حتى تستقيم حياتنا على مستوى الأسرة ما بين الزوج وزجته يقصد في طلباته وتدخلاته، ومن الطرف الآخر من الزوجة للزوج فتقصد في طلباتها من زوجها فلا تطلب إلا ما كان ضرورياً حتى لا تسبب له إرهاقاً في النفقة والمصروفات، نفس الأمر أن يقتصد الأبناء في طلباتهم من أبيهم وأمهم حتى لا يكونوا سبب إرهاق ومصدر مشاكل لهما، وهكذا في علاقات الأخوة فيما بينهم، والجيران وزملاء العمل.

كذلك خلق القصد مهم كثيراً ما بين التجار وعامة الناس والأطباء والمرضى، فالتاجر يقصد في نسبة الربح في تجاراته، والطبيب في رسوم الكشف والعلاج، وهكذا في كل جوانب الحياة.

إن روح الاقتصاد إذا شاعت بين أفراد المجتمع كانت علامة على سمو أخلاقهم وقوة إيمانهم ومظهراً جميلاً لترابطهم وتعاونهم، وبالتالي كانت الحياة ميسرة وسهلة شعر فيها المرء بالأمان والراحة والسعادة.

ونحن كشعب فلسطيني مطلوب منا أن نقتصد فيما بيننا من علاقات مادية، وأن نعتدل في طلباتنا، فالأب الذي يريد أن يزوج ابنته عليه أن يقتصد في طلباته حتى لا يرهق الخاطب ولا يزيد من أعبائه، وأن يتنازل عن كل شيء ليس ضرورياً، وكذلك أصحاب العقارات أن لا يرفعوا من أجرة بيوتهم حتى لا يرهقوا المستأجر، وهكذا أصحاب المهن والحرف أن يتقوا الله في أصحاب الحاجات حتى يبارك الله لهم في أرزاقهم وأموالهم.

خلق القناعــة

تأتي القناعة في اللغة بعدة معانٍ منها: المسألة والتذلل والخضوع والانقطاع، والرضى باليسير، وبمعنى الإقبال، وتأتي بمعنى قصه ورده عما كان يريد.

وفي حالتنا هذه يأتي معناها الرضا بما عنده ولم يطمح إلى سواه فهو قنيع، والقناعة الرضا بما قسّم، وقد جاء في الذكر الكريم: **{وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ}** (الحج:٣٦)، فالقانع هنا الذي يسأل الحاجة والمعتز الذي يتعرض ولا يسأل، وقيل القانع الذي لا يسأل من القناعة، كونه رضي بما قسّم له وترك السؤال.

وفي الاصطلاح القناعة الرضا بالقسم وقيل الاجتزاء باليسير من الأغراض المحتاج إليها.

وعرّفها الجاحظ في تهذيب الأخلاق: هي الاقتصاد على ما سنح من العيش والرضا بما تسهل من المعاش وترك الحرص على اكتساب الأموال وطلب المراتب العليا مع الرغبة في جميع ذلك وإيثاره والميل إليه، وقهر النفس على ذلك والتقنّع باليسير منه.

والقناعة عند علماء الأخلاق هي: الرضا في امتلاك شيء معيّن مع الحمد والشكر والثناء لمن أعطاك هذا الشيء سواء أكان شكراً لله على ما أعطاك من نعم ومنحك من مزايا فيرضى القانع بما قسّم الله له فهي أشبه ما تكون كالقنوع في الحد من عدم الرضا، وحاجز يمنع السخط عند عدم التمكن من امتلاك ما تتمناه وبهذا تكون نعمة من الله عز وجل، فمعها راحة لنفس القانع بما لديه، لأن عدم القناعة يسبب إشغال العقل بكثرة التفكير فيما تريده النفس من طلب الزيادة على ما حباه الله به، فيوصله ذلك إلى مرحلة اليأس والسخط والتذمر، أما القنوع الحامد الشاكر فيزيده الله من النعم والراحة النفسية ما يسعده ويُسهّل عليه أمور حياته.

وخلق القناعة من أعظم وأجمل ما يرزق الإنسان، وهو قد يكون فطرياً وقد يكون مكتسباً عن طريق التربية الدينية والأخلاقية، وهذا الخلق يعلو بصاحبه ويجعله مرتاح البال يشعر بالسعادة والطمأنينة وثقته وإيمانه بالله قوية، لأنه يعلم أنه هو الرزاق الواهب للنعم، ومن هنا يكون هذا القنوع مقبولاً عند الناس

لأنهم يسلمون من حسده وغيرته وتدخلاته في حياتهم، فلا يزعجهم بكثرة أسئلته واستفساراته.

وخلق القناعة عند كل البشر، إلا أنه عند المسلم مأجور عليه كونه راضٍ بما قسّم الله له، وهذا الخلق يقيم العلاقات الطيبة بين الناس، ويخفف من بينهم روح الصراع والمنازعات والحسد والتباغض، فهو أميل بصاحبه إلى روح الرضا والسماحة، وقد حض النبي عليه السلام عليها بقوله: **(عليكم بالقناعة، فإن القناعة مال لا ينفذ).** (الترغيب والترهيب/٢٣١٠).

ولفظ القناعة لم يرد في القرآن بصيغة اسم الفاعل إنما ورد بلفظ (القانع) ولفظ (مقنعي)، وكلنا يحفظ المقولة التي تقول القناعة كنز لا يفنى، وهذا قول حق.

وخلق القناعة كما يكون فطرياً عند البعض يكون مكتسباً عند البعض الآخر وذلك عن طريق:

١. تقوية الإيمان بالله وتعويد النفس على القناعة.

٢. يقين النفس أن الأرزاق بيد الله وهي مكتوبة للمرء قبل أن يخلق.

٣. تدبّر آيات القرآن التي تتحدث عن الرزق والاكتساب.

٤. محاولة معرفة حكمة الله سبحانه في تفاوت الأرزاق ومراتب الناس، لما فيها من تحصيل عمار الأرض وتبادل المنافع والتجارات.

٥. الإكثار من سؤال الله القناعة للشخص اقتداء بالنبي الذي كان دائماً يدعو: **(اللهم متعني بما رزقتني، وبارك لي فيه واخلف عليّ كل غائبة لي بخير)**. (الحاكم المستدرك/١/٤٥٥).

٦. العلم بأن الرزق لا يخضع لمقاييس البشر من قوة الذكاء وكثرة الحركة وسعة المعارف، وإن كانت سبباً فيه.

٧. النظر لما هو أقل منك في أمور الدنيا وعدم النظر إلى من هو فوقك فيها، لقول النبي: **(انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله)**. (الترمذي/٢٥١٣).

٨. قراءة سير السلف الصالح وأحوالهم مع الدنيا والزهد فيها والقناعة بالقليل منها، مع أنهم أدركوا الكثير منها.

٩. النظر في التفاوت اليسير بين الغني والفقير على وجه الحقيقة، فالغني لا ينتفع إلا بالقليل من ماله وهو ما يسد حاجاته من مأكل ومشرب ومسكن وما زاد من مال فليس له وإن كان يملكه.

إن خلق القناعة يعود على صاحبه بالسعادة والراحة والأمن والطمأنينة في الدنيا والآخرة ومن أهم وأعظم ما ينتفع المرء من القناعة:

١. امتلاء القلب بالإيمان بالله سبحانه وتعالى والثقة به والرضا بما قدّر وقسّم.

٢. الحياة الطيبة السعيدة.

٣. تحقيق شكر المنعم سبحانه وتعالى وذلك بأن من قنع برزقه شكر الله عليه.

٤. الفلاح والبشرى لمن قنع لقول النبي: **(طوبى لمن هُدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنعه الله به).** (الترمذي/٢٣٤٩).

ونقيض القناعة الجشع والذي يُورث الهم والحسد والطمع وقلة الإيمان وقلة الراحة وكره الناس وبغضهم، قال الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود وأهناهم عيشاً القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط.

ونحن في فلسطين ما أحوجنا لخلق القناعة مع ظروفنا القاسية، فمن خلاله ترضى النفوس ونفوّض الأمر إلى الله تعالى، فالقناعة جسر يعبر من خلاله الناس لراحة البال والتعاون وحسن العلاقة، وبناء حياة طيبة تحفها بركات الله تعالى.

خلق كتم السر

من أجمل الأخلاق التي يتخلّق بها الإنسان، يعود عليه بالنفع والفائدة.

وقد ورد في القرآن الكريم بمعنيين اثنين فقط:

الأول: الجماع: **{وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا}** (البقرة:٢٣٥).

والثاني: الإخفاء: **{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً}** (البقرة:٢٧٤)، وقد ورد هذا المعنى في اثنين وثلاثين مرة في صور مختلفة وكلها تعنى كتم أمر ما، وتؤكد مسئولية الإنسان عما يكنه في صدره من معلومات.

والسر له وجهان:

الأول أن يكون حديثاً في نفس الإنسان يستبيح إعلانه أو فعلاً يريد فعله، وأول ما يصيب الفعل من وهن وضعف الإعلان عنه قلة فعله، وكتمان هذا النوع يكون من الحزم والاحتياط.

والثاني: ما يلقي الإنسان من حديث يستكتم، بأن يطلب منك كتم ما يقول لك، أو يفرد بك حين حديثه أو يخفض صوته حين الكلام فلا يسمعه غيرك، وهذا النوع كتمانه يكون من باب الوفاء.

وخلق كتمان السر من الأخلاق الواجب توافرها في الناس، وهي دلالة على أمانة الفرد وصدقه ومتانة علاقته بغيره، وقدرته على تحمّل المسؤولية، وهي نوع من الوفاء ودلالة على الإيمان وقوة الشخصية، وقد حض عليها الإسلام ورغّب بها ما دام أمراً عادياً ليس فيه أكل للحقوق أو خيانة للدين والوطن إذا كان يترتب على إفشائه خوف من الاعتداء على النفس أو المال أو العرض.

وكتمان السر ليس دائماً حسناً ومقبولاً، بل نجد الدين ينهى عنه ويمقته في مواضع مثل كتمان الحق لأن فيه تقوية للباطل، ومثل كتمان نعمة الله تعالى والتظاهر بغيرها فهذا يعتبر كفر بنعمة الله تعالى، ومثل كتمان لشهادة فتضيع الحقوق وتهدد المصالح، وفيه ظلم واضح لصاحب الحق، ومن الكتمان الممنوع كتمان المرأة ما خلق الله في رحمها ففيه خلط للأنساب، ومنه كتم العلم حيث الواجب نشره وإعلانه لينتفع به الناس، وإلا يكون سراً

فيهلك ويزول، وقد حذرنا النبي من كتم العلم حيث قال: **(إن العلم ليهلك حتى يكون سراً)**. (البخاري/١٠٠).

وخلق كتم السر يستلزم قوة إرادة فهو شاق على النفس ويحتاج إلى مجاهدة، لهذا على صاحب السر أن يستودعه لمن يقدر على مجاهدة نفسه وقهر شهواتها، وذلك لا يتم إلا بالعقل الذي يلجم النفس ويردعها ويضبط شهواتها، لأن إخراج السر من قبيل تلك الشهوات، فمن طبيعة البشر الإخبار والاستخبار وعسير عليه الكتمان لإيثار هذه الشهوة والانقياد لها.

وقدرات الناس على حفظ الأسرار وكتمها يختلف من شخص لآخر، فمنهم من لا يخرج منه كلمة واحدة أياً كانت المغريات ومنهم من لا يقدر على حفظ سر للحظة واحدة، فتجده يذيع ما يحفظ ليظهر للناس مكانته وسلطانه، فمن الناس من يحرص على الحديث ومنهم من يحرص على الاستماع ومنهم الضنين بالعلم ومنهم السمح به وعلى ذلك يكون بعضهم أحرص على إخراج السر وبعضهم أثبت وأحسن تماسكاً.

ونقيض خلق كتمان السر إفشاؤه، وهذا الشخص يكون إما ضيق الصدر قليل الصبر، أو صاحب غفلة في العقل عن الحذر، أو صاحب غرور واستهتار يركب صاحبه.

لهذا من الواجب على العاقل أن يختار لسره الشخص الأمين صاحب العقل القوي والدين الصادق والخلق والمروءة وصاحب الوداد الكتوم بطبعه.

ومن الخطأ أن يكتم الرجل سره عند من يبحث عن أسراره ويتطلع لمعرفة خصوصياته، ولا يكتم سره عند أكثر من شخص فأن كثرتهم سبباً للإذاعة والإفشاء، ولن يعرف من أذاع سره من بين الجماعة الذين يحفظوه لأنه بمقدور كل واحد أن يدفع الشبهة عن نفسه.

والسر يعتبره الإسلام من الأمانة الواجب المحافظة عليها، وهي أقوى من حمل أمانة المال، لأنها أشد على النفس المؤمنة والمطمئنة ولا تحتملها إلا النفوس القوية لهذا قال الحكماء: من أفشى سره كثر عليه المتآمرون.

وخلق كتم السر ضرورة في حياتنا الخاصة والعامة، فعلى الزوج أن يحفظ أسرار زوجته فلا يذيعها بين أصدقائه وأهله، وكذلك على الزوجة أن تحفظ أسرار زوجها فلا تُحدّث بها أحداً من الناس من أهل وأصدقاء، وكذلك على الأبناء أن يحفظوا أسرار أهلهم وأسرهم فلا يُطلعون عليها أحداً من أصدقائهم، وعلى الجيران والأخوة أن يحفظوا أسرار بعضهم بعضاً.

على الموظف أن يحفظ أسرار عمله، والطبيب أسرار مرضاه، والسياسي أسرار بلده، والجندي أسرار الجيش فلا يشيعها ويعلنها، وما تمكن العدو من الوصول للمجاهدين وأسرارهم إلا من خلال ضعاف النفوس الذين يسقطون أمام الإغراءات والتهديدات، والدول الآن تعتبر إفشاء أسرار الدولة خيانة عظمة يستوجب صاحبها الإعدام، ولما تسبب من أضرار تلحق بلده ومجاهديها.

ونحن في فلسطين ومن خلال صراعنا مع عدونا الصهيوني بحاجة كبيرة إلى خلق كتم الأسرار، وأن لا يتكلم كل من يعرف شيئاً عما يعرف، فالعدو يراقب ويتابع ويجمع المعلومات من هنا ومن هناك ويوظف أجهزة كثيرة وينفق عليها أموالاً طائلة ليصل إلى أسرارنا، فإما يُفشل خططنا أو يقتل مجاهدينا أو يقتحم علينا

ديارنا، وعلى الناشطين الإعلاميين أن يكونوا على مستوى عالٍ من الحيطة والحذر من نشر ما يقوموا بنشره حتى لا يستفيد منه العدو بشيء.

كلنا بحاجة إلى كتم الأسرار، التاجر والمعلم والموظف والطبيب وخصوصاً ما لم يكن فيه أي مضرة على أحد، بل فيه المصلحة والمنفعة.

القسم الثاني

الأخلاق الذميمة

خلق الأنانية

هي الادعاء بغير الواقع اعجاباً وتكبراً، وتعني إيثار النفس مع عدم التفكير في الآخرين، وأحياناً تعني الصلف والعجرفة، وهي من الأنا التي يراد بها الذات والشخص.

وعرّف علماء الاجتماع الأنانية بأنها حالة سلوكية تقوم على التمركز على المصلحة الشخصية وليس على مصلحة الآخرين أو المجتمع، وترتبط الأنانية ارتباطاً صحيحاً بالفردية، والفكر الاشتراكي يعتبر الأنانية خطيئة وأثر من بقايا الرأسمالية.

والأنانية كلمة تتعلق بالظواهر الأخلاقية وتتمثل في سلوكيات الفرد الشخصية في مقابل الشعور بالآخرين، وقد اهتم العلماء والباحثون بدراسة هذا الشعور اهتماماً كبيراً لما له من انعكاسات على حياة الفرد والمجتمع.

وأي ظاهرة خلقية تنتج عن تلاقي الشعور بالذات مع الشعور بالآخرين، على أساس أن فهمنا لأنفسنا يكون من خلال فهمنا للآخرين وملاحظتنا لهم، أو ليس في الحياة الخلقية وجود شخص ذاتي معلّق على ذاته منعزل عن كل شعور آخر، إذ أن هناك

شعوراً متداخلاً أولياً بين الذات والآخر، فالموجود البشري يحيا في سياق الحياة الاجتماعية والتفاعل بين الأشخاص.

وخلق الأنانية من الأخلاق الذميمة التي يقع فيها البعض، وهو خلق قد يكون فطرياً كما تلاحظه عند بعض الأطفال، وفي الغالب يكون مكتسباً تأثر به من خلال البيئة الأسرية أو المدرسة، وأكثر من يؤثر في الشخص في هذا الجانب هما الأبوان، وقد لا تظهر خطورة هذا الخلق على الشخص في بداية حياته، لكنه كلما كبر وزادت دائرة احتياجاته زاد هذا الخلق ظهوراً وخطورة.

والأناني لا يرى إلا نفسه ولا يعترف بوجود الآخرين مع أنهم يعيشون معه وحوله، لكن رغبته في امتلاك وحيازة والسيطرة على كل شيء كأن يلغي وجودهم، فهو يريد من أمه وأبيه أن يكونا له وحده، يقدما له كل شيء قبل غيره، وأن يكون اهتمامهما به مقدّم على غيره من إخوته أو زملائه في المدرسة، في الوقت نفسه لا يُقدّم هو شيئاً لغيره، وبالتالي يكبر هذا الولد وتكبر معه أخلاقه، بل يزداد سلبية وخطورة، وبالتالي ممكن يشكل خطراً على المجتمع المحيط به.

والإسلام يرفض جملة وتفصيلاً هذا الخلق الذميم مع أنه يعترف بمساحة ما لبروز الذات وتلبية حاجاتها وتقديمها على غيرها في بعض المواطن، فمن خلال تتبعنا لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية والآثار الواردة عن السلف نجد أنه لا مجال لمبدأ أو خلق الأنانية، بل نجد العكس تماماً، نجد اهتمام الدين بأمر الغير والحث على التعاون والمشاركة الجماعية، بل الكثير من عبادات الإسلام هي دعوة للاندماج بالآخر ومشاركته الصلاة والحج والزكاة وغيرها.

بل إننا نجد الدعوة للإيثار على النفس واضحة صريحة: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}** (الحشر:٩)، وقوله تعالى: **{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}** (الإنسان:٨).

وحديث النبي في هذا صريح للغاية: (من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له) البخاري، وقوله عليه السلام: **(ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى).** (البخاري/٦٠١١).

إن خلق الأنانية لا يصدر إلا عن شخص ضعيف الإيمان بالله، ضعيف الشخصية، يظن في نفسه التفرد والتميز وهو ليس كذلك، هذه الشخصية لا تعطي ولا تنتج ولا تعمل، ترغب في أن يخدمها كل الناس دون أن يقدّم هو لهم شيئاً، ومن هنا تأتي خطورته أنه لو لم يلبي له الناس حاجاته، ربما انقلب عليهم فكان أداة هدم وخطر، هذه النوعية هي الأقرب للوقوع في براثين العمالة مع العدو، أو الانحراف العقلي والنفسي والاجتماعي، قابليته للسقوط كبيرة، تعاطي المخدرات أو الرذيلة، ومن هنا تأتي خطورته على البيئة المحيطة به، أسرته، وعائلته ومجتمعه.

لهذا على الأسرة أن تكون حريصة في بناء شخصيات أولادها وبناتها، والحرص على اندماجهم في المجتمع من خلال المساجد والصحبة الطيبة وزيارة الأقارب وممارسة الهوايات الإيجابية من قراءة ورحلات ونزهات ودراسة سيرة السلف الصالح من الصحابة وغيرهم من أصحاب البطولات والمتميزين من العلماء والسياسيين، بالإضافة لممارسة الرياضة بأنواعها.

إن أول من يجني ثمار خلق الأنانية الخطير هو الأهل من خلال فشل ابنهم أن يكون إنساناً سوياً كغيره من الأقران لا على

مستوى البيت ولا على مستوى الحي والحارة ولا على مستوى المدرسة والمجتمع لهذا من الضروري أن ينتبه الآباء لأولادهم ويحرصوا على تربيتهم التربية الحسنة.

إن أخطر ما يمكن أن يتمثل خلق الأنانية في سياسي أناني أو تاجر أناني، أو طبيب أناني أو مسؤول أناني، فهؤلاء ممكن أن يدمروا المجتمع وينحرفوا به إلى ظلمات من الفساد والتمزق والانحراف.

خلق الغيبــة

الغيبة في اللغة مصدر غاب وهو ذكر شخص غائب بالسوء.

وفي الاصطلاح، ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه، أو إن لم تكن فيه فهي بهتان وإن واجهه بها فهو شتم، وقيل إن تذكر أخاك بما يكره، فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته، أي قلت عليه ما لم يفعله.

وحديث الغيبة ذكر كل ما يكره المرء أن يُذكر فيه، سواء كان نقصاً في بدنه أو نسبه أو خلقه أو فعله أو قوله أو دينه.

وقد نهى القرآن الكريم والسنة النبوية عن الغيبة واعتبرها خُلقاً ذميماً، وهي من الكبائر التي تُدخل صاحبها في النار، عدى خطورتها على الفرد والمجتمع: **{وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}** (الحجرات:١٢).

وقد حرّم الإسلام كل أنواع الغيبة، ففي البدن كقولهم أعمش وأحول وقصير وأسود وأصفر، وأما النسب كقولهم أبوه فاسق أو زبال أو خسيس، أما الخلق كقولهم هو بخيل أو منافق أو متكبر، أما الفعل كقولهم هو سارق أو شارب خمر أو خائن أو عميل، وأما الغيبة بالفعل كقوله هو متهاون أو كسول أو يحب نفسه أو هكذا.

واستثنى العلماء غيبة الدين كقولك هو لا يصلي أو لا يزكي أو لا يقرأ القرآن، كذلك استثنوا ما كان للجرح والتعديل، فلا غيبة فيه.

وخلق الغيبة يكون باللسان وبالإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة، أو أي شيء يفهم منه المقصود فهماً غير ملبس، ولا يمكن فهمه إلا على محو الذم وذكر العيب.

والغيبة رذيلة تخالف ما تقرر في الإسلام من حرمة المسلم والإنسان عموماً، فكما لا يصح غيبة المسلم لا يصح غيبة غير المسلم لأنه نفس إنسانية، ثم إن الغيبة تظهر نقصاً نفسياً عند مقترفها، فقد قيل: ما وجد غائب إلا كان معيباً، ومن مخاطر الغيبة أنها تقطع العلاقات الطيبة وتفتح باب التعقب والبحث عن

العيوب، فقد قيل إن من اغتاب اغتيب ومن عاب عيب، فبحثه عن عيوب الناس يحمل الناس على البحث عن عيوبه، وقيل لا تعن الناس على عيبك بسوء غيبك، وقيل الغيبة رعي اللئام.

كل هذا من باب الذم في الغيبة لما تحدثه من آثام سيئة في المجتمع، ومن الشرور في علاقات الأفراد، فالمسلم يحفظ على أخيه غيبته ولا يسمح لأحد أن ينال منه، لا في قول ولا في إشارة أو في فعل وهذا من أبسط حقوق المسلم على أخيه المسلم.

وقد تطورت طرق الغيبة مع تطور العصر، فظهرت في زماننا العيبة بالكتابة على وسائل التواصل، وأصبح انتشارها سريعاً، وظني أن حكمها أغلظ من حكم غيرها من الغيبة كونها أكثر خطراً، فالملايين يقرأونها، لهذا وجب الحذر من هذا النوع من الغيبة.

والمستمع للغيبة شريك في جرم الغيبة، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: **(المستمع أحد المغتابين)**. (طبقات الشافعية السبكي/٦/٣٤٠).

ومن هنا وجب على المستمع للغيبة أن يرد عن أخيه ما دام يعرف عنه خيراً، وذلك برفض الاستماع، والنهي عن الغيبة والتذكير بحرمة هذا الفعل لقول النبي عليه الصلاة والسلام: **(من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار)**. (الطبراني في الكبير/٢٤/١٧٦).

وخلق الغيبة لا يمكن أن يصدر عن إنسان مؤمن بالله واليوم الآخر إيماناً حقيقياً، بل هو يتنافى مع الإيمان، ويتنافى مع الأخلاق الإنسانية والأخلاق الإسلامية، ولا ترتضيه الفطرة السوية للإنسان، وفيه من خسة النفس ودناءتها، فهذا الفعل أو القول أو بأي طريقة كان يزرع روح العداوة بين الناس، وينزع المحبة والاحترام بينهم، وتحل بدلاً عنها الكراهية والبغضاء، وتنشر روح العداوة، ويحطم العلاقات العائلية والروابط الاجتماعية، ففي وجود الغيبة لا مكان للإخوة والصداقة والجيرة وزمالة العمل والمصاهرة، الغيبة تنشر قيم هدامة في المجتمع مثل سوء الظن والتخوين والوقيعة بين المتحابين لهذا وصف الله المغتاب وصفاً صعباً: **{أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}**. (الحجرات: ١٢).

ويمكن علاج خلق الغيبة عند صاحبها عن طريق غرس فضيلة المراقبة في نفس المغتاب، فيعلم أن الله يسمعه ويراه ويحصي عليه كل صغيرة وكبيرة، وأن هذا الخلق الذميم يجعله تحت طائلة سخط الله ونقمته وعذابه، وأن هذا الفعل يحرمه من أجر وثواب كل عمل طيب يقوم به، فالغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، فما قيمة صلاته وصيامه وزكاته.

وعلى المغتاب الذي يريد أن يخرج من دائرة الغيبة أن يبحث في نفسه عن دوافعه للغيبة فيعمل على التخلص منها، حتى يخرج من دائرة سيطرة الشيطان والنفس الخسيسة، وبكثرة عبادة الله وتلاوة القرآن والتفكر في الله. والنظر للناس نظرة خير وثقة يستطيع الإنسان التخلص من مرض الغيبة.

نحن بحاجة لروح المحبة والتعاون والترابط، لمواجهة ظروف الحياة القاسية ولنقدر فيما بعد على مواجهة عدونا الخبيث الذي يتربص بنا الدوائر.

خلق النميمة

في اللغة مصدر نم وهو نقل الحديث بين الناس للإفساد، ويأتي بمعنى الصوت الخفي من همس أو حركة.

وتأتي بمعنى الوشاية للإفساد، وهي من الآثام والمعاصي، وصاحبها يُسمى نماماً وقتاتاً، والنمام هو من يكشف ما يكره الناس من أحاديثهم سواء كان المنقول له أو المنقول عنه.

وفي الاصطلاح النمام هو الذي يتحدث مع القوم فينم عليهم، فيكشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، أو الثالث وسواء كان الكشف بالعبارة أو بالإشارة أو بغيرهما.

وحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر، وهو من الخُلق الذميم، ولأن الباعث عليه سيئاً.

والباحث عن النميمة في الغالب إما إرادة السوء للمحكي عنه، أو إظهار الحب للمحكي له، أو الخوض في الحديث.

ومن واجب المنقول إليه حديث النميمة أمور عدة منها:

١. عدم تصديقه، كون النمام فاسق ترد شهادته ولا يصدق كلامه: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ**} (الحجرات:٦).

٢. أن ينهاه عن فعل النميمة وينصح له ويقبح عمله: {**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ**}. (لقمان: ١٧)

٣. أن يظهر بغضه لهذا الفعل حباً في الله تعالى ولأن الله لا يحب هذا الفعل، كونه معصية.

٤. عدم الظن السيء بأخيه الغائب: {**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**} (الحجرات: ١٢).

٥. أن لا يدفعك ما سمعت على البحث والتجسس من أجل أن تتأكد من صحة الكلام: {**ولا تجسسوا**}.

٦. أن لا تفعل ما فعله النمام وتتحدث بالنميمة وتقول فلان قال لي كذا وكذا: {**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ .هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ**} (القلم: ٨-٩).

إن خلق النميمة رذيلة قد تتسبب بحدوث كوارث بين الناس، وفي الغالب النميمة تكون بين الأهل والأصدقاء والإخوة، فتعمل

هذه النميمة على قيام الخصومات والمنازعات والخلافات وقطع الأرحام بين الأهل، وكان من عمل امرأة أبي لهب (حمالة الحطب) أنها تنقل الكلام بالنميمة، وسمى النميمة حطباً لأنه يحرق صاحبه ويحرق العلاقة بين الناس، والنمام أخطر من الشيطان، كون الشيطان يوسوس لصاحبه أما النمام فيواجه مواجهة.

وقد حذرنا النبي عليه السلام من النميمة: **(لا يدخل الجنة نمام)**. (مسلم/١٠٥)، ومنه حديث أن النبي مرّ بقبرين قال: **(إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)**. (البخاري/٢١٦)، ومنه قول النبي: **(إن شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)**. (البخاري/٧١٧٩). ومعنى لسانين أي يتكلم مع هذا بطريقة ومع الآخر بطريقة مختلفة.

وصاحب النميمة إنسان مبغوض من الناس لا يجد احتراماً ولا تقديراً ولا يثق أحد بكلامه.

ولا يطلب أحد صداقته كونه ينقل الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد والخديعة بين الناس.

ومن أخطر نتائج النميمة قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض: {**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**}. (الشورى: ٤٢).

والنميمة خلق مذموم عند كل الأمم والأديان ولا فرق بين مسلم وغيره، وكما حرّم الإسلام النميمة بين المسلمين حرمها أيضاً بينهم وبين غيرهم. فيحرم أن ينم المسلم على غير المسلم إلا ما كان لمصلحة أو شهادة في فصل قضايا خلافية. وكثير من المشكلات بين الناس يقع بسبب النميمة في الأفراح والأحزان فتنقلب الأفراح إلى محازن ومشاكل.

وأخطر ما يكون خلق النميمة بين الزوج وزوجته وأهله وبين الاخوة وبين الجيران وبين زملاء العمل فتجد آثار النمام كلها سلبية لا خير فيها.

روي أن رجلاً باع عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة، قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه، إن سيدي لا يحبك وهو يرى أن يتسرى عليك فخذي الموس وأحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات، حتى اسحر عليها فيحبك، ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خليلاً، وتريد أن تقتلك

فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها فجاءت المرأة بالموس فظن أنها تريد أن تقتله، فقام إليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين بشؤم ذلك العبد المشؤوم فلذلك سمى النمام فاسقاً.

وعلاج النمام يكون من خلال بيان ما هو عليه من فساد في العقيدة والأخلاق والسلوك، وتوضيح الخطر الذي ينتج عن فعله الذي يقوم به، وبيان أن خاتمته في الدنيا والآخرة الخسران المبين، وأن ما يرتكبه هو كبيرة من الكبائر وجريمة لا تغتفر، فهو يعمل على تخريب العلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية وينشر الفتنة والفساد بين العباد. وفي محصلة الأمر لا يستفيد هو شيئاً، إلا رؤيته دمار البيوت وانتشار الكراهية بدل المحبة والعداوة بدل الاحترام.

ونحن في أمس الحاجة لروح الألفة والتعاون بدل الكراهية والافتراق والخصومات والمنازعات فحياتنا مع صعوباتها وقسوتها هي بحاجة لكل ما يعزز بقائها وصمودها

خُلق الكِبــر

وهو في اللغة بمعنى العظمة والخيلاء والتجبر، **{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}**. (آل عمران: ١٤٦).

ومعنى يتكبرون أنهم يرون أنفسهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم، وهذه الصفة لا تكون إلا لله تعالى.

وفي الاصطلاح: الكبر هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق الغير، وقيل هو استعظام الإنسان بنفسه أنه متميز عن غيره، والمتكبر من أظهر ذلك.

والكبر خلق ذميم يكرهه كل عاقل لما فيه من غمط لحقوق الآخرين ومكانتهم، وهذا الخلق يقدح في دين الشخص وعقيدته لما فيه من منازعة الله مكانته ولما فيه من الاستهانة بالناس واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع لهم.

والمتكبر إنسان جاهل بحقيقة نفسه وبقدر ربه، أو بحقوق العباد. والكبر حالة نفسية تسيطر على صاحبها والمتكبر لا يكون متكبراً إلا من خلال الناس الذين يتكبر عليهم.

وأنواع الكبر وأشدها فحشاً التكبر على الله تعالى، كما حدث مع فرعون والنمرود: {**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**} (غافر: ٦٠). ومن ذلك استكبار ابليس عن السجود لآدم.

ومن أنواع الكبر، التكبر على الرسل والأنبياء، وعدم الانقياد لهم، فعاندوا الله في أمره: {**أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ**} (المؤمنون: ٤٨).

ومن الكبر التكبر على العباد من المؤمنين واحتقارهم لهم واستهجانهم أن يكونوا اتباع للرسل: {**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ**}. (هود: ٢٧)

فقد كفر هؤلاء من باب الازدراء والاستعظام والكبر ومن باب استحقارهم لغيرهم ممن اتبع الرسل.

وللكبر والتكبر أسباب منها:

١. العلم: فالعالم إذا أعجب بعلمه أخرجه عجبه إلى الكبر تعظيماً على العباد، فيرى في نفسه أنه فوق العباد، فإذا تكبر

العالم بعلمه حقر من دونه في العلم وامتن عليهم بما يعلم وتعظم على العوام.

٢. ومن أسباب الكبر كثرة العمل والعبادة فيرى في نفسه أنه أتقى من غيره وأكثر عبادة من غيره فيحتقر من دونه ممن لا يعمل مثل عمله.

٣. أن يكون الكبر بناء على الحسب والنسب وفي هذا احتكار لغيره من الناس، ومثل هذه النوعية تفتخر بعمل غيرها لأنهم يقولون نحن أبناء فلان وفلان، أما هم فلا قيمة لهم. فهم يفتخرون بخصال غيرهم، فالكبر هنا ليس ناتجاً عن اجتهاد وتميز وإنما ناتج عن انتماء وعصبية، وحديث النبي في هذا واضح: **(من بطأ به عمل لم يسرع به نسبه)**. (مسلم/٢٦٩٩).

٤. ومنه الكبر بالجمال والهيئة، وهذا جهل لأن هذا الأمر خارج عن إرادة الإنسان فالله هو الذي خلقه وجمّله وهذا يكون غالباً بين النساء.

٥. الكبر بالمال والثراء، فيتكبر الغني على الفقير بما يملك ولا يعلم أن المال مال الله تعالى، وهو فقط مستخلف فيه: **{فَخَرَجَ**

عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} (القصص: ٧٩).

٦. التكبر بالقوة وبها يحتقر الناس خصوصاً الضعفاء والبسطاء، فيؤدي ذلك الى ظلمهم وأكل حقوقهم.

٧. التكبر بالولد والعشيرة والاتباع، فيحقر من قل أولاده واتباعه.

وهكذا نجد المتكبر ينطلق في تكبره على غيره في الغالب بأمر خارج عنه ولا إرادة له به، وهذا غاية في الجهل والحمق.

وقد ذم الدين بعمومه الكبر وخصوصاً الإسلام، ذم كل متجبر متكبر: **{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}**. (آل عمران: ١٤٦).

ومن عواقب الكبر أن الله لم يجعل للمتكبرين موضعاً في جواره قال النبي عليه الصلاة والسلام: **(لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر).**

ومن عواقب الكبر أن يزيل الله عنه النعمة التي يتكبر بها، وهي رزق من الله تعالى.

ومنها أن المتكبر يتعرض لمقت الله وسرعة المعالجة بالعقوبة.

والكبر كأي مرض يصيب الإنسان يمكن العلاج منه ويكون ذلك بمعرفة الإنسان لقدر الله تعالى ومقامه والإيمان به سبحانه إيماناً حقيقياً، وكذلك أن يعرف الإنسان نفسه وقدراته وأنه لا يملك في هذه الدنيا شيئاً، وأنه لا يليق به إلا التواضع ومعرفته أن الكبرياء لله وحده.

ومن طرق العلاج من الكبر التخلق بأخلاق الصالحين من الناس والتأسي بالنبي وأصحابه في أنهم كانوا غاية في التواضع، وأن هذا التواضع أكسبهم الاحترام والمحبة ورضا الرب سبحانه.

ومن العلاج التزام الطاعات من عبادة وذكر وملازمة العلماء والسير على طريقهم، والاختلاط بعامة الناس وخصوصاً الفقراء وأخذ العبرة من السابقين وقراءة سير الصالحين ونهايات المتكبرين والمتجبرين

وخلق الكبر من أكبر عوامل قطع روابط المجتمع وتمزيقه، ونشر العداوة بين أفراده. ولا يليق الكبر برب الأسرة الزوج والأب

في علاقته مع زوجته وأولاده، ولا بين المعلم وطلابه، ولا بين الطبيب ومرضاه، ولا بين الراعي والرعية.

ويقابل خلق الكبر التواضع وهو الأنفع للناس والمجتمع، وهو الذي يأخذ بأيديهم إلى طريق الخير والصلاح والأمن والطمأنينة.

خُلق المكــر

يأتي المكر في اللغة بمعنى الخدع والاحتيال، ويأتي بمعنى حرف الإنسان عن مقصدة بحيلة.

وفي الاصطلاح المكر من جانب الله تعالى هو إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الكرامات من غير جهد، ومن جانب العبد: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر.

وجاء المكر في القرآن الكريم بعدة معانٍ هي: تكذيب الأنبياء، وفعل الشرك، والقول وإرادة القتل والحيلة.

وما له علاقة بموضوعنا هو المكر الذي بمعنى الحيلة: **{أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ}** (الأعراف: ١٢٣). أي حيلة احتملتموه.

ومنه قوله تعالى: **{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}** (آل عمران: ٥٤).

ومنها: **{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}** (الأعراف: ٩٩).

وخلق المكر مذموم كونه يقوم على الخداع والخديعة، وقيل المكر والخديعة، اسمان لكل فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره.

وخلق المكر والخديعة لا يكون في إنسان سوي الخُلق، مؤمن بالله واليوم الآخر، محب للخير، يحرص على الصالح العام، بل المكر يكون غالباً من نفس دنيئة خسيسة سيطرت على نفسه نوازع الشر من حقد وحسد وغيرة وهو يظن بفعله الماكر أنه يحصل على ما يريد ويشتهي، وينسى أن الله هو المدبر لهذا الكون والمقدر لكل ما يحدث فيه.

والعلماء يفرقون بين المكر الضار والذي هو أخو الخديعة وبين المكر النافع:

والنوع الأول قال عنه النبي عليه السلام: **(المكر والخديعة في النار)**. (الزواجر الهيثمي/١/٢٤٤)، ومعناه أنهما يؤديان

بقاصدها إلى النار، أي التهلكة وهذا فعلاً نهاية المكر إيقاع الأذى بالممكور به فكأنه يوقعه بالنار.

والنوع الثاني والمقصود به استجرار المخدوع والممكور به إلى مصلحة لهما، وقالوا إن هذا العالم يحتاج إلى المكر والخديعة مموهاً ذلك كما يخدع الطفل عن الثدي عند الفطام.

وقد شدد القرآن الكريم على عقوبة المكر: **{وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ}** (فاطر: ١٠).

ومنه قوله تعالى: **{فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا، اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}** (فاطر: ٤٢-٤٣).

وأخطر ما يهدد المجتمع في أمنه وسلامه وعلاقاته هو خلق المكر، والذي يتعامل به البعض مع غيرهم، يمكرون في أقوالهم وفي أفعالهم فلا ترى ولا تسمع منهم خيراً، فقط خداع ودهاء

ومكر، ظانين أنهم يفعلون خيراً وغفلوا أن ما يفعلونه يضر بهم أولاً قبل ما يضر بغيرهم.

والماكر إنسان خبيث لا يرجى منه خير لا في قول ولا في فعل. لا يمكن أن يظهر على حقيقته أمام الناس والمجتمع. ويروغ كما يروغ الثعلب، أفعاله وأقواله أقرب للمنافق منها للمؤمن الصادق.

وخلق المكر خلق مذموم ومردود عند كل الناس مؤمنهم وغير مؤمنهم، وكما هو منبوذ عند المسلمين هو منبوذ عند كل الخلق، فلا يقبله العربي ولا الأعجمي، ولا يقبل من الصغير ولا من الكبير، ولا من الرجل ولا من المرأة فلا يليق بالزوج أن يكون سلوكه مع زوجته قائم على المكر والخديعة وإلا لا تكون حياة أسرية، وكذلك أن تكون علاقة الأب بأولاده وعلاقة الأولاد بوالديهم، علاقة مكر وخداع. لا تقبل علاقات الأخوة فيما بينهم إن كانت قائمة على المكر والخداع، ولا علاقة الجيران.

لا يقبل من السياسي أن يمكر بشعبه أهل بلده، فهذا ذميم لكن مقبول منه أن يمكر بعدوه لصالح بلده وشعبه، لا يصح للتاجر أن يمكر بالناس في بيعه وشرائه، فهذه جريمة قد تصل به

إلى القتل إن كان يبيع طعاماً فاسداً أو منتهي الصلاحية، لا يجوز للصيدلي أن يبيع دواءً منتهي الصلاحية لمريض لا يعرف قراءة مدة الصلاحية أو أن يغلفه بغلاف جديد وبتاريخ جديد.

والمكر عده العلماء من الكبائر التي يدخل صاحبها النار بفعلها، روى أبو بكر الصديق عن النبي أنه قال: **(لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل)**. (الترمذي/١٩٦٩). والخب هو المخادع الماكر. وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن الله تعالى قال: لقد خلقت خلقاً ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر، فبي حلفت لأتيحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيراناً، فبي يغترون أم عليّ يجترئون)**. (الترمذي/٢٤٣٦).

والعلاج من مرض المكر والخديعة ممكن لمن أراد ذلك، والأمر يحتاج لإرادة صادقة:

أولاً يحتاج المريض بالمكر أن يزيد إيمانه بالله تعالى، وأن يعلم أن مرد أمر الإنسان لله من خير وشر.

ثانياً. على الماكر أن ينظر للناس على أنهم أخوته يضره ما يضرهم ويفرحه ما يفرحهم.

عليه أن يكثر من العبادة وتقوى الله، وأن يقرأ سير السابقين من أهل الخير والصلاح.

ثم عليه أن يعرف أن نهاية المكر هي في صاحبها قبل أن تكون في غيره.

وليعلم الجميع أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله، وأن المجتمعات لا تقوم على المكر إنما تقوم بالتعاون والخير والصلاح.

ومجتمعنا الفلسطيني هو بحاجة للخيرين لا الماكرين، فصراعنا مع عدونا يحسمه أهل الخير لا أهل المكر.

خلق النفـاق

لفظة النفاق كلمة خاصة لها علاقة بالعقيدة، ومنها أطلقت على ظاهرة اجتماعية خطيرة لها آثارها على مختلف نواحي الحياة.

والنفاق هو إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب.

والمنافق إنسان يظهر غير ما يبطن، ويقول ما لا يفعل وما لا يعتقد، أي هو الإنسان الذي يتظاهر بما ليس فيه على الإطلاق.

والنفاق خلق أو مرض خطير من أحط اشكال الكذب، كون علاقته بالإيمان والعقيدة: **(أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)**. (سبق تخريجه).

والنفاق صفة سلبية خطيرة ومذمومة للإنسان السلبي الخطير، صاحبه شخص مريض منقسم على نفسه، فيه كل الصفات الخطيرة، فهو ذليل أمام نفسه لكنه يحاول أن يخفي ذلك أمام

الآخرين، ضعيف الشخصية غير واثق من نفسه، يسيطر عليه سلوك الغدر والخيانة ويتصف بالخبث والمكر والخداع والدس والوقيعة والرياء والمداهنة.

يظن المنافق في نفسه اللياقة والقدرة على مجارة الأمور، لكنه ينسى أنه إنسان متلون لا يثبت أمره أمام الناس: {**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**} (البقرة: ٩-١٠). وقال تعالى فيهم: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ**} (البقرة: ١١-١٢).

وقد **كشف** القرآن الكريم نفسيات المنافقين، فهم:

١. الكذب على النفس والغير.

٢. الفسق فهم خارجون عن مألوف المجتمع: {**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**} (التوبة: ٦٧).

٣. الإفساد في الأرض.

٤. السفه: {**أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ**} (البقرة: ١٣).

٥. إظهار الإيمان واخفاء الكفر، {**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**} (البقرة: ١٤).

٦. المرآة بالعبادة: {**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ**} (النساء: ١٤٢).

٧. الحلف بالكذب: {**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} (المنافقون: ٢).

٨. اختلاق الأعذار الكاذبة ليعتذروا بها عن تخلفهم وتقصيرهم في أي عمل يطلب منهم. {**وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا**} (الأحزاب: ١٣).

٩. جمال ظاهرهم وخراب باطنهم: {**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**} (المنافقون: ٤).

١٠. التآمر على المسلمين وهذه من أحقر صفاتهم، ويعملون في الظلام ويثيرون الفتنة والدسائس بين الناس: {**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ**} (النساء: ١٠٨).

١١. المنافق انتهازي صاحب وجهين يحرص على رضا جميع الأطراف بالخداع والمكر: {**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**}. (النساء: ١٤١).

مما سبق تتأكد لنا شخصية المنافق فهو إنسان شرير بلا أخلاق ترده ولا مبادئ تردعه، عنهم قال النبي عليه السلام: **(وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)**. (سبق تخريجه).

وأنواع النفاق من خلال دراسة دوافعهم نوعان:

الأول نفاق التملق.

ثانياً نفاق الكفر.

والنوع الأول هو من باب التقرب للغير وبخاصة من كان ذا سلطة أو مال أو جاه. فترى المنافق يمدحه بما ليس فيه، ويتذلل له لتحقيق نفع ما، وهو في هذا يرضي الناس بما يُغضب الله، لأن دوافعه هو الطمع.

أما النوع الثاني وهو نفاق الكفر، فهو أخبث أنواع النفاق لأنه خداع للمؤمنين من أجل الإضرار بهم وبالدين.

لهذا المنافق جزاؤه أنه في الدرك الأسفل من النار، وهؤلاء يطلق عليهم في زماننا الطابور الخامس، بما يقومون به من أعمال تجسس وتخريب وتثبيط واثارة للفتن في المجتمع المسلم.

والمنافق حريص دائماً على ارضاء الناس وتحقيق رغبات الجماهير بأي ثمن وبأي صورة، وفي الغالب يكون ذلك بإرضاء غرائزهم وشهواتهم إذا كانوا عامة الناس، أو من خلال إرضاء غرورهم إذا كانوا من الحكام والخاصة.

وأسباب النفاق في الغالب سببان:

الأول الخوف والطمع.

والثاني عدم الإيمان الحق الصادق.

وبيئة النفاق بيئة يبتعد فيها الناس عن الإيمان بالله.

وتقوى علاقاتهم بالدنيا ومباهجها، ويشتد حرصهم على التعلق بها، سلطة أو مال أو جاه.

تنزع الأخلاق والقيم من نفوسهم.

تعلق المنافق بالناس أكبر من تعلقه بالله تعالى، لهذا تجد الخوف والطمع يسيطران على حياة المنافق، الخوف ممن ينافقونه، والطمع مما في أيديهم.

وقد انتشر النفاق في زماننا انتشاراً خطيراً ولم يعد المنافق يخفي نفسه، بل هو يتباهى بما يفعل، وخصوصاً أن حكامنا عملوا على تقريب هؤلاء المنافقين منهم وجعلوا لهم خطوة ومكانة.

والنفاق مرض يحتاج العلاج حتى يسلم المجتمع من شروره وآثامه على الفرد والمجتمع، والعلاج يكون بالتربية الحسنة والقدوة والتخلق بالأخلاق الطيبة وصدق الإيمان والخوف من الله وزرع قيم الحق والفضيلة في نفوس النشئ الجديد، ومن الناحية الأخرى أن يعدل الحاكم بين الرعية ويساوي بينهم، وأن يُقرب إليه

المخلصون في عملهم وقولهم، وأن يتجنب المنافقين في مجالسه ومستشاريه.

خلق التجسس

وهو في اللغة من جس الخير إذا بحث عنه واستطلع أمره.

وهذا اللفظ لم يرد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة: **{وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا}** (الحجرات: ١٢). وهي بمعنى البحث عما يكتم عنك.

والتجسس من الأخلاق الذميمة التي تبغضها وتحاربها كل الأديان وترفضها كل المجتمعات من القديم والحديث، وقد شنع الدين على صاحب هذا الخلق وجعل صاحبه من أهل النار، كذلك المجتمعات تحكم على صاحب هذا الفعل بأشد أنواع العقوبات حتى تصل إلى الإعدام غالباً.

وقد حذرنا النبي عليه الصلاة والسلام من هذا الخلق الذميم حيث قال: (**إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم**). (البخاري الأدب/١/٤٤). وفي الحديث الآخر: (**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ألا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله**

عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته). (أبو داود/٤٨٨٠).

وصاحب خلق التجسس عديم الإيمان، عدم الأخلاق. ضعيف الشخصية، اجتمعت فيه غالب الصفات المذمومة والقبيحة، فهو أميل للحسد والغيرة والحقد وكراهية الخير، وأميل إلى الجبن والجهل والنفاق، والخوف، ضعيف الشخصية والنفسية منطوي على نفسه لا يحب الاجتماع بالناس والاختلاط بهم.

والتجسس كما ذكرنا من كبائر الذنوب، ولا يباح إلا في حالة الحرب للحاجة لها، أما في الأحوال العادية للمجتمع فلا يجوز. وكان من عادة النبي إذا أراد الغزو أن يحرص على معرفة أخبار عدوه فكان يبعث الطلائع والعيون ليأتوه بالأخبار، وكان أحياناً يستطيع بنفسه.

وفي زماننا أقامت الدول والحكومات أجهزة خاصة سميت بالأجهزة الأمنية والمخابرات، لكن للأنفس غالب أعمال هذه الأجهزة في الفساد وكشف عورات الناس وتلفيق التهم ونشر الشائعات، وهي موجودة خصوصاً في عالمنا العربي والاسلامي

لحماية الحاكم من شعبه وليس من عدوه، وللإيقاع بين الحاكم والرعية وتحريض الحاكم على الناس غالباً.

والتجسس على العدو أمر واجب وعمل عظيم، من خلاله نأمن شر العدو وغدره، ونبطل ما يخطط له من حرب واجتياحات، وقد كان بفضل هؤلاء الرجال إفشال كثير من الأعمال الإجرامية التي يقوم بها العدو، ومن محاولات الاغتيال والقصف والخطف والاعتقال.

وقد وضع العلماء شروطاً لمن يتم اختياره لهذه المهمة منها:

١. أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه.

٢. أن يكون صاحب حدس وفراسة.

٣. أن يكون كثير الدهاء والحيل الخديعة.

٤. أن يكون ذا دربة في الأسفار ومعرفة البلاد.

٥. أن يكون عارفاً بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها.

٦. أن يكون صبوراً على ما قد يصيبه من العقوبة من العدو إن ظفروا به حتى لا يخبر بأحوال مرسليه.

إن التجسس من الأمور التي تنبذها الفطرة السليمة، والعقول الحكيمة، والأعراف السليمة، لهذا الكل يشدد في عقوبة الجاسوس.

حكى عمرو بن دينار عن رجل من أهل المدينة كان له أخت، فاشتكت فكان يعودها، فماتت، فدفنها فكان هو الذي نزل في قبرها، فسقط منه كيس فيه دنانير، فاستعان ببعض أهله فنبشوا قبرها فأخذ الكيس، ثم قال لأكشفن حتى أنظر ما آل إليه حال اختي، فكشف عنها فإذا القبر يشتعل ناراً، فجاء إلى أمه فقال لها أخبريني ما كان عمل أختي، فقالت قد ماتت أختك فما سؤالك عن عملها، فلم يزل بها حتى قالت له، كان من عملها أنها كانت تؤخر الصلاة عن مواقيتها، وكانت إذا نام الجيران قامت إلى بيوتهم فألقمت أذنها أبوابهم تتجسس عليهم وتخرج أسرارهم، فقال بهذا هلكت". تفسير القرطبي.

إن الجاسوس يسبب مشاكل كثيرة وجرائم عديدة تلحق بمجتمعه، وقد عانينا في فلسطين وما زلنا نعاني من هذه الفئة الضالة المجرمة، ولا يمكن أن يتمكن العدو من شعب إلا من خلال ما يقدمه له الجواسيس والعملاء من معلومات خطيرة

يستطيع من خلالها أن يصل لما يريد، فيغتال ويقتل ويخطف ويلقي القبض على المقاومين والمعارضين.

والجاسوسية خلق يتربى عليه الفرد تربية سلوكية تبدأ من البيت ثم تنتقل إلى المدرسة ثم إلى الحياة والمجتمع.

يقوم الأب أو الأم بالطلب من أحد أولادهم أن يخبرهم مقابل مكافأة مادية بما يفعل إخوته أثناء غياب الأبوين عن البيت فيفعل هذا الطفل ويستمتع بما يأخذ من مكافأة مادية أو عينية.

ثم ينتقل إلى المدرسة فيتعامل معه المعلم بخصوص الطلاب المشاغبين، وما يحدث في الفصل، ثم يخرج إلى المجتمع وقد تشربت روحه هذا العمل الذي لا يرى فيه شيئاً مخالفاً لأن الذي يطلب منه هو والده أو أمه أو استاذه أو قائده أو مديره في العمل، فلما يقع تحت يد الأعداء ويزيد الإغراء والعطاء يكون السقوط الخطير والجريمة التي لا تغتفر.

إن شعبنا الفلسطيني على الخصوص عانى كثيراً على مدار صراعه مع عدوه الانجليزي ثم الصهيوني من ظاهرة العملاء الذين أساءوا لوطنهم وبشعبهم وكانوا خنجراً مسموماً في ظهر

المقاومة، قتل من خلالهم خيرة قادتنا. من عز الدين القسام إلى مصطفى حافظ وأحمد عبد العزيز وإلى أحمد ياسين والشقاقي والعطار وأبو شمالة وغيرهم من خيرة قادة شعبنا.

خُلق الجبن

الجبن والجبان في اللغة الهيوب الواهن القلب.

وفي الاصطلاح هي هيئة حاصلة للقوة الغضبية، بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي وما لا ينبغي.

وهو خلق مرذول يصيب القلب عند الإنسان فيسيطر عليه ويتحكم في قواه وتصرفاته، وهو من الخطورة بمكان حيث يجعل من صاحبه ضعيف غير قادر على اتخاذ موقف أو الدفاع عن نفسه أو عمن يستحقون الدفاع عنهم، من دين وعقيدة وأهل ووطن ومال وعرض أو غيرها، لهذا يذمه الدين والعرف والعقلاء من البشر.

فخلق الجبن من الآفات التي تصيب القلوب والنفوس، فيدمرها ويحطم قواها، لهذا هو خلق ذميم وصفة قبيحة ينفر كما قلنا منها الشرع ويرفضه العقل، وتأباه الفطرة السليمة، ويكرهه عقلاء البشر لخسة طبيعته وحقارة آثاره المترتبة عليه.

فخلق الجبن مجلبة للذل، وانتهاك لكرامة الإنسان في الحياة، ومسبب للخزي والهوان في الآخرة، وهو يمثل حالة سلبية للنفس

الإنسانية أو حالة غير سوية، وتجعل النفس التي تتصف بهذه الصفة الذميمة مضطربة الحال داخلياً وظاهرياً، وفي حالة خصومة مع ذاتها لقبولها المهانة والمذلة.

الجبن غير الخوف، فالجبن غير مشروع ولا مقبول، لكن الخوف مشروع ويكون مقبولاً أحياناً، إذ إن الخوف في إطاره الفطري يكون مقبولاً غير مستهجن، وهو حالة نفسية طبيعية لا تتعارض مع الفطرة الإنسانية، وهناك أمور يخافها الإنسان بفطرته، كالخوف من الوحوش أو الخوف أثناء الكوارث والحروب والأوبئة وهناك من المخاوف ما لا يقبله العقل والفطرة.

أما الجبن فهو حالة من ضعف النفس وهوانها، ناتجة عن خلل داخلي يُولّد عند صاحبه عجزاً عن مواجهة المواقف بما تقتضيه من ردود أفعال أو تصرفات، وتوقعه إلى الانسحاب والهروب وعدم المواجهة وشخص مثل هذا لا يقوى على التصرف أمام أي أزمة أو موقف يتعرض له، وإن كان صغيراً أو تافهاً فهو بحاجة إلى من يسنده ويدفع عنه الخطر ويعفيه من المواجهة.

ومن آثار الجبن الخطيرة على الإنسان مهانة النفس وسوء العيش وطمع الأنذال فيه، من أهل وجيران وزملاء عمل، وأيضاً

قلة ثبات وقلة صبر في المواطن التي يجب فيها الثبات، والجبن سبب في الكسل ومحبة الراحة اللذين هنا سبب في كل رذيلة.

ومن آثاره المذلة لكل شخص والرضى بكل ضيم وإهانة، والدخول تحت كل فضيحة في النفس والأهل والمال، والعرضة لسماع كل قبيح من فاحش الكلام من سب وشتم وقذف.

كذلك تجد في الجبن انعدام الأنفة مما يأنف منه الناس العاديون وذوي النخوة والأنفة.

وخطورة الجبن أنه لا يدفع عن نفس صاحبه، ولا عن غيره الأذى، فهو بليد الشعور وخسيس النفس فاتر الهمة قليل الإيمان.

وقد وصف القرآن الجبان بأوصاف ذميمة خطيرة: {**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ**}. (المنافقون: ٤). وقوله تعالى: {**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ**} (الأحزاب: ١٩).

ومن دعاء النبي صل الله عليه وسلم: **(اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والكسل، والبخل والجبن وضلع الدّين وغلبة الرجال)**. (البخاري/٦٣٦٩).

وأخطر ما يهدد خلق الجبن في الإنسان يهدد عقيدة الإيمان في الشخص، فهو قليل الإيمان كونه يجعله يخشى غير الله، وينسب خلق الأشياء لغير الله، وقد يدفعه ذلك الاقتراف ما ينهي عنه الدين والشرع ويقول كلاماً يناقض به الإيمان.

ونقيض خلق الجبن الشجاعة، يظهرها صاحبها في اللحظة التي يخفي الجبان جبنه، والشجاعة فضيلة بين رذيلتين: الجبن والتهور، والعرب في جاهليتهم كانوا يفتخرون بالشجاع والشجاعة، فلما جاء الإسلام هذب هذا الخلق وجعله في الحق بعيداً عن الظلم والبغي وتجاوز الحدود.

وأخطر ما يكون الجبن حين مواجهة الأعداء الذين يحتلون الأرض والمقدسات ويقتلون الأبرياء، ففي هذه المواقف يلزم الشجاعة وقوة القلب للانتصار للدين والوطن والعرض والمقدسات، وإذا بنا نجد بعضنا يتراجعون تحت مبررات واهية كاذبة: {**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**}. (الأحزاب: ٢٢).

ونحن في فلسطين على العموم وفي غزة على الخصوص ما أحوجنا لخلق الشجاعة والشجعان في مواجهة العدو، وفي هذا

الأيام حينما يتمادى العدو في عدوانه وغطرسته، ومن خلال مسيرة العودة التي تُظهر صوراً رائعة لشجاعة الشجعان واقدامهم وصمودهم في وجه عدوهم، مهما وقع فيهم من قتل وجراحات وآلام.

الجبان يشكل خطراً عظيماً على المجتمع وحركته في طريق التحرير، وكسر الحصار، ومما يبث من فتن وشائعات وأكاذيب وأراجيف بين الناس، لهذا وجب علينا جميعاً مواجهة الجبناء والتحذير من الجبن والوقوف في وجهه.

خُلق الإســراف

في اللغة تجاوز الحد من كل فعل يفعله الإنسان، ويقال أسرف في ماله وأسرف في الكلام وأسرف في الفعل. وتأتي بمعنى أفرط وأخطأ وغفل وجهل.

وفي الاصطلاح: حرف الشيء فيما ينبغي زائد على ما ينبغي، بخلاف التبذير فإنه حرف الشيء فيما لا ينبغي، وقيل هو مجاوزة الحد في إنفاق المال، يكون بالقدر وتارة يكون باعتبار الكيفية.

وقد جاء الإسراف في القرآن الكريم على تسعة أوجه: بمعنى الشيء الحرام، والخلاف والنفقة في معصية وتحريم الحلال والشرك والإفراط.

ومما يعنينا في موضوعنا قول الله تعالى: {**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا**}، (الفرقان: ٦٧). أي لم يسرفوا في وجه المعصية.

ومنه الإفراط في المعصية: **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ}**. (الزمر: ٥٣). أي أفرطوا في المعاصي والإكثار منها.

وخلق الاسراف من الأخلاق التي ذمها الإسلام، ويذمها العقل الصحيح، لما يترتب عليها من هدر المال فيما لا ينفع مع حاجة الكثيرين لهذا المال، ولم يقتصر الإسلام ذم الإسراف على المال، بل ذم الإسراف في كل شيء، فقد ذم الإسراف في المعاصي والآثام: **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}** (الزمر: ٥٣).

وذم الإسراف في الضلال والانهماك في الشهوات: **{كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ}**، (غافر: ٣٤).

وذم الإسراف في الإجرام وتجاوز الحدود: **{كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**، (يونس: ١٢).

وهكذا ذم الإسراف في الأكل والشرب: **{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}**، (الأعراف: ٣١).

فالإسلام ينهي عن كل أشكال الإسراف، المعنوية والمادية، حتى الإسراف في العبادة وترك الدنيا وهجرها، ويدعو أتباعه

للتوسط في كل شيء، فالزيادة مذمومة والإقلال والتقصير مذموم، حتى ولو كانت في أمور حلال ومباحة لما فيها من إهدار للمال والوقت والجهد والموارد.

وقد دعا المفكرون والفلاسفة إلى ضرورة الاعتدال دون إفراط أو تفريط، أي التزام الوسط في الأمور كلها، وجعلوا الإسراف ضد الفضيلة، وكما هو معروف فالفضيلة عند فلاسفة اليونان تعني الاعتدال والتوسط بين طرفين كلاهما رذيلة.

والاعتدال في الاسلام قيمته كبيرة: {**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**} (الإسراء: ٢٩). وقوله تعالى: {**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**} (الإسراء: ٢٧). فالمبذر هنا ساواه الله بالشيطان وبالكافر في سوء العمل والمال.

إن خلق الإسراف من الأخلاق الذميمة التي تجعل الناس تزدري وتحتقر صاحبها، وتنظر إليه نظرة عدم المسؤولية ومراعاة ظروف المجتمع، ففي مقابل هذا الإسراف في المأكل والمشرب وشئون الحياة، نجد هناك مئات بل آلاف الفقراء الذين لا يجدون ما يأكلون، نفس الأمر الإسراف في المظاهر التي لا تعود على

الناس بالنفع الحقيقي كما يحدث عندنا من مهرجانات واحتفالات ما أنزل الله بها من سلطان ولا عائد من ورائها.

احتفالات الجامعات كل عام في تخريج أفواج من الخريجين ينضمون إلى طابور البطالة، هذه الاحتفالات التي تكلف آلاف الدنانير، واحتفالات تكريم الناجحين، كل تنظيم يريد منافسة التنظيم الآخر ونفقات تضيع بدون جدوى. كله إسراف لا يرضى الله عنه وهناك آلاف من الجامعيين ينتظرون من يمد لهم يد العون فلا يجدون.

لقد حث الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه على ضرورة التزام الفرد من ناحية والمجتمع من ناحية أخرى على الاعتدال والالتزام الجميع للتوسط، وتناول الأمور بدون مبالغة أو إسراف، لهذا نجده لم يترك فضيلة ولا خصلة من خصال الخير المعتدلة إلا ودعا إليها ورغّب الناس فيها، وفي الناحية الأخرى لم يترك رذيلة من الرذائل ولا مفسدة من المفاسد إلا نهى عنها وحذر منها، لهذا نجده يحذر من خُلق الإسراف ويخض على الاعتدال والتوسط.

والعالم يشاهد ويتابع ما يحدث عند العرب والمسلمين من مظاهر إسراف لا يصدقها العقل ولا يرضا عنها الضمير، خصوصاً في ظل وجود ملايين من المحتاجين والفقراء والمرضى.

فما يحدث في الخليج من إسراف في إنفاق المال على أمور لا قيمة لها، كما نسمع ونشاهد، صور يشتريها أهل الخليج بمئات الملايين ومراكب ويخت بحرية بمئات الملايين، بيوت في أوروبا يشتريها أمراء الخليج بمئات الملايين، طائرات وسيارات تصنع خصيصاً بمئات وآلاف الملايين، دسائس ومؤامرات ينفقون عليها المليارات وحروب يمولونها ينفقون عليها المليارات، وفي الجانب الآخر لا يقدمون شيئاً في سبيل الحياة الحقيقية، وإن قدموا فهو الفتات.

كم نحن بحاجة لخلق الاعتدال وترك الإسراف من حياتنا على مستوى الافراد والمجتمعات، وكم نحن بحاجة لترشيد نفقاتنا وأن نستعمل المال وغيره في سبيل الحق والخير وما يعود علينا بالنفع والفائدة.

خلق البخـــل

وهو في اللغة بمعنى ضن بما عنده عن البذل، والبخل مصدر بمعنى الضن والإمساك ضد السخاء والكرم، والبخيل هو الشحيح الذي يمسك ماله ويمتنع عن العطاء.

وفي الاصطلاح هو المنع من مال نفسه، والشح بخل الرجل من مال غيره، وقيل البخل هو ترك الإيثار عند الحاجة، وقيل البخل منع السائل شيئاً مما في يد المسؤول من المال.

ونقيض البخل البذل والعطاء في كل شيء وليس المال فقط.

والبخل خلق ذميم يصيب النفس فيحرفها عما خلقها الله من أجله فتصبح عدوة لصاحبها ولغيره من الأهل والناس، وفي الغالب البخيل لا ينتفع مما يجمع بل هو نقمة عليه: {**سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**}، (آل عمران: ١٠٨).

وفي الغالب يكون البخل في الإنسان بسبب حب المال، وهذا يدفعه إلى سلوك أي طريق ولو كان حراماً لكسب المال وجمعه.

وقد دعا النبي أصحابه وحثهم على العطاء والكرم وحذرهم من مغبة البخل قال عليه السلام: **(السخي قريب من الله، قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله من عابد بخيل)**. (الجامع الصغير السيوطي/٤٧٨٨).

وقال عليه السلام: **(خصلتان لا يجتمعان في قلب المؤمن: البخل وسوء الخلق)**. (تحفة الأحوذي/٦/٨٣)، وقال: **(لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان)**. (سبق تخريجه).

وخطورة البخل على صاحبه وعلى المجتمع كبيرة:

فهو كفرد لا يعود على غيره بالنفع والخير، بل هو عالة على كل من حوله، وهو يقدم نموذج سلبي للإنسان الأناني الذي يحب أن يأخذ ولا يعطي والأمام الغزالي يقول إن حب البخيل للمال ناتج عن حب الشهوات التي لا يصل إليها إلا عن طريق المال وطول الأمل، إنه يحب المال للمال وليس لأمر آخر، فيظل يجمع في هذا المال ثم يحرص على عدم الانفاق منه على نفسه أو غيره،

وهذا مرض من أمراض القلب خطير عسير العلاج ولا سيما مع كبر السن فهو مزمن لا يرجى علاجه.

وأعظم من كتب عن البخل والبخلاء في ثقافتنا العربية هما: الجاحظ في كتابه البخلاء، والإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، لكن الغزالي تفوق على الجاحظ في أنه وضع طرق لعلاج البخل والشح.

وأخطر حالات البخل كما يقول الجاحظ: البخل على النفس، والبخل على الآباء والأمهات والبخل على الحياة الزوجية والبخل على الأبناء والبخل على الخدم والعمال والموظفين والبخل على الأهل والاقارب والبخل على الأصحاب والبخل على ما يلزم العطاء فيه.

والبخل يصيب صاحبه بكثير من الهموم والاوجاع في ظاهره وباطنه وأخطر ما يصيب البخيل: الهم الدائم والحزن العميق وكلاهما ناشئ عن الحرص على أن يظل ما في حوزته مصوناً، ثم إن البخيل محاصر بالخوف ومشغول دائماً بالحساب ومن هنا ينشغل عن تلبية رغبات نفسه من طعام وشراب وكسوة في سبيل الابقاء على ما بين يديه من مال، وبالتالي كل هذه الامور تؤثر

على مظهره الخارجي فيحرم من السرور والطمأنينة وراحة البال وبشاشة الوجه، بل دائماً ما نراه عبوساً مقبض الجبين يائساً مضطرباً.

لكن كيف عالج الغزالي البخل: بيّن الغزالي أن علاج كل علة إنما يكون بمضادة سببها، فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير والصبر، ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران، ويعالج التعلل بكثر المال من أجل الأولاد بأن خالقهم قد خلقهم ومعهم أرزاقهم، وكذلك على البخيل الذي يريد أن يبرأ من علة البخل أن يكثر من التأمل في ذم البخيل، ومدح السخاء وما توعد الله على البخل من العقاب العظيم، كذلك من نظرة الخلق من البخلاء وازدرائهم لهم.

ومن طرق العلاج التفكير في مقاصد المال ولم خلقه الله، وأوجده بين أيدي الناس وحرّم حفظه إلا للقدر اليسير للحاجة، كذلك معرفته أن المال ظل زائل، وأننا مستخلفون فيه، ومطلوب ممن يملك المال أن ينفقه في أوجه الخير على نفسه وعلى غيره من أهل واقارب وفقراء والمجتمع.

والبخيل دائماً يقع تحت سيطرة الشيطان الذي يخوفه الفقر والانفاق، فهو أقرب للشيطان من قربه لله تعالى. فالله يطلب منه أن ينفق والشيطان يطلب منه أن يبخل ويحذره من الانفاق، فهو أميل للشيطان من ميله لله، ويستجيب لوسوسته وإغوائه أكثر مما يستجب لنداء الله تعالى.

ما أجمل خلق الكرم وما أجمل من تتمثل فيه هذه الأخلاق، وما أقبح البخل وما أقبح من تتمثل فيهم هذه الاخلاق.

ونحن في فلسطين على الخصوص ما أحوجنا لأهل الكرم والبذل والسخاء حتى نخفف مما فيه الناس من الفقر والحاجة والعوز، وخصوصاً بعد أن ضاقت الدنيا علينا من حصار وقطع رواتب وفصل من الوظائف وقلة العمل.

خُلق الشمــاتة

وهي في اللغة تعني فرح بمكروه أصابه، فهو شامت، والشمتان من يشمت بالناس.

وخُلق الشماتة من الأخلاق الذميمة التي لا تليق بالمسلم، وليست من أخلاق المؤمنين، بل هي صفة من صفات أعداء الدين، حذرنا منها رب العالمين: {**إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**} (آل عمران: ١٢٠).

لهذا نجد أن الإسلام يحرص كل الحرص على تربية أبنائه على معاني الأخوة والوحدة، ويحذرهم من كل ما يتنافى مع هذه الرابطة أو ينتقص منها، ومن هذه الأخلاق السيئة التي تمزق المجتمع وتفرق أبناءه الشماتة، وهي سرور المرء بما يصيب أخاه من المصائب في دينه أو دنياه.

وخلق الشماتة خلق منبوذ ومبغوض عند كل المجتمعات مسلمة أو غير مسلمة، عربية وغير عربية، لأنه ينبعث من نفس دنيئة خسيسة، لا ترتقي لمستوى الإنسان، لأن واجب الأخوة يحتم

على الإنسان أن يتعامل مع أخيه بنفس هذه الروح دون نزاع أو بغضاء ولا تدابر ولا تقاطع ولا أنانية ولا جفاء ولا عصبية ولا حسد.

ومن ابجديات علاقة المسلم بأخيه الإنسان الفرح لفرحه والحزن لحزنه.

يقول الشيخ شلتوت: الأخوة أصدق تعبير عن الحقوق والواجبات الاجتماعية، وهي أقوى ما يبعث في النفوس من معاني التراحم والتعاطف والتعاون وتبادل الشعور والإحساس بما يحقق المثالية التي تخلص به للخير وتبعد به عن الشر. لهذا نجد النص القرآني يبرز هذه الصورة بشكل واضح: {**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}. (الحشر: ٩)

وكون خلق الشماتة خلق حقير لا يليق بالمؤمن ولأن شره خطير على المجتمع نجد أن النبي عليه الصلاة والسلام يتعوذ

منه، فعن أبي هريرة أن النبي كان يتعوذ بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. رواه البخاري.

فالعدو فقط هو الذي يشمت بك: **{إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ}** (التوبة: ٥٠).

ومن الأخلاق الإنسانية ومن آداب الدين وتشريعاته تحريم أن يعيّر أحد من الخلق أخاه بنقص يعتريه في مجالات الحياة كلها، نقص في علم أو مال أو صحة أو ولد أو رزق، أو أن يستطيل عليه بتفوقه في هذه المجالات، كذلك يحرم عليه أن يعيّره بمعصية وقع فيها، وأن يتناظر عليه بقواه لله تعالى، وكثرة طاعاته له، كذلك يحرم عليه أن يفضحه أو يُشهّر به بأمر معاب.

لهذا نجد أن الدين يعتبر التعيير بالذنب من الشماتة بالمسلم، وعقوبتها أن يبتلى الله الشامت بمثل ما كان سبباً في شماتته، قال النبي عليه السلام: **(لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك)**. (الترمذي/٢٥٠٦).

فالدين يحذرنا من الشماتة كونها خلق ذميم، ويخوفنا منها كعقوبة للشامت على شماتته من إخوته المسلمين، أو غير المسلمين، وهذا الأمر نجده واقعاً في مجتمعاتنا، فكثيراً ما نجد عقوبة الله تقع بمن كان يفرح بمصائب غيره من الناس، إن كان مرضاً أو فقراً أو فقد جاه وسلطان.

يقول ابن القيم: ان تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثماً وأشد ذنباً من المعصية ذاتها، وذلك لأنه يحمل في طياته معاني التكبر والغرور والتنزه عن المعصية.

والإسلام يبغض الشماتة لأمور كثيرة منها:

١. الأصل في المسلم محبته الخير للناس والشماتة بهم مناقض لهذه المحبة والاخوة. ٢. كان النبي يكره الشماتة وكان يتألم إذا أصاب أحداً من الناس مصيبة فلم يكن قلبه يتسع للتشفي والشماتة بأحد.

٣. قول النبي عليه الصلاة والسلام: **(لا يرحم الله من لا يرحم الناس)**. (البخاري/٧٣٧٦)، والفرح بما يصيب الناس يتنافى مع الرحمة بهم، ولا يجتمع في القلب الرحمة والشماتة.

٤. ذكر القرآن أن الشماتة من صفات الكفار غير المسلمين الذين اعتلت نفوسهم واختلت أخلاقهم.

٥. الشماتة فيها معاني خبيثة على رأسها الحسد والحقد وهما من دواعي التشفي بالناس والشماتة بهم، ومن المعلوم أن الحسد والحقد محرم في الإسلام كونه يتنافى مع الإيمان بالله واليوم الآخر.

٦. من أخلاق الدعوة إلى الله اللين واللطف والشعور الإنساني النبيل، والكلمة الطيبة والبشاشة ودفء العاطفة والشعور بهموم الناس، والشامت محروم من كل هذا، فهو صاد عن الدعوة لله بأخلاقه الذميمة.

٧. أمر الله المسلم أن **{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}** (البقرة: ٨٢). وقوله تعالى: **{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}**، (فصلت: ٣٤)، والشماتة ليست من هذه الأخلاق لهذا هي تتعارض مع الدين ودعوته.

٨. يُحرمّ الإسلام الفرح والسرور بأذية الناس، وحتى الحيوان يعتبرها دناءة في الطبع والخلق.

٩. أعظم درجات الإيمان الإحسان، والشماتة ليست إحساناً الى الناس، بل هي إساءة لهم.

لهذا نحن بحاجة إلى خُلق الأخوة والمحبة والتعاون، والبعد عن كل ما يؤذيهم ويحزنهم ويؤلمهم والمجتمع لا يقوم على الأخلاق الذميمة بقدر ما يقوم على الأخلاق الحسنة والتعاون فيما بين أفراده.

ومجتمعنا الفلسطيني للأسف تنتشر بين أطيافه الشماتة، المغلفة بخلافاتنا السياسية والتنظيمية وأساليب صراعنا مع عدونا، وما يعانيه قطاع غزة من الأهل والأخوة قبل غيرهم ظاهر للعيان، والعدو يرسخ فينا هذه الأخلاق ليزيد من فرقتنا وعدم تلاقينا.

خلق الحسـد

الحسد في اللغة يعني أن تتحول النعمة من المحسود إلى الحاسد أو سلبها منه، والحسود هو من طبعه الحسد، والمحسود ما يُحْسد عليه الإنسان من مال أو جاه أو صحة أو أولاد أو زوجة.

وفي الاصطلاح: الحسد يعني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد.

والحسد خلق ذميم يصيب قلب الحاسد ثم يتعد أذاه إلى غيره من الناس.

إن الحسد أمر قلبي، وسلوك نفسي، وهذا ما نفهمه من أحاديث النبي عليه السلام التي ورد فيها ما يفيد وقوعه، كقوله عليه الصلاة والسلام: **(العين حق)** وقوله: **(لا حسد إلا اثنتين: رجل أتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار)**. (أحمد/٣٦٥١)، فهذه الأحاديث تتحدث عن أن الحسد صفة

إنسانية، وهذا لا يسمى حسداً إنما يسمى غبطة وأطلق لفظ الحسد في الحديث للشهرة.

أما تأثير العين على المحسود ما ورد في هذا المعنى من أن الرسول صلى الله عليه وسلَّم قال: **(العين حق تدخل الجمل القِدر والرجل القبر)**. (مختصر المقاصد الزرقاني/٦٧٥)، فهذا حديث ضعيف، ومنها ما يُنسب إلى النبي: **(كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القَدر)**. (الكامل في الضعفاء/٩/٩٤)، فهو حديث شديد الضعف لم يروه أحد في كتب الحديث غير البيهقي، وعليه فليس للعين تأثير مباشر في المحسود. وقد قال الإمام الغزالي: "لو كان هذا صحيحاً ما وجدت نعمة على وجه الأرض، لأن كل نعمة لها من يحسدها".

والحسد خُلق نفسي لا يظهر إلا عند أصحاب النفوس الدنيئة، قليلة الإيمان بالله واليوم الآخر، ضعيف الشخصية، غير الواثق بالله وبنفسه، الذي تملكته الأنانية وحب الذات، والذي لا يُحب أن يرى الخير يجري بين أيدي الناس، مع علمنا أن الحسد لن يغير نعمة أنعمها الله على الإنسان، لكنه قد يصيبه بالأذى وذلك من خلال ما يمكر له من الفتن والمكائد والدسائس.

وعن كيفية تأثير الحاسد في المحسود فقد اختلف فيها الناس كثيراً، وما عليه الرأي أن الحاسد يملك قوى يتمكن من خلالها إلحاق الأذى والضرر بالمحسودين سواء أكانوا أناساً أو حيوانات أو نباتاً أو جماداً، وذلك بمجرد النظر إليه أو عن طريق إرسال إشعاع العين إليه، أي أن الضرر يتنقل من عين الحاسد (الرائي) إلى المحسود (المرئي) بمجرد نظر العين الشريرة إليه أو حديثه عنه.

والباحث في القرآن الكريم عن موقفه من الحسد، يرى أن الحديث جاء متعدداً لفظاً وموضوعاً، فمن الناحية اللفظية انقسم إلى قسمين:

القسم الأول: آيات ورد فيها الحسد لفظاً بحروفه الثلاثة: {**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**}، (البقرة: ١٠٩).

والقسم الثاني: آيات ورد فيها ألفاظ تتضمن معنى الحسد: {**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**}، (البقرة: ٩٠) والبغي هنا الحسد.

فهذه الآيات ليس فيها ما يدل على أن لعين العائن تأثيراً غير مرئي يصيب العين إصابة عضوية، أو نفسية، كما ليس فيها شيء عن التمائم ذي القوة السحرية التي تشفي المريض مما حل به من أمراض، وفي حال وقوع الحسد أو الشعور النفسي به علمنا القرآن الكريم أن نتعوذ بالله منه من خلال قراءة القرآن طلباً للحماية من الضرر المتوقع وذلك لسببين:

الأول: أن التعوذ يخلق جواً روحانياً عند الإنسان فيحول بينه وبين التأثير المادي، كون بعد القلب عن الله وانشغاله بالماديات يجعله يقسو ويتحجر وربما يقوده للكفر.

الثاني: أن له تأثيراً أكبر على النفس، إذ يطمئن المرء ويجعله يشعر بالأمان كونه يلجأ إلى الله فتسكن نفسه وتهدأ أعصابه، فالذي تهدأ نفسه أكثر قدرة على مقاومة الشرور والأخطار عمن توترت أعصابه.

ومن أكثر العلماء حديثاً عن الحسد الإمام الحارث المحاسبي والإمام الغزالي، فالمحاسبي يرى أن المحسود لا يلحقه الضرر من عين العائن، ولا يصيبه شيء من الحاسد إلا إذا تجاوز الحسد القلب إلى الجوارح، فسلك الحاسد مسالك تؤدي إلى إلحاق الضرر

بالمحسود كتدبير المؤامرات لإفساد العلاقة بينه وبين مصادر نعمته أو اتخاذ التدابير التي تؤدي إلى زوال ما يتمتع به المحسود من النعم أو الاعتداء على النفس والأرواح بما يصيبها أو يهلكها.

أما الامام الغزالي فهو يرى أن الحسد ليس مرضاً عضوياً، بل هو من أمراض القلوب ولا يداوى إلا بالعلم، وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا ولا في الآخرة، فالنعمة لا تزول بالحسد، إنما بما قدّر الله ولو أن النعمة تزول بالحسد لم يبقي الله عليك نعمة ولا على أحد من خلقه ومن ضمنها نعمة الإيمان.

إن الحسد آفة خطيرة تكون بسبب النزاعات والخصومات بين الناس خصوصاً الأهل والأقربون، والحاسد إنسان حقير لا إيمان في قلبه ولا خشة لله في نفسه، ولا يجرؤ أن يعلن عن نفسه أو أن يظهر بين الناس، فهو صاحب نفس مريضة لا يتمنى الخير لأحد، بل يتألم عندما يرى الناس في نعمة وخير وهدوء بال.

وعلينا أن نؤمن أن ما يحدث للإنسان هو بقدر الله تعالى، وأن الناس لو اجتمعوا على أن يضروه لن يضروه إلا بما كتب الله له.

خُلق الجشـع

في اللغة الحرص والطمع الشديد، ويأتي بمعنى الفزع والخوف، والجَشِع هو الطماع والحريص، وقيل هو الطمع في حق الغير، وقيل هو من يأخذ نصيبه ويطمع في نصيب غيره، ويوصف بالجشع الشحيح، والمتخلق بالباطل بما ليس فيه.

وفي الاصطلاح هو: طمع في غير حق، ورغبة في الحصول على أكثر مما قدر له.

وخلق الجَشَع ينبعث في النفس نتيجة الطمع وقلة الأنفة، فصاحبه لا يقتنع بما أوتي وإن كان كثيراً لأجل طمعه، ولا يستنكف مما منع وإن كان حقيراً، وذلك لقلة أنفته وعزة نفسه، وكونه يرى المال عما يبذل فيه إهانة النفس ومذلتها.

والجشع طريق إلى المذلة والمهانة والخيانة والاختلاق والزور ومنع الحق والواجب، تفقد صاحبها الخير والفضيلة والاحترام، وقد يبذل في سبيل ما يريد كل شيء عظيم من تنازل عن دين وشرف وعرض ومكانة، وهو مرض يسبب لصاحبه الهم والذل، يعيش في كدر دائم وذل للحاجة لا تنتهي.

والانسان الذي يتحكم فيه الطمع والجشع ويتجاوز الاعتدال في مطالبه تجده ينطلق يطلب المال ويجمعه بشتى السبل، لا يعنيه حلال أم حرام، ولا يبالي بمراقبة دين أو خوف من الله، مثل هذا الانسان يكون شراً على نفسه وعلى مجتمعه، يتحكم فيه أطماعه وأنانيته وجشعه وهمه الاستئثار بكل شيء والتسلط على كل ما يقع عليه، يكره أن يُعطي فقيراً أو محتاجاً، ويستحيل عليه أن يتنازل عن أي شيء لغيره، أحب المال حباً أعماه عن عمل أي خير، فاستحق كراهية الناس وبغض الله له، فعاش حياة الضالين.

ومن أمثلة الجشع التي وردت في القرآن الكريم قصة أصحاب الجنة الذين غرّهم المال وغيرهم الجشع والطمع، فمنعوا حق المساكين الذين كان والدهم يوصله إليهم، فلما مات الوالد تآمر أبناؤه فيما بينهم واستكثروا ما ينقطع لهؤلاء المساكين من مالهم فاتفقوا على أن يقطعوا الثمر في وقت مبكر من النهار حيث يأمنون تعرض المساكين لهم، وأقسموا الأيمان بينهم على ذلك دون أن يستثنون، فناموا على كيدهم وغدوا على حرد قادرين، فإذا بطائف من الله يطوف على شجرهم شجرة شجرة وثمرة ثمرة

فلم يبق منها باقية، هذا جزاء جشعهم وطمعهم ومنعهم حق الله في المال: **{قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا}**. (يونس: ٢١).

وكما ذم القرآن الجشع والطمع حذر النبي منه: **(ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)**. (الترمذي/٢٣٧٦)، فالجشع والطمع مفسدة للدين، فالإنسان الجشع يضيع زمانه ويخاطر بنفسه التي لا تعدلها شيء في السفر والتنقل، والخطر لجمع المال لينفع به غيره ولا ينال منه إلا التعب والخطر والمذلة.

ومن أخطر آثار الجشع على الإنسان هو الشح والبخل والذي قال عنه النبي: **(لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد** أبداً). (النسائي/٣١١٠)، وهو يتنافى مع الايمان بالله وقدره وأنه هو الرزاق العليم، فهو لا يرضى بما قسّم الله له بل يتعدى على أرزاق غيره من الناس.

وقد عالج الإسلام ظاهرة الجشع حتى يكون الانسان سوياً صالحاً معطاءً وذلك من خلال الآيات القرآنية التي تدعو للبذل والسخاء وإيقاظ عاطفة الخير وعدم التفاني في حب المال، حتى لا يكون الغاية التي يسعى إليها الإنسان في حياته.

كذلك عالج الجشع من خلال حثه على النزاهة والترفع عن مطامع الدنيا الدنيئة، وزرع في نفسه القناعة والزهد وكما هو معروف، ففي القناعة تسكن النفس وتستريح وفي الزهد استعلاء على ما يذل، وفيه عزة، وفي الأثر ليس الغني من كثرة العرض ولكن الغني غني النفس.

والإسلام لا يمنع التملك ولا الحرص عليه، لكنه يحرص على توظيف هذا المال بما فيه خير للناس جميعاً، وما يعود عليهم بالنفع والاستثمار، وأن يكون منهجنا في التعامل مع المال هو منهج الحق، فتطلب المال لما فيه خير ونفع لصاحبه وبقية الخلق.

ومن أعظم ما وعظ النبي بخصوص المال والنعم: **(يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط، هل مر بك نعيم قط، فيقول لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل رأيت شدة قط فيقول: لا والله ما رأيت بؤساً قط ولا مر بي شدة قط)**. (مسلم/٢٨٠٧).

إن خُلق الجشع يجعل من الانسان مقصّراً في حق مجتمعه وأهله، صعب الأخلاق والتعامل، سيء المعشر لا يألف ولا يُؤلف، مُحب لنفسه عن الناس، لا يرجى منه منفعة ولا خير، يُحب أن يأخذ ولا يُعطي، يُحب لنفسه التميز والظهور على حساب غيره من الناس، بخيل شحيح، يحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله، بل يتمنى أن يزول ما بين أيديهم ليُنقل إلى يده هو.

لهذا على الوالدين إن وجدا في أحد أبنائهم جشعاً أن يحاولا تصحيح سلوكه حتى لا يكبر معه هذا الخلق الذميم وحتى لا يتحكم في نفسه وسلوكه.

خُلق الريـــاء

وهي من المرآة بمعنى التظاهر بالخير والصلاح على خلاف الحقيقة، ويأتي الجحود ومحاولة الاقناع، وقيل هي الاتصاف بالخير والصلاح على غير ما عليه صاحبه، وهو قريب من المعنى السابق، ويأتي من عمل الشيء رياء وسمعة.

وفي الاصطلاح: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه، وقيل هو إظهار الطاعة للناس ليحسنوا بها إلى صاحبها، وقيل الرياء إرادة العبد العباد بطاعة ربه.

وخلق الرياء يحبط الثواب ويفسد الأعمال والطاعات: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ}**، (البقرة: ٢٦٤).

وللنبي صلى الله عليه وسلم حديث طويل في ذم الرياء والتحذير منه حيث قال: **(إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي**

النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ). (مسلم/١٩٠٥).

فخلق الرياء مضيّع للأجر مفسد للعمل، لأن صاحبه أراد شكر الناس قبل شكر الله وأجره، وكأنه يخشى الناس أكثر من خشية الله، وهذا لا يكون إلا من ضعيف الإيمان فاسد النفس، لا يفعل الخير لوجه الله.

والدين لا يُحرم المسلم من فضل ثناء الناس عليه، ما دامت نيته خالصة لوجه الله تعالى، فثناء الناس في هذه اللحظة دليل على رضا الله عنه، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: **(أرأيت**

الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه، قال: تلك عاجل بشرى المؤمن). (مسلم/٢٦٤٢).

ومن الآيات القرآنية التي توعد الله فيها المرائين قوله تعالى: **{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ}**، (الماعون: ٤-٦).

والإخلاص ضد الرياء، وهو مطلوب من المسلم في كل حياته، بذل الإخلاص ونبذ الرياء، والرياء هو الشرك الأصغر كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله، قال الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء).** (أحمد/٢٣١٠٣).

وقد قسّم العلماء الرياء إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الرياء في الدين من تكلف وخضوع واجتهاد في العبادة لمرآة الناس، **القسم الثاني:** الرياء بالهيئة والزي، مثل إطالة اللحية وحلق الشارب ولبس رث الثياب من الصوف الخشن،

وإبقاء أثر السجود على وجهه، واللباس الأبيض الناصع مع تقصيره لتلاحقه عيون الناس.

القسم الثالث: الرياء بالقول كوعظ الناس وارشادهم والتميز بحفظ القصص والشعر والأمثال للتدليل على غزارة علمه، وإظهار الغضب المتصنع حين ظهور المنكرات.

القسم الرابع: الرياء بالعمل ككثرة ذهابه للمسجد للصلاة وإظهار الخشوع الزائد وحج بيت الله أكثر من مرة.

وليس بالضرورة من يفعل ذلك يكون مرائياً ومنافقاً بل هناك كثير من الصالحين.

وأخطر الرياء إثماً وجريمة ما كان فعله ليتمكن من معصية، كمن يظهر الإعانة والورع فيأتمنه الناس على ودائعهم، فيأكلها ويخونهم ومنها ما كان للوصول إلى غرض مباح من أغراض الدنيا كمن يظهر إجازة التلاوة وحسن القراءة ليأخذ أجراً ومالاً بوعظه وقراءته للقرآن، وأخفها ضرراً ما كان لطلب حسن السمعة ومدح الناس له، وكله لا يرضى عنه الإسلام وينبذه.

وهناك ما يسمونه العلماء بالرياء الخفي، وهو الذي يورث سروراً في النفس إذا أطلع الناس على عبادته وهو خفي لتعلقه بالقلب، وكل أنواع الرياء محبط للأعمال ومضيّع للثواب والأجر.

ولكن كيف لنا معالجة الرياء والتخلص منه، الطريق إلى ذلك يكون بمجاهدة النفس في التعلق بالناس وحب رؤيتهم له، وذلك عن طريق إفراغ النفس من حب الجاه والشهرة بين الناس، كذلك تعويد الشخص نفسه على إخفاء عبادته ويُعوْد نفسه على عدم طلب علم غير الله بها.

ولا حرج لو أظهر الإنسان عبادته إن أمن الرياء فتأكد من الإخلاص مثل إظهار الصدقات حتى يحث غيره عليها أو أن يتعلم الناس منه ويقتدوا به.

نحن بحاجة إلى الإخلاص حتى يقبل الله عبادتنا ويرضى عنا، ويصلح من أحوالنا ويسدد خطانا ويوفقنا في مواجهة عدونا، وأن يجعل جهادنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقبل شهداءنا عنده في عليين.

خُلق السخرية

وهي في اللغة الاستهزاء، وهي من الهزل والجهل، ويقال سخر منه ولا يقال سخر به.

وفي الاصطلاح: بمعنى الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه، ويكون بالمحاكاة بالفعل والقول أو الاشارة أو الإيماء أو الضحك على كلام المسخور منه.

وقال الغزالي: السخرية والاهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه.

وخلق السخرية خلق ذميم حقير لا يكون من إنسان عاقل مهذب مؤمن محترم، وفي الغالب تجد الساخر يظن في نفسه العظمة والتميز على غيره من الناس، وهو في الحقيقة من أحقرهم وأقلهم قيمة واعتباراً.

ولا تجد الناس يولون الساخر قيمة أو احتراماً، حتى لو كان البعض يجامله لمركزه أو ماله أو جاهه أو عائلته، وقد ذم القرآن والسنة النبوية السخرية ذماً عظيماً: **{لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ}**،

(الحجرات:٩١). وقال تعالى: {فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ}، (التوبة: ٧٩).

ومن طريق السخرية بالناس اللمز والهمز، واللمز ذكر عيوب الآخرين تحقيراً لهم وسخرية منهم، وهي في اللغة العيب وتكون بإشارة العين ونحوها، والهمز والهامز العياب، وقيل اللمز في الوجه، والهمز بظهر الغيب، قال تعالى: **{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}**، (الهمزة: ١)، ومن يلمز غيره فقد لمز نفسه: **{لَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}**، (الحجرات: ١١).

وقال العلماء من لوازم السخرية التهكم والهزء، والمراد بالتهكم الاستهزاء، وقيل التهكم الوقوع في القوم، والهزء السخرية.

وقد فصّل العلماء في حكم السخرية، فقالوا كل فعل نهى الله عنه من السخرية والهمز والنبز فذلك فسوق: **{وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ}**، (الحجرات: ١١)، ومن العلماء من قال إن السخرية حرام لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ}**، (الحجرات: ١١).

ويقول الامام الغزالي في حكم استحقار الغير والضحك عليه والاستهانة به: "وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به، أما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية في حقه من جملة المزاح، وفيه ما يذم وما يمدح، إنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزئ به لما فيه من التحقير والتهاون، سواء كان الاستصغار او الاستهزاء على كلامه أو على فعل من أفعاله، أو على صورته وخلقته فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها"، (إحياء علوم الدين).

وقيل إن التبسم بالاستهزاء بالمؤمن صغيرة، والقهقهة بذلك كبيرة، وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب الكبيرة.

والإسلام فيما يحرم السخرية بين المسلمين فهو يؤسس لمجتمع راقٍ يحترم فيه كل إنسان أخاه ولا يجعل منه عرضة للمسخرة والاستهزاء، لأنه: **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}**، (الحجرات: ١٣)، فقد يحكم أحدنا على الآخر من خلال مظهره وبساطة حاله، ولكن في الحقيقة يكون هذا المستهزئ منه أعظم قدراً عند الله من ذاك الذي سخر منه.

وتحريم السخرية والاستهزاء لا تقف عند المسلم فقط بل هو سلوك إنساني، فكما لا يجوز الاستهزاء والسخرية من المسلم لا يجوز أن يسخر ويستهزئ من غير المسلم؛ لأن لكل إنسان كرامته وحقوقه وعلينا نحن المسلمين أن نظهر احترامنا لذوات الناس حتى يبادلونا الاحترام باحترام.

ومن لوازم السخرية الغيبة والنميمة، واللمز والهمز، وكلها من الكبائر التي تودي بصاحبها في النار، فرب كلمة يقولها الإنسان يردي به في نار جهنم سبعين خريفاً، وفعل السخرية والاستهزاء من الأفعال التي لا تعود على صاحبها بالنفع بأي حال من الأحوال، بل هي سبب مذمته وحقارته وكراهية الناس له، وربما يؤدي ذلك الفعل إلى الشجار والاقتتال وزهق الأرواح ونشر العداوات بين الناس والسبب أمر تافه لا قيمة له.

إن العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد المجتمع مؤسسة على الاحترام المتبادل والتعاون والأخوة، فإن فقدنا هذه الأسس لم تعد لهذه العلاقات قيمة أو اعتباراً، والقرآن الكريم بيّن لنا أن المؤمنين إخوة: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}، (الحجرات: ١٣)، والأخوة

رابطة معتمدة على التقدير والاحترام، لهذا نهاهم عن السخرية والاستهزاء بعضهم من بعض.

ونحن في مجتمعنا الفلسطيني ما أحوجنا إلى روح الأخوة الحقيقية التي تقوي من روابط الناس فيما بينهم لا التي تعمل على تفكيك وتمزيق هذا المجتمع وخصوصاً أننا في حالة مواجهة مع عدونا الصهيوني الذي لا يرحم.

خُلق الطمـع

الطمع في اللغة اشتهاء الشيء والرغبة فيه والحرص عليه، وقيل بمعنى الأمل والرجاء، وأكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله، وقيل الاستحواذ على ما فوق الحاجة دون الحق.

ومعناه في الاصطلاح: الحصول على ما لا يحق لك أخذه دون عناء أو مجهود.

وخلق الطمع خلق مذموم لأنه يدل على أنانية في النفس، وحب للنفس على حساب الغير، والطماع لا يهمه أحد إلا نفسه، ولا يعنيه من الآخرين شيء، ونادراً ما نجد الطماع من ذوي الهمم العاملين الجادين المخلصين، بل هو في الغالب من أهل الكسل والخمول، وهذا مرفوض في دين الله: **{أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ}**، (المعارج: ٣٨).

والطمع صفة أو حالة نفسية يدفع صاحبها لتلبية رغباته فيما يؤجل أو يتوقع حصوله من الأمور مادية أو معنوية.

والعلماء يقسمون الطمع إلى نوعين:

الأول: طمع ممدوح، **والثاني:** طمع مذموم.

أما النوع الأول: وهو الطمع الممدوح وهو الذي يكون خيراً كطلب العلم وأعمال الخير وكقضاء حوائج الآخرين والصدقة والطمع في غفران الله للذنوب قال تعالى: {**إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ**}، (الشعراء: ٥١)، وقوله تعالى: {**وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ**}، (المائدة: ٨٤) وقد ورد أنه إن أردت أن تقر عينك وتنال خير الدنيا والآخرة فاقطع الطمع عما في أيدي الناس.

والنوع الثاني: الطمع المذموم وهو الطمع الذي يكون متعلقاً بأمر محظور فيه شر ومكر، أو ينتهي إلى أمر محظور قال عليه الصلاة والسلام: (**إياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر وإياك، وصل صلاتك وأنت مودع، وما يعتذر منه**). (الجامع الصغير/ السيوطي/٥٤٦٨).

وينظر العلماء إلى الطمع على أنه سجية أخلاقية دنيئة، ومرض سلوكي خطير، مفسد لقلب الإنسان، يردي صاحبه في أنواع المهالك، ويتسبب عنه أنواع المفاسد، وآثاره على الفرد والمجتمع عظيمة.

وموقع هذه الرذيلة الخلقية من مساوئ الأخلاق كموقع الأصل من الفروع، فمنها رذيلة الطمع تتسبب في الكثير من الرذائل والذنوب الكبيرة والصغيرة، فكم من سفك دماء وهتك أعراض وبهت مؤمنين واغتيابهم وارتكاب كذب إلى غير ذلك من الموبقات حصلت بسبب المطامع، وهذا نفرت منه الشريعة، وحذرت منه أخلاق الإسلام.

وللطمع أضرار تعود على الفرد والمجتمع، منها ما يشعر به الطمّاع من شقاء في الدنيا في محاولاته لإشباع طمعه من مجهود عقلي وفكري، كذلك شقاء الآخرة لما ينتظره من العذاب، ومنها ما يجده من ذل في الدنيا والآخرة، وشعور بالعبودية والاسترقاق لطمعه، كذلك ما يشعر به من ازدراء واحتقار من الآخرين لأن طمعه يعرضه لازدرائهم واحتقارهم وشتمهم له.

وفيما يتعلق بالمجتمع الذي ينتشر بين أفراده خلق الطمع ما ينتشر من خصومات ومشاكل ومشاجرات وفقدان الأمن والاستقرار، ومن نتائجه انتشار الظلم والاضطهاد، وعلى الخصوص عندما يكون قادة المجتمع هم من يُبتلون بخلق الطمع ما يحدث عندنا في المجتمع الفلسطيني، مما ينتج عنه انتشار الغش والغلاء والسرقة وحالات النصب والاحتيال.

ولخلق الطمع علامات وأعراض تدل عليه منها:

١. الفرح فيما ينال مطمعه: **{قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}**. (القصص: ٧٦).

٢. المرح وهو الاختيال والتبختر: **{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا}**، (الاسراء: ٣٧) ومن المرح البطر والأشر.

٣. ومنه اللجاجة وهو تمادي الطماع في طمعه مهما كانت الطرق والوسائل الموصلة إلى مراده ومطلبه.

٤. التكاثر: وهو الاكثار من المال والطعام وجمعه والحرص عليه بشتى الوسائل والبخل به: **{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}**، (التكاثر: ١_٢).

ومن أهم أسباب انتشار الطمع بين الناس هو الجهل وعدم العلم بمنهج الله وشرعه، وعدم الاهتمام بتهذيب النفس وتأديبها وتربيتها التربية السليمة، وفقدان الصبر على الطاعات وعدم ترك المعاصي، وعدم المبالاة، والتساهل في أمور الدين والشريعة، كذلك من أسبابه حب الدنيا وتمكنه من النفس، والوقوع تحت اغراءات المال والمناصب وضعف الإيمان، قال صلى الله عليه وسلم: **(حب الدنيا أصل كل مصيبة وأول كل ذنب)**. (أسنى المطالب/٥٥٠).

من هنا كانت خطورة الطمع على الفرد والمجتمع، لهذا كله يحاربه الإسلام ويحذر منه، ويدعو إلى عدم التعلق بالدنيا لأن في ذلك مفسدة كبيرة.

خُلق الظلــم

الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه، وغصب الشيء ونقضه إياه، وعدم إنصافه والحياد عن الطريق.

وفي الاصطلاح: وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور، وقيل هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد.

وجاء الظلم في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

بمعنى الشرك، وفعل الذنب بغير شرك، والقاتل والنقص، وما يتناسب مع موضوعنا قول الله تعالى: **{وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}**، (الطلاق: ١)، وقوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا}**، (النساء: ١٠)، وقوله تعالى: **{فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا}**، (الأنبياء: ٤٧).

والظلم من أرذل الأخلاق التي تصيب الانسان فتجعله يتجاوز كل الحدود، ولقد عانت البشرية من الظلم الشيء الكثير، ظلم على مستوى الأفراد وظلم على مستوى الشعوب والأمم، وما

زال شعبنا من مائة عام يعاني أشد وأقصي أنواع الظلم، تكالب علينا شذاذ الآفاق وتآمر معهم العرب قبل الغرب حتى المؤسسات الحقوقية والإنسانية تآمرت معهم على ظلمنا.

ولأن الإسلام دين العدل والرحمة فقد حرّم الظلم وجعله بين الناس محرماً، إن كان هذا الظلم يطال الأموال أو الأنفس أو الأعراض أو الأرض، ظلماً مادياً يلحق الأفراد والمجتمعات أو ظلماً معنوياً يلحق الدين والأعراف والهوية والثقافة، وقد توعد الله الظالمين سوء الخاتمة في الدنيا والآخرة: {**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**}، (إبراهيم:٤٢-٤٣)، ومنها قوله تعالى: {**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**}، (هود: ١٨)، ومنها قوله تعالى: {**وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ، وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ**}، (الشورى: ٤٤-٤٥).

وقد جاءت في السنة النبوية آثار كثيرة تحذر من الظلم ونتائجه، عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيما يرويه عن ربه: **(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وعلى عبادي، فلا تظالموا)**. (مسلم/٢٥٧٧).

ويقول عليه الصلاة والسلام في حديث آخر:**(اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم)**. (مسلم/٢٥٧٨)، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: **(لا تظلموا فتدعوا فلا يستجاب لكم، وتستقوا فلا تسقوا وتستنصروا فلا تنصروا)**. (مجمع الزوائد الهيثمي/٥/٢٣٥).

وأنواع الظلم كثيرة ومتنوعة:

أعظمها الشرك بالله تعالى: **{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}**، (لقمان: ١٣).

ثم يأتي بعد الظلم العظيم وهو الشرك بالله تعالى، ظلم النفس وظلم الغير، وظلم النفس يكون بتقصير الإنسان في حق نفسه من مأكل وشراب وملبس، وتعليم وعلاج ورعاية، وأن يكون سيء الأخلاق مع الناس فيعرض عنه الناس ويتجاهلوه ويحتقروه.

ومنه تقصير الإنسان بحق الله من عبادة وطاعة فهذا ظلم للنفس.

ومن الظلم ظلم الإنسان لغيره وأولهم ظلمه لوالديه أبيه وأمه والأقربين إليه من زوجة وأولاد وأخوة وجيران وزملاء عمل وخدم وعمال.

وخلق الظلم من أشد الأخلاق ذمامة لما يترتب عليه من نتائج سلبية تقع على الناس، في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وممتلكاتهم. والظلم عام لا يخص فئة من الناس دون فئة فالظلم ظلم، فكما لا يجوز أن يتظالم المسلمون كذلك يحرم على غير المسلمين. يحرم على الإنسان أن يظلم الحيوان فيكلفه أكثر مما يحتمل من العمل، ويحرمه من الطعام والشراب، وحديث النبي عن المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

ومن الظلم أن يتعطل الإنسان عن المكاسب والأعمال، فيتعدى على غيره ويأخذ حقوقهم ولا يعطيهم منها شيئاً، وكل أنواع الاعتداء على الناس يعتبر ظلماً إن كان على أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم.

وكما يقع الظلم من الأفراد يقع من الحكومات بعضها على بعض، أو منها على شعوبها ورعيتها، فمن الظلم أن تسيطر الدولة على أموال الناس، وتمنعهم حقوقهم أو أن تعتدي دولة قوية على دولة ضعيفة فتسلبها حقوقها كما يحدث مع شعبنا الفلسطيني.

من الظلم أن يظلم الرجل زوجته فيمنعها حقوقها من نفقة ورعاية، ويحرمها من زيارة أهلها، وكذلك ظلم الأب لأولاده فيفرّق بينهم في العطاء والمعاملة، أو يحرمهم حقوقهم من التعليم والرعاية، كذلك أن يظلم الأخ الأكبر إخوته الصغار فلا يعطيهم حقوقهم من الميراث كما يحدث من حرمان البنات من حقوقهن.

ومن الظلم أيضاً أن يرفع التجار الأسعار فيوقعوا الظلم على الناس، أو أن يظلم المستأجر في رفع الأسعار ونقص الحقوق.

إن نهاية الظلم وخيمة، فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة.

خُلق الغدر

تأتي بمعنى نقض العهد وترك الوفاء به، ومكان غدر صعب كثير الحجارة والشقوق يصعب المشي فيه، والمكان الوحل، ولسان غدر ينبت في الخصومة والزلل.

وفي الاصطلاح الغدر: هو نقض العهد وإفساد ما أبرم من عهد.

وهو من الأخلاق الدميمة التي لا يرتضيها أحد؛ مسلماً أو غير مسلم، عربي وغير عربي وهو خلق منبوذ إن تعلق بالإنسان أو تعلق بالحيوان.

وقد نهى الإسلام عن الغدر، القرآن والسنة، صحيح أن كلمة الغدر لم ترد في القرآن الكريم بلفظها وحروفها، لكن ورد معناها مما يدل على نقض العهود والميثاق والمكر والخداع، قال تعالى: **{وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا}**، (النحل:٩١)، ومنه قال تعالى: **{الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ}**، (الأنفال: ٥٦).

وصاحب خلق الغدر تجده غالباً إنسان خائن ماكر مخادع خسيس النفس غير وفي ليس له كلمة، غير محترم عند نفسه ولا عند الناس، لا يثبت على حال ولا تجده يثبت على موقف أو كلمة، ولا يرتضي بحكم أو رأي وينقض النذر، وهو ما يعقده الإنسان ويلتزم به.

وخلق الغدر رذيلة أخلاقية ومعصية دينية شدد الإسلام النهي عنها والتحذير منها: {**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**}، (غافر: ١٩)، وقوله تعالى: {**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ**}، (النساء: ١٠٨).

وقد شنعت السنة النبوية على الغدر كثيراً، قال صلى الله عليه وسلم: (**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**). (البخاري/٣٣)، وفي رواية (**إذا عاهد غدر**)، فهنا بيّن النبي أن الغادر منافق، والمنافق في واقع الحياة أخطر من الكافر.

وخلق الغدر يأخذ طريقين:

غدر باللسان وغدر بالعمل:

وغدر اللسان نقض ما اتفق عليه بلسانه وما تعاهد عليه مع غيره.

وغدر العمل كأن يعمل عكس ما تم الاتفاق عليه.

والغادر لا قيمة له عند الله وعند الناس، هو يظن أنه يكسب من غدره لكنه في الحقيقة يخسر خسراناً مبيناً، فهو يرتكب السيئات بفعله وقوله الغادر، وعند الناس يسقط مقامه فلا يعود الناس يحترمونه ويقدرونه، وقد فقد احترامهم له.

وأخطر أنواع الغدر: الغدر بالوالدين، ويأتي بعده الغدر بين الزوجين، والغدر بين الأخوة، كما هناك الغدر بالعهود والعقود.

والغدر بالوالدين يفوق جريمة العقوق؛ لأن العقوق تقصير في حق الوالدين، لكن الغدر هو التعدي عليهما وتجاوز كل حدود الدين والأخلاق والأعراف معهم، وهذا الفعل يستحق عليه تعزيراً أشد أنواع العقوبات، لأن الوالدين هما أحق الناس بحسن الصحبة من كل النواحي، فلما يأتي الابن ويغدر بهما أو بأحدهما فهذه جريمة ليس بعدها جريمة.

والغدر مُحرّم ليس بين المسلمين فقط بل بين الناس جميعهم مسلمهم وكافرهم، أبيضهم وأسودهم، بل إن الغدر بالحيوان تعد منقصة في الإنسان، فكما للإنسان حقوقاً على الإنسان كذلك للحيوان حقوقاً عند الإنسان.

ومن أشد صور الغدر خسة: غدر الإنسان لشعبه أمام عدوه، يوم أن يناصر عدوه على شعبه وهذا خلق وسلوك العملاء الخونة وبعض رجالات السياسة الذين غدروا في شعوبهم مقابل منزلة حقيرة ينالونها عند أعدائهم.

ومن دوافع الغدر عند البعض الرغبة في الحصول على المال والمتاع الزائل، ومنه سماع المدح والثناء، ومنه الرغبة في الدنيا ومنازلها ومنه الغفلة عن الآخرة، وضعف الإيمان بالله، وعدم تقدير الأمور حق قدرها وعدم الوعي لنتائج الأشياء ونهاياتها، وقد نبهنا القرآن إلى: {**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**}، (الطلاق: ١)، و{**قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا**}، (الكهف: ٨٧).

وخلق الغدر يستجلب غضب الناس وكراهيتهم واحتقارهم للغادر، وعدم رضاهم أو قبولهم لهذا الفعل، كما أنه يستجلب غضب الله وعدم رضاه ونقمته على صاحب هذا الفعل والخلق.

وكما ذكرنا فالوفاء نقيض الغدر وهو صورة جميلة يتحلى بها الطيبون من الناس، الوفاء للوالدين والوفاء بين الزوجين، والوفاء بين الأخوة والأخوات، الوفاء لكل صاحب حق من معلم وطبيب وصانع وعامل وجار وعامل نظافة.

إن خلق الغدر من أخطر ما يهدد المجتمعات في علاقات أبنائها فيما بينهم، فلا تعود علاقاتهم سوية ولا يعود الحب والاحترام يسود بينهم.

خُلق الغــرور

في اللغة مصدر غرَّ بمعنى الأباطيل، وقيل هو كل ما غر الإنسان وخدعه من مال أو جاه أو شهوة أو إنسان أو شيطان.

وفي الاصطلاح: سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة.

وقد وردت مادة الغرور بصيغ متعددة في القرآن الكريم لتدل على معانٍ أهمها الانخداع والتعالي الموصل للبطر ونكران نعم الله تعالى: {**مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**}، (الانفطار،٦).

وخلق الغرور من أسوأ الأخلاق التي يتصف بها البعض لأنه الباعث الحقيقي للمساوئ كلها، كحب الدنيا وحب الظلم والفسق، والسبب الرئيسي في الغرور هو الجهل وأكثر ما يغتر به الإنسان في هذه الدنيا هو المال والعلم، وهما من أهم مباهج الدنيا {**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**}. (آل عمران،١٨٥). فالإنسان حينما يمتلك المال والعلم والجاه يجهل أن هذه النعم زائلة لا تبقى ولا تدوم، وإنها لو بقيت عند أحد ما وصلت إليك كما أنها لا تخلد عند أحد.

ولأن الباعث على الغرور الجهل، فالعلاج منه يكون بالعلم، والتفكير الصحيح والعميق في أن الدنيا كلها وليس فقط ما عنده زائلة: **{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ}**، (الأعلى، ١٧)، وكذلك عدم الافراط في الاقبال على زخارف الدنيا والانخداع بما فيها من مباهج، وليس معنى هذا تركها بالكلية لا بل التوازن، فلا اقبال حتى الافراط ولا عزوف حتى التفريط: **{وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}**، (القصص، ٧٧)، فالتوازن والاعتدال والوسطية هم المعيار الصحيح في السلوك الانساني في هذه الحياة.

والانسان المغرور وقع في حبائل الشيطان فسيطر عليه وخدعه، يتصرف معتقداً بنفسه الصلاح والتقى، فالمغتر بعلمه يظن أن علمه هو الصح وصاحب المال كذلك يظن أن جمعه للمال هو الصح، لهذا كان الغرور من أخطر حبائل الشيطان وأكثرها تأثيراً.

ومن أخطر أنواع الغرور:

أولا: الغرور بالدنيا، والمتصفون به هم ضعاف الايمان والمنخدعون بالدنيا اللاهون بمناهجها الغافلون عن فنائها وزوالها، وهؤلاء جهلة لأنهم يغفلون أن الدنيا فانية والآخرة هي الباقية،

كذلك هم منخدعون بلذة الدنيا ناكرون للآخرة على أنها هي الباقية، وقد وصف الله الدنيا بوصف عجيب في قوله: {**إنما مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**}، (يونس،٢٤).

ولقد حارب الاسلام الغرور حرباَ لا هوادة فيها، ومن ذلك ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(ثلاث مهلكات: شح عطاء، وهوى متبع، واعجاب المرء بنفسه).** (السلسلة الصحيحة الألباني/١٨٠٢)، وقوله عليه السلام: **(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر).** (مسلم/٩١).

وعلاج ذلك كما سبق أن بينا التواضع لله وللناس، وتعريف الإنسان بمصيره وما سيؤول إليه.

ومن أخطر ما يصيب المغرور:

١. أنه يوجد حجاباً حاجزاً بين العقل وواقع الإنسان، فلا يطلع على ما في نفسه من نقائص كالجشع والحرص على الحياة مما يسبب نقصه وذمه.

٢. أن الغرور يشقي صاحبه ويدفعه إلى معاناة الحياة ومصارعتها دون الاكتفاء أو النظر إلى زوالها.

٣. الغرور من أكبر الملهيات عن الاستعداد للآخرة والتزود بالأعمال الصالحة الموجبة للسعادة يوم القيامة.

٤. الغرور يمنع صاحبه من الاستفادة من علم غيره أو تجربته.

٥. الغرور يجعل صاحبه غير مألوف من الناس حتى أقرب المقربين إليه، فنجده معزولاً عن مجتمعه غير محبوب.

وعلاج هذا الغرور يكون بتدبر آيات القرآن الكريم وما جاء فيها من ذم حب الدنيا والتعلق بها والأخطار المترتبة على هذا التعلق، وأيضاً سيرة الأنبياء والحكماء ومواعظهم في النهي عن

التعلق بالدنيا، وكيف أن العقل يؤثر الخالد على الزائل، كذلك الانتفاع بالقصص الهادفة والحكم البليغة ذات الصلة.

ثانياَ: غرور العلم، مما يصيب صاحبه بالزهو والتنافس غير الهادف والتهالك على الأطماع وغيرها مما لا يليق بالجهال فضلاً عن العلماء، وهذا الغرور يصيب الإنسان بجنون العظمة، فيتطاول على الناس بعلمه كبراً وازدراءً، وهذا ما نراه من البعض في هذا الزمان.

ثالثاً: غرور الجاه، وكما هو معروف الجاه والسلطان من أقوى دواعي الغرور وأشد بواعثه عند الإنسان، فتجد صاحب السلطان والجاه أو أولاده يتيهون على الناس زهواً وغروراً وكبراً، مما يجعلهم يتسلطون على الناس ويستعبدونهم ويظلمونهم.

رابعاً: غرور المال، وهو من أقوى أسباب وبواعث الغرور عند الإنسان وقد يغتر بعض البسطاء بهؤلاء كما حدث مع قوم قارون وقد تحدثنا عن هذا سابقاً.

خامساً: غرور النسب، ظانين أن علو النسب منجية للإنسان من عقاب الله تعالى، ناسين ما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)، فالإسلام لا يولي للنسب قيمة ما دام صاحبه كافراً أو فاسقاً، إنما القيمة للعمل الصالح وتقوى الله تعالى.

إن خطورة الغرور بمكان فهي قاتلة للخير في نفس صاحبها، وحائلة بينه وبين الفضائل من الأعمال والأخلاق وهي باب من أبواب جهنم كونها باباً من أبواب الكبر والخيلاء.

خُلق الغضب

الغضب في اللغة مصدر غَضِبَ وهو استجابة لانفعال يتميز بالميل إلى الاعتداء، ويأتي بمعنى الهيجان والسخط واشتد غلياناً، وهو نقيض الرضا، وهو من خصائص الإنسان وأخلاقه، كونه انفعال شديد.

وفي الاصطلاح الغضب هو: تغير يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفي للصدر.

ويختلف لفظ الغضب في القرآن الكريم حسب جهته:

فإذا كان من الله تعالى كان بمعنى النقمة والعقاب، وإذا كان من الإنسان فهو هيجان النفس لأمر يتصل بالشخص ذاته.

والإسلام والفطرة السليمة تعتبر الغضب خُلق أثيم كونه يُفقد صاحبه السيطرة على نفسه، حتى إن كلامه يخرج متقطعاَ وقلقاَ، ويرغي الفم ويزيد بفعل الغضب، ويغيب إحساسه بما يقول أو يفعل، فقد يضرب نفسه أو يضرب الحائط برأسه وهو في حالة من اللاوعي بما يفعل، لهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلّم من الغضب تحذيراَ كبيراَ، جاء رجل إلى النبي وقال له أوصني يا

رسول الله فقال له النبي: **(لا تغضب، وكلما ردد أوصني قال النبي لا تغضب)**، لهذا يحذر الله نبيه من الغضب لعواقبه الوخيمة وسوء فعله لصاحبه، يضاف إليه أن الغاضب لا يكون رأيه سديداَ.

والعلماء يعتبرون الغضب رذيلة جامعة لرذائل كثيرة، من رذيلة عدم الحياء والكبر والغطرسة والحقد والحسد والتربص بالناس والحرص وشدة الجزع والكآبة وغيرها، والغاضب فاقد لوجه الصواب في القول والفعل، واختلطت عليه الأمور وضعف رأيه، وأغلقت المنافذ لعقله، والغاضب استكثر من الأعداء والعداوات بل وارتكب من الجنايات ما لا يخطر على البال، لهذا فالغضب مذموم في كل شيء إذا خرج عن حده الطبيعي.

ومن الغضب ما كان محموداَ؛ وهو الغضب لله ودينه ولرسوله، والغضب لضياع حق أو انتهاك عرض، أو أمام الاعتداء على كرامة الإنسان أو الوطن، شريطة ألا يؤدي الغضب إلى منكر أشد مما غضب من أجله.

والغضب خلق ورذيلة ومرض نفساني خطير، ففيه جور على النفس وظلم للأقربين أما الغاضب فلا يُفرّق بين قريب ولا بعيد،

أو أب وأخ، فهو يربك كل من حوله وتُهيّج كل من في المكان لحظة الغضب، وهو في حالة الغضب لا يعرف قريب أو صديق، يسيطر عليه الشيطان سيطرة كاملة.

والغضب ليس في كل أحواله مذموماَ، فهو فطرة فطر الله الإنسان عليها في طبيعته يصعب التخلص منها، لأن بالغضب يُحافظ الإنسان على نفسه وعلى ماله وعرضه وأرضه وكرامته، بها يرد الظلم والاهانة، ويُحيى الدين والعقيدة ويدفع الاعتداء عنه والاستسلام للظلم والقوي المتجبر، يُدافع من خلاله عن وطنه ومقدساته.

وقد علمتنا قيم ديننا كيف نتفادى الغضب، وكيف نسيطر عليه ونسكت غضبه، وذلك عن طريق التخلق بما هو نقيضه وهو الحلم والصبر واستعمال الحيلة، وترك اتباع الهوى والشيطان، وعدم اتباع أهل الباطل والسماع لوسوساتهم وعدم الجري وراء رغبة الانتقام باليد أو باللسان.

وخطوات علاج الغضب يكون:

أولاَ. التخلص من ثورته بمعرفته أن الغضب يُغضب الله تعالى، ويُغضب الرسول، وهو مخالف لما أمر به الاسلام من أخلاق وعفو وصفح ومحاسن السلوك.

ثانياَ. الأخذ بأسباب عدم الغضب، والوقاية منه ومن دواعيه، قبل أن يستفحل ويسيطر على صاحبه ويتمكن منه، وكلما كان الإنسان قريباَ من الله ومن عباداته وقرآنه كان أقرب للحلم وبعيداَ عن الغضب.

وإذا عرف الانسان أن الغضب مرض خطير جالب للتعاسة والأمراض النفسية والجسدية، فالنفسية كالحسد والحقد والاكتئاب وكراهية الآخرين، فالغضب شر كله ولا خير فيه إلا إن كان غضباَ محموداَ كما سبق أن ذكرت.

ومن الأسباب المهيجة للغضب في النفس حب الشخص للدنيا وتعلقه بها، والحرص على جمع المال حلالاَ أو حراماَ، والهم ومصارعة الآخرين على منزلة أو مكانة أو مكسب في تجارة، أو

يكون دافعه حب التحكم والزهو والعجب بالنفس، أو الاستهزاء بالآخرين أو المزاح الخارج عن الحد المألوف.

والعلاج من كل ما سبق يكون برياضة النفس والتحلي بالرضا والتسامح وحب الغير والتواضع وخفض الجناح والتعامل بالحسنى وتقوى الله وخشيته، والسير على منهج النبي بالعفو عند المقدرة.

ومن طرق علاج خلق الغضب استحضار عواقب الغضب الوخيمة ومن ذلك تعريفه بحاله حين غضبه، من تبدل هيئته من الحسن إلى القبح، ومن تلفظه بكلمات لا يحب ان تجري على لسانه في الحالة العادية وفي الوضع الطبيعي، أيضاً تذكيره بموقف الناس عنه لحظة غضبه، وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلَّم ماذا نعمل لحظة الغضب: **(إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع)** وقال صلى الله عليه وسلّم: **(إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ).** (أحمد/١٧٩٠٨).

والغضب لا يُديم حباً بين الناس، ولا يبني حضارة، ولا يؤسس لعلاقات تعاون بين الافراد وبين المجتمعات، بل يقيم العداوة والبغضاء، والحياة تحتاج الحِلم والأناة أكثر مما تحتاج إلى الغضب.

كشف مؤلفات الأستاذ حسني العطار

داعياً الله أن ينفع بها وأن تكون في ميزان حسناته ومن له حق وفضل عليه:

أولاً. الدراسات القرآنية:

١. من آيات الإعجاز في القرآن الكريم (دراسة).

٢. الاستهزاء والسخرية في ضوء القرآن الكريم. (دراسة).

٣. الحوار في القرآن الكريم: دراسة ونموذجاً. (دراسة).

٤. قيم تربوية مستنبطة من قصص سورة الكهف. (دراسة).

ه. الرازي ومنهجه في التفسير وموقفه من اليهود. (دراسة).

ثانياً. علوم الحديث ومصطلحه:

٦. قضايا حديثية. (دراسة).

٧. دراسات حديثية تحليلية معاصرة. (دراسة).

٨. قطوف ومختصرات من علم أصول الحديث.

٩. إرشاد الأبرار إلى تخريج أحاديث المختار. (مساق أكاديمي).

١٠. مفتاح كتاب تحفة الأشراف للإمام المزّي

ثالثاً. دراسات في العقيدة والفكر:

١١. يوم القيامة بين التأصيل الديني والعقلي. (دراسة).

١٢. المختصر المفيد لأشراط الساعة وأحداث يوم الوعيد.

١٣. ثورات الربيع العربي وحكم الخروج على الحكام (دراسة).

١٤. نظرية الخلافة عند الخوارج. (دراسة).

١٥. أثر العقيدة الإيمانية على الصحة النفسية. (دراسة).

١٦. عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة: عرض ونقد. (دراسة)

١٧. السنن الإلهية: وحركة النهضة الإنسانية – دراسة وعرض. (دراسة).

١٨. نظرية الفضيلة عند اليونان والمفكرين الإسلاميين. (دراسة).

١٩. البابية والبهائية: ضلال وإضلال. (دراسة).

٢٠. شرع من قبلنا (دراسة).

٢١. الوالدان: بين البر والعقوق. (دراسة).

٢٢. نظرات سريعة في كتاب " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة " (اختصار).

٢٣. مختصر لكتاب "التوسل أنواعه وأحكامه" للشيخ ناصر الدين الألباني.

٢٤. مختصر لكتاب "الروح" لابن قيم الجوزية.

٢٥. تلخيص كتاب شفاء العليل في القضاء والقدر لابن قيم.

٢٦. مختصر لكتاب "منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد " لعثمان علي حسن.

٢٧. العقائد اليهودية فساد وإفساد دراسة ونقض. (دراسة).

٢٨. العقائد النصرانية ضلال وإضلال دراسة ونقض. (دراسة).

٢٩. دراسة وتحليل لسفر أخبار الأيام الثاني. (دراسة).

٣٠. نظرية الإمامة عند الشيعة. (دراسة).

٣١. الفرق بين الجهاد والإرهاب. (دراسة).

٣٢. أهم أسباب تخلف العرب والمسلمين. (دراسة).

٣٣. الدكتور مصطفى محمود: آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة (رسالة ماجستير).

٣٤. مصطفى محمود حياته وآراؤه الاعتقادية. (دراسة).

٣٥. مصطفى محمود حياته وموقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة. (دراسة).

٣٦. رمضانيات مقالات وذكريات. (مجموعة مقالات).

٣٧. عطاريات: مقالات في الدين والحياة. (مجموعة مقالات).

٣٨. قيمنا الأخلاقية بين الأهمية والحاجة. (دراسة).

٣٩. الأخلاق بين الادعاء والالتزام. (دراسة).

٤٠. قضايا دينية وفكرية. مقالات.

٤١. فيس بوك صائم.

٤٢. في عيونهم.

٤٣. أنا والسلطة والوطن. مقالات.

رابعاً. دراسات فلسطينية:

٤٤. مدينة القدس، والمسجد الأقصى: ماضٍ مجيد ومستقبل موعود. (دراسة).

٤٥. فلسطين: نقض مزاعم الكتاب المقدس. (دراسة).

٤٦. فضائل فلسطين وبيت المقدس في الكتاب والسنة. (دراسة).

٤٧. القضية الفلسطينية: رؤية إسلامية. (دراسة).

٤٧. القدس بين التهديد والتهويد. (محاضرات ومقالات)

٤٩. مدينة القدس أخطار لا تتوقف. محاضرة

٥٠ . مستقبل الصراع الإسلامي الصهيوني من خلال كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون". (دراسة).

٥١. الماسونية: أخطر الجمعيات السرية. (دراسة)

٥٢. فلسطينيات مقالات في الوطن والقضية. مجموعة مقالات.

٥٣. مصر وقطاع غزة الأرض والسكان. مقالات

٥٤. انعكاسات حرب ٢٠٠٨م على المجتمع الفلسطيني والمجتمع الإسرائيلي. (دراسة تحليلية مقارنة).

٥٥. مصر التي في خاطري. (مقالات ومنشورات)

٥٦. أوراق عربية. (مقالات).

٥٧. تلخيص كتاب د. موسى أبو مرزوق مشوار حياة.

٥٨. الجزيرة العربية قبل الإسلام: الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (دراسة)

٥٩. أوسلو وخيبة الأمل الفلسطينية. مقالات.

خامساً. دراسات أدبية:

٦٠. عبد الرحمن بارود: شاعر المقاومة ـ (دراسة نقدية).

٦١. عاشق فلسطين: عبد الكريم الكرمي (دراسة).

٦٢. الشيخ رجب العطار ذاكرة أمة. (مذكرات).

٦٣. الشيخ رجب العطار مجاهداً. (دراسة).

٦٤. طوبى للغرباء: قصة حياة الحاج موسى برهوم.

مقالات.

٦٥. صعوبة المطالب في بلاد الله غالب. حكاية

٦٦. شخصيات عرفتهم. مقالات.

٦٧. العطار في بلاد المختار. حكاية.

٦٨. حكاية مواطن غزاوي. حكاية.

٦٩. بين الذكريات. ثلاثة أجزاء مقالات.

٧٠. أمي سلام عليك في الخالدين.

٧١. قصص وحكايات.

٧٢. شاميات. حكاية من حلقات

٧٣. أبي رحمك الله

سادساً. دراسات فقهية:

٧٤. الدية في الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية).

٧٥. الوديعة المصرفية: دراسة فقهية – اقتصادية. (دراسة).

٧٦. الانتخابات وأحكامها في الإسلام. (دراسة).

٧٧. حقوق المرأة المالية في الإسلام. (دراسة فقهية).

٧٨. دية المرأة المسلمة في الشريعة الإسلامية. (دراسة فقهية).

٧٩. الخنزير: أخطاره وأحكامه (دراسة مقارنة).

٨٠. السماحة الإسلامية في الضرورة الشرعية. (دراسة).

٨١. قضايا اجتماعية. مقالات

٨٢. الصوم وتهذيب النفس. دراسة.

٨٣. تلخيص كتاب الاختلافات العلمية.

٨٤. كورونا بين المحنة والمنحة.

٨٥. إسرائيليات.

٨٦. هموم كاتب في زمن الهزيمة.

كتب تحت الإنجاز:

١. الشوق والحنين. سيرة ذاتية.

٢. لو سمحت لحظة من فضلك.

٣. أنا وبيت المقدس.

المحتويـــات